الأدب والمطالعة

المناهج الدراسية السودانية

المرحلة الثانوية

الصف الثالث

+971544600874
info@ebttikarworld

أفضل موقع لخدمات طلاب الشهادة السودانية
www.ebtikarworld.com

جمهورية السودان

وزارة التعليم العام

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

بخت الرضا

المرحلة الثانوية

المطالعة والأدب

الصف الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

وزارة التربية والتعليم

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

بخت الرضا

المطالعة والأدب

الصف الثالث الثانوي

إعداد : لجنة بتكليف من المركز القومي للمناهج والبحث التربوي مـــن الأساتذة :

الدكتور : **وداعة محمد الحسن عكود** – جامعة أفريقيا العالمية
الأستاذ : **حسن سيد أحمد الناطق** – جامعة أفريقيا العالمية
الأستاذ : **تاج السر بشير صالح** – جامعة أفريقيا العالمية

المراجعة :
الأستاذ : عبد الله محمد الخير القاضي – خبير تربوي

تنقيح : الدكتور : وداعة محمد الحسن عكود كلية التربية – جامعة إفريقيا
الدكتور : نعيم أحمد نعيم المركز القومي للمناهج
الدكتور : عوض أحمد أدروب المركز القومي للمناهج
الأستاذ : عباس أحمد الريح خبير تربوي
الأستاذ : حامد إبراهيم حامد المركز القومي للمناهج

الإخراج الفني والتصميم :
أ. إبراهيم الفاضل الطاهر المركز القومي للمناهج

تصميم الغلاف :
أ. الرفاعي عبد الله عبد المهيل المركز القومي للمناهج

الجمع بالحاسوب :
إشراقة فرح شريف المركز القومي للمناهج
رقية الريح محمد إسماعيل المركز القومي للمناهج

المقدمـــــة

الإخوة المعلمون ، والأخوات المعلمات ، والأبناء الطلاب

نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونصلي ونسلم على عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى العترة الطاهرة من آله ، وعلى الغر الميامين من أصحابه .

أما بعد :

فهذا هو الكتاب الثالث نكمل به سلسلة كتب المطالعة والأدب للمرحلة الثانوية . اخترنا فيه – لطلابنا وطالباتنا – ألواناً من الموضوعات القرائية توخينا فيها الأساليب الرشيقة ، والمعاني الدقيقة ، والقيم الرفيعة ، لتكون ذخيرة لغوية وزاداً فكرياً ، يثري لغتهم ويمتع عقولهم ، ويخصب أفكارهم .

اخترنا لهم فيه من أزهى عصور الأدب العربي ، جاهلية وإسلامية و أموية – نصوصاً متنوعة ، شعراً ونثراً ، فيها المدح والفخر ، والرثاء والغزل ، والحكمة والسياسة ، وهى نصوص أجمع النقاد قداماهم ومحدثوهم على نفاستها ، وعلى عظيم أثرها في تهذيب العقول والنفوس .

لقد أتبعنا كل موضوع قرائي بجملة من التدريبات المتنوعة ، وعالجنا كل نص من النصوص الأدبية بالشرح المبسط ، والتدريبات التي تعين على التذوق وتدرب على النقد .

ومع ذلك فإننا لا ندعي أن هذا الكتاب قد بلغ من الكمال ما لا مزيد بعده لمستزيد . ولكن ثقتنا في معلمي ومعلمات اللغة العربية تجعلنا مطمئنين على أنهم سيقوّمون ما فيه من عوج ، ويصححون ما فيه من خطأ ، ويكملون ما فيه من نقص .

لنجعل – أيها الإخوة والأساتذة – أنفسنا حراسا وحماة لهذه اللغة الشريفة حباً لها ، واعتزازاً بها ، وحرصاً عليها ، لنمكن أبناءنا وبناتنا من إتقانها قراءة وكتابة وتحدثاً وتذوقاً . فهي قدرنا وقدر الأجيال من بعدنا .

وخير ختام ، الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى المصطفين الأخيار من أنبيائه .

المؤلفون

الباب الأول

العصر الجاهليّ

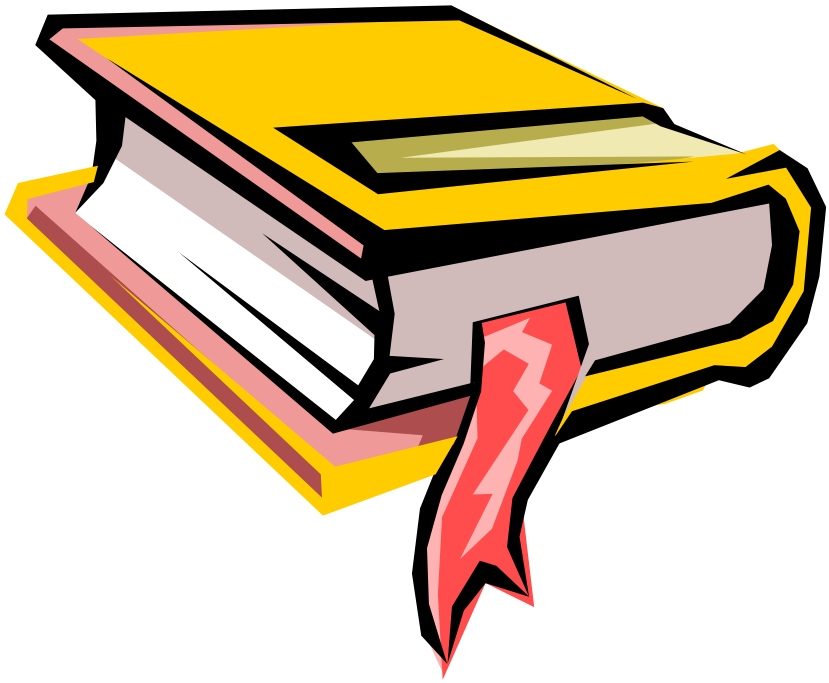

(١ – ١) من تاريخ الأدب في العصر الجاهلي
الحياة الاجتماعية والدينية في العصر الجاهلي

(١ – ١ – ١) الحياة الاجتماعية :

يتكون المجتمع الجاهلي من قبائل ، وتتألف القبائل من ثلاث طبقات متفاوتة في المكانة الاجتماعية .

الطبقة الأولى : هم أبناء القبيلة الأصلاء ، الذين ينحدرون من أصل واحد تربط بينهم أواصر القربى والدم ، وهؤلاء هم عماد القبيلة ، وساداتها . وأولو الأمر فيها . وهم الطبقة المتميزة اجتماعياً ، وهم الذين يبتون في شؤون القبيلة حرباً وسلماً – وعليهم يقع عبء الدفاع عنها .

الطبقة الثانية : الموالي وهم الذين كانوا أرقاء للطبقة الأولي ثم أعتقوا وينضم إلى هذه الطبقة أيضاً المخلوعون الذين طردتهم قبائلهم وتخلت عنهم (والخليع الرجل يجني الجنايات يؤخذ أولياؤه بها فيتبرؤون منه ومن جنايته ويقولون إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ أحداً بجناية تجني عليه ، ولا نؤاخذ بجناياته التي يجنيها [وكان يسمى في الجاهلية – الخليع] كوّنوا مع العتقاء الطبقة الثانية .

الطبقة الثالثة : هي طبقة الأرقاء أي الذين استعبدتهم الطبقة الأولى وهذه الطبقة أدنى وأصغر طبقات المجتمع الجاهلي ، فكانت تقوم بالخدمات التي تتطلبها حياة القبيلة من رعي الإبل وحلبها وسقيها ، وجلب الماء من الآبار ومعاونة النساء في البيوت .

ليس لهذه الطبقة من الحقوق ما للطبقتين السابقتين ، فهي سلعة تباع وتشترى ، ولسيد الرقيق قتله إذا شاء .

تتميز القبيلة بالترابط الوثيق بين أفرادها ، إذ عليها أن تغيث أحد أفرادها إذا استغاث بها ، وتنصره إذا استنصرها .

قال شاعرهم :

وننصرُ مولانا ونعلمُ أنّهُ ✱ كما النّاسُ مجرومٌ عليهِ وجارمُ

من العادات الاجتماعية التي تحرص عليها كل القبائل عادة الكرم . وهي خصلة أوجدتها فيهم الحياة القاسية التي تعتمد في بقائها علي المطر الذي يسمونه (الحيا) لأن فيه حياتهم .

وأصعب فصول السنة عندهم الشتاء حيث ينقطع المطر ، ويجف الزرع ويشح القوت ، في ذلك الفصل يتبارى الموسرون في إعانة الفقراء وعابري السبيل ، فكانوا يوقدون النيران علي التلال ، وعلى أعالي الجبال ليراها السائرون

في ليل الشتاء القارس في تلك الصحاري الموحشة فيؤمونها حيث يجدون الطعام والمأوى والدفء ، وقد بلغوا من ذلك شأوا بعيداً ، فكانوا ينحرون الإبل السمان ويهيئون الطعام الوافر للجائعين ، فعد ذلك من مفاخرهم التي يفخرون بها .

فهذا حاتم بن عبد الله الطائي . أشهر كرماء العرب ، يأمر زوجته ألا تستر قدر الطعام ، وإلا فطعامها حرام عليه ، ويأمر – بحزم – أن توقد النار في مكان عال ليراها الناس ، وأن يكون حطب النار من النوع الذي يشتعل وتتأجج ناره وترتفع ألسنتها ، ولا تختار لها الحطب الذي لا جمر له .

قال :

لا تَسْتُري قِدْرِي إذا مَـــا طبَخْتِها ✱ عَلَيَّ إذَنْ مَا تَطْبُخِينَ حرامُ
وَلَكِـــنْ بِهَدّاكَ اليَفَـــاع فأوْقِـــدِي ✱ بجَزْلٍ إذا أوْقَدْتِ لا بضِرَامِ[1]

ويقول عروة بن الورد :

أقسِّمُ جِسْمِي في جُسُومٍ كثِيرةٍ ✱ وأحْسُو قرَاحَ الماءِ، والماءُ باردُ [2]

ومن العادات الاجتماعية التي شاعت في العصر الجاهلي شرب الخمر فقد كانوا يفتخرون بشربها ، ويسرفون في الحديث عن مجالسها وأنواعها وسقاتها . لقد احتازت الخمر حيزاً كبيراً في الشعر الجاهلي واشتهر بها جماعة من كبار شعراء الجاهلية مثل الأعشى ، وطرفة بن العبد ، وعديّ بن زيد العبادى .

أما المرأة ، فقد كان هناك نوعان من النساء، النساء الحرائر وهؤلاء هن قريبات الطبقة الأولى من زوجات وبنات وأخوات ، فهؤلاء كنَّ معززات مكرمات ولهن مكانة رفيعة في المجتمع ، فكان منهن الشواعر مثل الخنساء والخرنق بنت هفَّان وغيرهما، ومنهن اللاتي كن يمارسن كثيراً من المهن، مثل التجارة كما كانت السيدة خديجة – رضي الله عنها – ومثل أسماء بنت مخرِّبة التي كانت تاجرة عطور يأتيها العطر من اليمن .

أما الطبقة الثانية من النساء – في ذلك العصر – فهن الإماء اللاتي يقمن بالخدمات التي لا تقوم بها الطبقة الأولى ، من الرعي ، وجلب الماء والطحن وغير ذلك .

---

(1) الجزل : الغليظ من الحطب الذي له اشتعال وجمر ، والضرام هو الذي لا جمر له مثل القصب وأشباهه . اليفاع ما ارتفع من الأرض كالتلال والجبال .

(2) ديوان عروة بن الورد ص ٢٢ . يريد بجسمه قوت جسمه ، يقول أقسم ما أريد أن آكل في فقراء قومي وضيوفي ، وأحسو : أشرب قراح الماء ، الماء غير المخلوط بشيء ، وذلك في الشتاء البارد ، أي أنه يطعم الناس ويكتفي هو بالماء البارد في الشتاء .

إن من أبرز سمات العصر الجاهلي الحروب التي كانت تدور بين القبائل ومن أسبابها التنافس حول المرعى ، والثأر ، والجرائم التي يرتكبها بعض أفراد القبيلة .

فإذا لم يجدوا سبباً يثيرون به الحرب اعتدوا على أقرب الأقربين ، لذلك قال الشاعر :

وَأَحْيَانًا على بَكْرٍ أَخِينَا ✱ إذَا مَا لَمْ نَجِدْ إلاَّ أَخَانا

وهناك عادات اجتماعية أخري توجد في بعض القبائل مثل وأد البنات فكانت أسباب الوأد متعددة منها خشيتهم من العار الذي قد تجلبه البنت ، ومنها خشية الفقر ، وهذا السبب ذكره القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء: ٣١]

ومن العادات الاجتماعية المرذولة، أنّ بعضهم كان يشتري الجواري ويسخرهن للدعارة ليكتسب من ذلك ، لهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] قال جابر وابن عباس رضي الله عنهما " إن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي – كبير المنافقين – وكانت له جاريتان ... وكان يكرههما على الزنا ، ويضربهما عليه ابتغاء الأجر ، وكسب الولد فشكتا ذلك إلي النبي ﷺ فنزلت فيه وفيمن فعل فعله " .

ومن عاداتهم القبيحة كثرة الزوجات ، فقد ذكروا أن غيلان بن سلمة الثقفي كان له في الجاهلية عشر زوجات فلما أسلم، أمره الرسول ﷺ أن يمسك أربعاً ويطلق الباقي.

ومن أقبح عادات بعض القبائل أن يتزوج الولد زوجة أبيه ، وكانوا يسمون هذا الزواج (زواج المقت) فنزلت الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [النساء: ٢٢].

(١ – ١ – ٢) الحياة الدينية :

إن الديانات التي كانت موجودة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام يمكن حصرها في أربع ديانات هي :

الأولى الوثنية :

هذه الديانة هي أشيع وأكبر الديانات بين عرب الجاهلية ، كانت تدين بها معظم القبائل العربية وسط الجزيرة وغربها وجزءاً من شمالها وشرقها .

إن كلمة (وثنية) مصدر صناعي تدل على ما يقابل الكلمة الإنجليزية (IDOLATRY) ومعناها : عبادة الأصنام مثل الصور ، والموضوعات التي يعتقد أنها تقوم مقام الشخصيات ذات الطبيعة السامية .

لقد كانت الوثنية – في العصر الجاهلي – تعني عبادة الأحجار مصورة – مثل (هبل)الذي كان على صورة رجل– وغير مصورة مثل(اللات) التي كانت صخرة مربعة.

وتعني أيضاً عبادة الأشجار مثل العزى، التي كانت شجرة، وكانت أعظم الأصنام.

الثانية : الحنيفية

الحنيفية في أخصر معانيها وأوضح دلالاتها أنها ، الديانة التي تعبد الله على التوحيد الخالص ، دون أن تشرك به شيئاً من خلقه ، أي أنها تميل عن أي ديانة أخرى إلى عبادة الله الواحد الأحد .

لقد ظهر في أخريات العصر الجاهلي جماعة لم تعجبهم الوثنية ولا النصرانية ولا اليهودية فانصرفوا يبحثون عن الحنيفية التي هي دين إبراهيم عليه السلام .

من هؤلاء الحنفاء : أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، وأبو عامر الراهب ، وأسعد بن زرارة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وأشهر هؤلاء جميعاً قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل .

من خصائص هؤلاء الحنفاء التي تميزهم من غيرهم من الوثنيين :

(١) رفض عبادة الأوثان رفضاً تاماً ، وتوحيد الله توحيداً خالصاً من شوائب الشرك . كان زيد بن عمرو بن نفيل – قد ترك عبادة الأوثان وترك أكل ما يذبح على النصب ويقول : " إلهي إله إبراهيم ، وديني دين إبراهيم " .

(٢) رفض اعتناق اليهودية أو النصرانية .

(٣) أنهم يتميزون بنوع من التقوى في سلوكهم العام والخاص ، مثل ترك الخمر وتحريمها علي أنفسهم .
(٤) التمسك ببعض العبادات التي هي جزء من ديانة إبراهيم ، مثل الحج والسجود على الأرض تعبداً لله .

الثالثة : اليهودية

عرفت اليهودية طريقها إلى جزيرة العرب منذ أمد بعيد ، ربما كان ذلك في القرن الأول بعد الميلاد عندما دمّر الإمبراطور " طيطس " بيت المقدس، فتفرق اليهود . فجاءت جماعات منهم إلى بلاد العرب الداخلية هرباً من الاضطهاد الروماني وأقاموا في مستعمرات امتدت من يثرب جنوباً إلي مشارف الشام شمالاً فاستوطنوا أخصب المناطق وأغناها .

جاء اليهود بأحبارهم وكتبهم وشعائرهم وأماكن عبادتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا دينياً في العرب على مجاورتهم لهم أكثر من ستمائة سنة ، وسبب ذلك أن اليهودية دين خاص ببني إسرائيل لا يرغبون أن يدخل فيه غيرهم ؛ لأن نشر اليهودية عندهم كان محظوراً عليهم .

قال أحد الباحثين : " كان يمكن لليهود الموجودين أن يؤثروا في عرب يثرب تأثيراً دينياً كبيراً لو لم يفعلوا ما عابهم به القرآن من كتم التوراة ، ولو لم يعدوا الوحي خاصاً بأمتهم " .

الرابعة : النصرانية :

كانت النصرانية تحيط بشبه الجزيرة العربية من الشمال والشرق والجنوب أما في الشمال فقد كان الشام موطن النصرانية الأصيل ، حيث ولد المسيح عليه السلام في فلسطين التي كانت في ذلك الحين ولاية رومانية ، ولذا كانت القبائل العربية التي تخضع للنفوذ النصراني مثل قضاعة وسليح ، بل كانت في الشام إمارة عربية يدين ملوكها بالنصرانية وهم الغساسنة .

وإلى الشرق من الشام كانت النصرانية تنتشر في العراق وتدين بها بعض القبائل العربية مثل تغلب وربيعة ، اللتين كانت بعض قبائلهما يدين بالنصرانية .

أما في الشرق فهناك " إمارة الحيرة " التي كان ملوكها نصارى ، فقد تنصر النعمان بن المنذر وأقام الكنائس ، والأديرة ، وتسمّي بعض العرب باسم (عبد المسيح).

وهناك في جنوب الجزيرة العربية دخلت النصرانية أولاً علي يد المبشرين المتحمسين لدينهم، ثم انتشرت رسمياً بعد أن تنصر "قسطنطين" ، فأنشئت كنيسة في عدن، وأخرى في ظفار وثالثة في نجران ، ورابعة في صنعاء وهي التي تسمى (القليس).

لقد حاولت النصرانية أن تزحف إلى الحجاز لتبسط نفوذها عليه وتهدم الكعبة وتجبر الناس على الحج إلي كنيسة القليس ، غير أن الله دمر حملة أبرهه تدميراً كاملاً وأظهر الله دينه بعد أقل من سبعين عاماً .

(١ – ١ – ٣) : الحياة الأدبية :

يعد العصر الجاهلي بداية عصور الأدب العربي ، ففيه وضعت أسس وتقاليد النصوص الأدبية شعراً ونثراً ، وهو بذلك يعد النموذج المثالي الذي تقاس عليه الأعمال الأدبية .

وتتألف الحياة الأدبية في العصر الجاهلي من عنصرين أساسيين هما الشعر والنثر .

أولاً : الشعر

لم يستطع مؤرخو الأدب أن يصلوا إلى معرفة البدايات الأولى للشعر غير أن ما وصل إلى عصر التدوين – وهو القرن الثاني الهجري – يدل علي أن الشعر العربي مر بأطوار ومراحل كثيرة حتى استوى شعراً ناضجاً مكتمل الصياغة مستقيم الموسيقا جميل الأخيلة ، رشيق الألفاظ ، رفيع الأفكار .

موضوعاته ، أو فنونه :

تناول الشعراء الجاهليون عدداً من الموضوعات يمكن تلخيصها بإيجاز فيما يلي:

(١) الحماسة :

الحماسة في اللغة الشجاعة ، والأحمس ، الشجاع ، والحماسة التغني بالبطولة والشجاعة واقتحام الحروب ، ومقارعة الأعداء فالشاعر يفخر بالصفات التي تضفي عليه البطولة وتجعله مثلاً أعلى من شجاعة وكرم ومثل ، وشرف أصل ، ولهذا فإن الحماسة والفخر يعدان أبرز وأشيع أغراض الشعر الجاهلي وأحبها إلى النفوس ، وفي قصائد المفضل النكرى ، وعبد الشارق الجهني والسموءل بن عادياء .

نماذج للمعاني التي كان يفخر بها الشعراء الجاهليون .

(٢) <u>الغزل</u> :

الغزل من الموضوعات المحببة إلى النفوس . ولهذا كانوا يبدؤون به قصائدهم .

وفي الشعر الجاهلي لونان من الغزل هما الغزل العفيف الذي يعبر فيه الشاعر عن عواطفه النبيلة إزاء المرأة ، ويتعفف عن ذكر مفاتنها الجسدية ، فيصور أخلاقها وشرفها وعفتها ، ومن هذا النوع الجميل من الغزل تائية الشنفرى[1] التي يتحدث في بعض أبياتها عن المرأة الشريفة الكريمة .

قال :

(١) لقد أعْجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِناعُها ✱ إذا ما مَشَتْ، ولا بِذات تَلَفُّتِ
(٢) تَبِيتُ بُعيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَها ✱ لِجاراتِها إذا الهَدِيّةُ قَلَّتِ
(٣) كأنَّ لهَا في الأرضِ نِسْياً تَقُصُّهُ ✱ على أمِّها، وإنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ
(٤) أميْمةُ لا يُخْزِي نَثَاهَا حَلِيلَها ✱ إذا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وجَلَّتِ
(٥) فَدَقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأكْمِلَتْ ✱ فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ

<u>اللغة :</u>

الغبوق : ما يشرب في المساء من لبن وغيره .
نسيا : شيئاً مفقوداً .
أمِّها : قصدها الذي تريده .
تبلت : تتقطع في كلامها ، ولا تطيله .
نثاها : الحديث عنها .
اسبكرت : طالت .

---

[1] عامر بن عمرو : الملقب بالشنفرى . من الشعراء الصعاليك .

المعنى :

(١) إنها امرأة محتشمة في زيها ، قناعها على رأسها ، لا تدعه يسقط فيكشف شعرها ، وإذا مشت مشت في رزانة ووقار ، لا تتلفت تنظر إلى الناس وهذه من شيم النساء الفضليات .
(٢) إنها امرأة كريمة تؤثر جاراتها بهداياها في أيام الجدب والشدة عندما تشح الألبان، وتضيق بالناس الحياة .
(٣) ومن حيائها أنها إذا مشت خفضت نظرها إلى الأرض كأنها تطلب شيئاً ضاع منها فهي تطيل النظر إلى الأرض .
(٤) إنها عفيفة ، طاهرة الذيل ، لا تحوم حولها الشبهات ، كما تحوم حول غيرها من النساء ، فليس فيها ما يخجل زوجها .
(٥) جميلة ، دقيقة الجسم ليست مترهلة ، جليلة القدر ، ممشوقة القوام ، مكتملة المحاسن ، فلو كان الجمال يصيب الإنسان بالجنون ، لجنت هذه المرأة من حسنها وجمالها .

(٣) الرثاء :

ينبعث الرثاء من عاطفة إنسانية نبيلة هي عاطفة الحزن على فقد الأعزاء من الأهل والأصحاب .

لقد رثى الشاعر الجاهلي أهله وأصحابه وسادات قبيلته وفرسانها الذين كانوا يحمونها ويدافعون عنها ، وكان رثاؤهم صادقاً حارا ينضح بالحزن العميق .

كان الرثاء يتضمن الحديث عن شجاعة المرثِي ، وكرمه ونبله وما قام به في حياته من جلائل الأفعال . وتعداد مآثره .

وفي رثاء دريد بن الصمة لأخيه عبد الله نموذج طيّب للرثاء .

(٤) الحكمة :

يمر بالإنسان في حياته كثير من الأحداث التي لها تأثير عميق فيستخلص منها عبراً وحكماً يسجلها في شعره ، فتصبح ذخيرة للناس من بعده تسير مسير الأمثال يستشهدون بها في كثير من مواقف الحياة .

غير أن الشاعر الجاهلي لم يخصص للحكمة قصائد مستقلة ، وإنما تجيء حكمته متدفقة في أثناء قصيدته . وفي معلقة زهير بن أبي سلمى كثير من الحكم جعلت من زهير شاعراً حكيماً حتى أطلق عليه (حكيم الشعراء) .

(٥) الوصف :

وصف الشاعر الجاهلي كل ما وقعت عينه عليه من مظاهر بيئته ، وصف فرسه، ووصف ناقته ، ووصف حيوان الصحراء الذي كان يراه في رحلاته وهو يتجول في الصحراء والأودية ، ووصف الحرب وبشاعتها وما تتركه في النفوس من مآس ومفاجع ، ولكن الوصف جاء متخللاً أغراض الشعر كلها . ولم تخصص له قصيدة مفردة. وفي معلقات امريء القيس ولبيد وزهير نماذج لهذا الغرض .

(٦) المدح :

مدح الشاعر سادات قبيلته وكرماءها الذين كانوا يحملون أعباء القبيلة ويصلحون بين القبائل المتحاربة .

كان الشاعر يمدح مدفوعاً بالإعجاب بالممدوح ، مثلما مدح زهير بن أبي سلمى سيدين من سادات قبيلتي عبس وذبيان عندما سعيا في الصلح بين تينك القبيلتين اللتين احتربتا أربعين سنة راح فيها مئات القتلى ، فتحملا الديات التي بلغت آلافاً من الإبل . وهذا مدح يمليه الإعجاب .

وكان إلى جانب هذا النوع من المدح نوع آخر. هو المدح من أجل التكسب وطلب المال .

(٧) الهجاء :

الهجاء – في الشعر – ذم المرء وتعداد معايبه ، وإن العاطفة التي تملي الهجاء عاطفة الحقد والكره والعداوة ، والهجاء نقيض المدح .

يعد الهجاء من أشد الأسلحة التي كان يستخدمها الشعراء ضد أعدائهم . وكان العرب يخشون الهجاء ويخافون منه خوفاً شديداً ، لأنه يسيء إلى سمعتهم إساءة تسير بين القبائل ، وينشد في مجامعها . ومع ذلك كان الهجاء – في العصر الجاهلي – قليلاً إذا قيس بغيره من الأغراض .

وتتلخص معاني الهجاء في الذم بالبخل ، والغدر ، والجبن ، ووضاعة الأصل .

هجا بشر بن أبي خازم رجلاً يدعى أوس بن حارثة بن لأم . كان سيدا من سادات قبيلة بني لأم فقال :

(١) ألا أبلغْ بني لأمٍ رسولاً ✱ فبئسَ مَحِلُّ راحلةِ الغريبِ
(٢) إذا عَقَدوا لجارٍ أخفروهُ ✱ كَما غَرَّ الرِّشاءُ من الدَّنوبِ
(٣) وما أوسٌ ولو سوَّدتموهُ ✱ بمَخْشِيِّ العُــرَامِ ولا أريبِ

اللغة :

أخفروه : خذلوه ، ونقضوا عهده .
غر : قطع .
الرشاء : الحبل .
الذنوب : الدلو .
سودتموه : جعلتموه سيدا .
العرام : الشراسة والأذى .

المعنى :

(١) بلغوا – أيها الرواة – هذه الرسالة عني إلي قبيلة بني لأم وقولوا لهم إنكم بئس القوم لمن يلجأ إليكم من الغرباء ويحتمي بكم .
(٢) إنكم قوم غدارون ، لا توفون بالمواثيق والعهود ، فإذا عاهدتم جاراً لتحموه نقضتم عهدكم وقطعتموه كما ينقطع حبل الدلو ، فيهوي الدلو في قرار سحيق .
(٣) وقولوا لهم إن سيدكم أوسا رجل ضعيف ، ليست فيه قوة الرجال ولا شراستهم ، ولن ينفعه جعلكم له سيدا عليكم لأنه غبي لا يصلح للسيادة .

خصائص الشعر الجاهلي :

(أ) الخصائص المعنوية :

(١) البساطة ، وعدم التعقيد والبعد عن النظرات الفلسفية العميقة ، وإنما هي أفكار قريبة واضحة .
(٢) عدم الإغراق في الأخيلة .
(٣) البعد عن المبالغات التي ظهرت في أشعار المحدثين في العصر العباسي وما بعده ، إذ قلما تجد في الشعر الجاهلي هذه المبالغات السمجة التي تنبو عنها الأذواق .
(٤) الصدق في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، فالشاعر الجاهلي لا يخفي مشاعره ولا يزيفها ، فإذا أحب ، نقل حبه صادقاً حاراً ، وإذا كره ، أعلن كرهه وسخطه ، وإذا مدح ، صدق في مدحه ، فقد كانوا يمدحون الرجال بما فيهم دون تزيد أو إسراف .

(٥) أنهم كانوا يصوغون أفكارهم في أسلوب تقريري مباشر دون الدخول في الرموز والغموض .

(ب) <u>الخصائص اللفظية</u> :

(١) الإيجاز ، والبعد عن الإطناب .
(٢) التصوير ، كان الشاعر الجاهلي يستمد تشبيهاته من بيئته ، ومما يحيط به من أحياء وجمادات .
(٣) يستخدم الشاعر الجاهلي أحياناً شيئاً من المحسنات البديعية دون تكلف أو استكراه .
(٤) في ألفاظ الشعر الجاهلي شيء من الصعوبة والغرابة ، وهي غريبة علينا نحن ولم تكن غريبة علي الجاهليين إلي جانب اختلاف روايته . نسبة إلى أنه تنتقل بوساطة الرواية الشفهية إلى أن دُوِّن . فحدثت الخلافات بين الرواة.

ثانياً النثر :

مع أن النثر في العصر الجاهلي – لم يبلغ ما بلغه الشعر من الانتشار ، والشهرة واهتمام الناس به ، فقد كان له أثره في الأدب الجاهلي .

أنواع النثر الجاهلي :

(١) <u>الخطب والوصايا</u> :

تنوعت الخطب في هذا العصر، فكانت خطب الزواج، وخطب الصلح بين القبائل، والخطب الحربية، وخطب النصح والإرشاد مثل خطبة هاشم بن عبد مناف في قومه.

ومن الوصايا التي يوصي بها الآباء أبناءهم ، يقدمون لهم فيها خلاصة تجاربهم في الحياة ، كوصية عمرو بن كلثوم لأبنائه .

(٢) <u>الأمثال</u> :

المثل جملة قيلت في مناسبة خاصة ، ثم صارت – لما فيها من حكمة – تتنقل خلال الأجيال ، ويتمثل بها في كل مناسبة تشبه المناسبة الأولى التي قيلت فيها .

تحمل الأمثال حكماً وعظات يستفيد منها الناس ، وتكون لهم منارات تهديهم في دروب الحياة .

لابد أن يشتمل المثل على خصائص تميزه عن أنواع النثر الأخرى هي الإيجاز وحسن التشبيه ، وإصابة المعنى ، وحسن الكناية فإذا اجتمعت في المثل هذه الأربع عدوه نهاية البلاغة .

نموذجان من الأمثال :

(١) قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمْلأُ الْكَنَائِنُ .

الرماء : الرمي بالسهام والنبال .

الكنائن : جمع كنانة ، كيس من جلد تحفظ فيه السهام .

يقال للإنسان الذي يريد أن يقوم بأمر أن يستعد له قبل القيام ، كأن يقال للطالب الذي يريد النجاح في الامتحان " قبل الرماء تملأ الكنائن " .

(٢) يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ .

أوكتا : ربطتا ، والوكاء سير تربط به القربة .

يضرب لمن لا يتقن أموره و يحكمها .

ولهذا المثل قصة :

قالوا : إن رجلاً أراد أن يعبر نهراً ، ولم يجد مركباً ، فجاء بقربة ونفخها ولكنه لم يحكم ربطها ، ولما توسط النهر انحل الوكاء فخرج الهواء من القربة فصاح يطلب النجدة . وكان رجل يقف على الشاطئ فقال له : يداك أوكتا وفوك نفخ . ويقال أيضاً للطالب الذي يهمل مذاكرة دروسه ، فيرسب في الامتحان .

خصائص النثر الجاهلي :

(١) المعاني واضحة سهلة ، تصدر عن بديهة حاضرة لا تكلف فيها .
(٢) الأسلوب قائم علي الإيجاز ، لأنهم كانوا يعدون البلاغة في الإيجاز .
(٣) الخلو من المحسنات البديعية المتكلفة .

(١ – ٢) الجـواد الأصيـل

من معلقة امريء القيس

عرف العرب – في شبه جزيرتهم – أنواعاً كثيرة من الحيوانات والطيور منها الأسود والنمور والفهود ، والغزلان والظباء والجواميس ، وحمر الوحش والبغال والخنازير ، والضباع والذئاب والكلاب . والبقر الأنيسة والمعز والضأن والنعام والحدأ والنسور . عرف العرب كل تلك الحيوانات غير أن أشهر الحيوانات وأقربها وأحبها إلي نفس العرب ، الإبل والخيل .

أما الإبل ، فهي الحيوان الذي يمدهم باللبن واللحم ، لهم ولضيوفهم وللفقراء والمساكين ، ومن أوبارها ينسجون خيامهم وأكسيتهم ، وهي التي يدون بها القتلى ويفكون بها الأسرى . ويسمونها (الأنعام) لذلك قال اللغويون " النعم مختص بالإبل ، وجمعه أنعام ، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة " .

وأما الحيوان الآخر فهو : الجواد ، والجواد مركبهم في الحرب يدفعون به عن أنفسهم وحرمهم ، ويدركون به ثاراتهم ، وهو الذي يخرجون به إلي الصيد في أوقات سلمهم ولهوهم . قال ابن قتيبة (الخيل حصون العرب ، ومنبت العز وثمال[١] العيال ، وعليها تصاد الوحوش ، وكانوا يؤثرونها على الأولاد باللبن وقد كني الله عنها في كتابه بالخير في قوله تعالى : حكاية عن سيدنا سليمان ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٢] قال المفسرون : يعنى بالخير الخيل ، والعرب تسميها كذلك .

(١ – ٢ – ١) الشاعر :

هو امرؤ القيس بن حجر ، يرجع أصله إلى قبيلة كندة اليمنية التي هاجرت منذ زمن بعيد إلى وسط الجزيرة العربية واستقرت في نجد .

كان أبوه ملكاً على قبيلة بني أسد ، ولما كان مستبداً ظالماً ، ثارت عليه القبيلة وقتلته وحاول امرؤ القيس أن يأخذ بثأر أبيه فلم يفلح .

كانت حياة امرىء القيس كلها لهواً وعبثاً ، قضاها بين الخمر والنساء والصيد حتى لقب بالملك الضليل ، والضليل : الكثير الضلال .

---

[1] الثمال : المعين والمغيث .

[2] ص : ٣٢ .

يعد امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية ، لأنه كان ذا أسلوب فريد ، وخيال رائع وابتكارات لم يسبقه إليها أحد . وقد برع في الوصف براعة فائقة .
من أجود شعره معلقته المشهورة . والمعلقات : قصائد طويلة استجادتها العرب فكتبتها في قماش أبيض وعلقتها في جوف الكعبة ، ولكن كثيراً من مؤرخي الأدب العربي ونقاده لم يقبلوا هذا القول .

(١ – ٢ – ٢) حول النص :

يتحدث امرؤ القيس في هذه الأبيات بفخر وإعجاب عن جواده هذا الذي كان يخرج به في الغداة الباكرة ليستمتع بصيد الوحش ، ويبلغ إعجابه بالجواد أن يجعله قيدا للوحش فلا يكاد يفلت منه فهو جواد من كرائم الخيل ، جمع خلقه أجمل ما في الحيوانات من صفات فهو ذو جسم جميل متناسق ، ولعل في تشبيه جسمه الأملس ذي اللون الكميتي بمداك العروس ما يشير إلى هذا الإعجاب . كما جمع أفضل ما يبتغى من خصال الخيل ، وهي السرعة التي تحب في حياة السلم والحرب .

النص :

(١) وقَدْ أغتَدي والطّيرُ في وُكُناتِها ✱ بمُـــنجَردِ قَـــيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

اللغة :

أغتدي : أخرج في الصباح الباكر ، والغدوة ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس .
وكناتها : جمع وكنة (بضم الواو وسكون الكاف) عش الطائر .
المنجرد : الفرس القليل الشعر ، وذلك دليل على جودته وسرعته .
قيد الأوابد : الأوابد هي الوحوش ، ويراد منها هنا : الصيد من غزلان وأبقار وحش ، ومعنى (قيد الأوابد) ، أنه يلحق الصيد حتى يصير لها مثل القيد ، فلا تستطيع منه إفلاتا .

المعنى :

يقول امرؤ القيس: إنني أخرج إلى الصيد كل يوم في الصباح الباكر قبل أن تترك الطيور أعشاشها ، ممتطياً فرساً أصيلاً ، ضخماً ، خفيف الشعر .

(٢) مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدْبرٍ مَعاً ✱ كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

اللغة :

مكر : سريع الكر ، والكر هو الهجوم على العدو أو الصيد .
مفر : سريع الفرار ، ينجو بصاحبه إذا حلت به الهزيمة في الحرب ، ثم يعود به للهجوم مرة أخرى وهو لشدة سرعته يتبع الصيد أينما ذهب .
مقبل : يقبل على ما يريد راكبه أن يقبل عليه .
مدبر : الإدبار التقهقر ، والرجوع إلى الوراء .
الجلمود : الصخر ، ويسمي أيضاً الجلمد .

المعنى :

يصف امرؤ القيس فرسه بالسرعة ، فهو سريع الكر سريع الفر ، سريع الإقبال ، سريع الإدبار ، يشبه في سرعته صخرة دحرجها السيل من أعلى الجبل .
إن هذه الحركات مجتمعة في طبيعته ، وقوته ، وليس في فعله ، أي إنه ليحسن الكر والفر إذا أريد منه ذلك .

(٣) كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ ✱ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزِّلِ

اللغة :

كميت : الكمتة : لون بين الأحمر والأسود ، أو هو اللون الأحمر الذي يميل إلى السواد .
يزل : ينزلق .
اللبد : بكسر اللام ، قطعة من جلد أو غيره توضع تحت سرج الدابة .
حال : وسط .
المتن : الظهر ، والجمع متون .
الصفواء : الصخرة الملساء التي ينزلق عنها ما ينزل عليها من ماء وغيره .
المتنزّل : السيل .

المعنى :

يقول إن فرسه كميت ممتليء ، أملس الظهر ينزلق من يركب عليه كما تنزلق قطرات المطر من على الصخرة الملساء .

(٤) على الدَّبْلِ جَيَّاشٍ كأنَّ اهْتِزامَهُ ✱ إذا جاشَ فيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

اللغة :

الذبل : ضمور خصر الفرس ، وإذا كان الفرس ضخم الجثة ضامر الخصر دل ذلك على أنه فرس جيد أصيل .

جياش : يقال جاشت القدر إذا غلت فسمع لغليانها صوت يعني

الاهتزام : فارت.

المرجل : صوت يخرج من صدر الفرس عندما يسرع في الجري. القدر التي يطبخ فيها .

المعنى :

إنه فرس ضامر الخصر ، سريع الجري ، حتى إنك لتسمع لصدره صوتاً مثل صوت القدر عندما تغلي

(٥) مِسَحٍّ إذا ما السَّابِحَاتُ على الوَنَى ✱ أثَرْنَ الغُبَارَ بالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

اللغة :

مسح : يقال : سحت السحابة إذا أمطرت مطراً شديداً متواصلاً ومسح سريع في جريه كأنه المطر المنهمر .

السابحات : هي الخيل التي كأنها تسبح في جريها ، ويقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جريه ، وقد أقسم الله بالخيل السريعة فقال : ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ ﴾ [1] .

الونى : التعب : يقال ونى يني إذا فتر وتعب .

أثرن : هيجن الغبار .

---

[1] سورة النازعات

الكديد : الأرض الصلبة .
المركل : الأرض التي ركلتها الخيل بحوافرها حتى ثار غبارها والخيل إذا كانت سريعة لا تؤثر حوافرها في الأرض الصلبة، ولكن إذا فترت فإنها ستحفر الأرض وتثير الغبار.

المعنى :

يقول إن فرسه قوى سريع ، إذا فترت الخيل الأخرى فأثارت الغبار ، كان هو في غاية نشاطه وسرعته .

(٦) يَزِلُّ الغُلامَ الخِفَّ عَنْ صَهَواتِهِ ✱ ويُلْوي بأثوابِ العَنيفِ المُثَقَّلِ

اللغة :

الخف : الخفيف الجسم .
الصهوات : جمع صهوة (بفتح الصاد وسكون الهاء ، وفتح الواو) وهي موضع اللبد على ظهر الفرس ، والموضع الذي يجلس عليه الفارس .
يلوي : يرمي .
العنيف : الشديد الذي ليس برفيق .
المثقل : الثقيل .

المعنى :

هذا الفرس سريع في جريه ، فإذا ركبه الغلام الصغير الخفيف ، زل عن ظهره ووقع علي الأرض ، وإذا ركبه الرجل الثقيل رمى بثيابه.

(٧) دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أمَرَّهُ ✱ تَتابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

اللغة :

دريرٍ : سريع ، يقال : در الفرس يدر دريراً إذا جرى جرياً شديداً .
الخذروف : عود صغير مشقوق في وسطه يربط فيه خيط ، ويدور فيسمع له صوت ، ويشبه به كل سريع ، وهي لعبة من ألعاب الصبيان .
أمره : أحكم فتل خيطه .
موصل : أملس ، يوصل لكثرة انقطاعه بسبب سرعة الدوران .

المعنى :

يصف امرؤ القيس سرعة فرسه بأنها تشبه سرعة الخذروف الذي يلعب به الصبيان .

(٨) لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَساقا نَعَامَةٍ ✱ وإرْخَاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

اللغة :

الأيطلان : مثنى إطل (بكسر الهمزة وسكون الطاء) والإطل الخاصرة ، وهي ما بين أسفل الأضلاع وأعلى الورك وهما خاصرتان .
الظبي : الغزال .
الإرخاء : جري ليس بالسريع .
السرحان : (بكسر السين) الذئب .
التقريب : أن يرفع الحيوان يديه معاً ويضعهما معاً .
التتفل : ولد الثعلب .

المعنى :

وصف امرؤ القيس في هذا البيت فرسه وصفاً دقيقاً ، فشبه خاصرتيه في ضمورهما بخاصرتي الظبي ، وساقيه بساقي النعامة ، وساقاها قويان وكذلك الفرس الأصيل قصير الساق . وجريه الخفيف بجري الذئب ، وشبه نوعاً من جريه بتقريب ولد الثعلب .

(٩) ضَلِيعٍ إذا استدبَرْتَهُ سَدَّ فَرجَهُ ✱ بِضَافٍ فُوَيقَ الأرضِ لَيسَ بأعْزَلِ

اللغة :

ضليع : ضخم الأضلاع ، ممتليء الجنبين ، والجمع ضلعاء .
استدبرته : وقفت وراءه .

فرجه : ما بين رجليه .
ضاف : طويل ، لكنه لا يمس الأرض ، ومن عيوب الخيل قصر الذيل .
أعزل : ملتوي الذنب ، وهذا أيضاً من عيوب الخيل ، وهو أن يكون ذنبه مائلاً إلى ناحية .

المعنى :

إن فرس امريء القيس جمع كل الصفات التي تحمد في الخيل ، فهو ضخم وذيله طويل ، ولكنه لا يمس الأرض ، معتدل ، لا يميل إلى أحد جانبي الفرس .

(١٠) كَأنَّ على المتْنَيْنِ منه إذا انْتَحَى ✱ مَداكَ عَرُوسٍ أوْ صَلايَةَ حَنْظَلِ

اللغة :

المتنان : جانبا الظهر .
انتحى : قصد .
المداك : حجر تسحق عليه عطور العروس فهو دائماً أملس لامع.
الصلاية : ما يسحق فيه الطيب فقال : سحق الطيب على الصلاية .
الحنظل : نبات لا ساق له ، يمتد على الأرض ، ثمره كروي
: الشكل شديد المرارة يضرب به المثل في المرارة ويسحق بالصلاية كذلك .

المعنى :

يصف امرؤ القيس ظهر فرسه بالملوسة حتى تحسبه تلك الصخرة التي يسحق عليها الطيب للعروس أو الصلاية يدق بها حب الحنظل ، فهي دائماً ناعمة ملساء .

(١ – ٢ – ٣) التعليق :

(١) لقد كان امرؤ القيس في شبابه لا هياً عابثاً لا هم له إلا التمتع بالخمر والنساء والصيد ، يتجول في بادية نجد مع أصحابه يطلبون اللهو ، وله في هذا قصص وأحاديث .
(٢) وصف فرسه بالصفات التي تحمد في الخيل ، فهو فرس سريع ، والسرعة هي الصفة التي تحب في الجواد سواء في الحرب أو في الصيد. وفرس

امريء القيس سريع يدرك الصيد أينما كان ، وكيفما اتجه فيصير له كالقيد.
ويصفه بالصخرة المتدحرجة من أعلى الجبل لا يصدها شيء ، ويصفه بأنه كميت اللون ، وهذا اللون محبب في الخيول .
وتحدث عن أعضاء جسمه ، ساقيه ، وظهره ، وذنبه .

(٣) استخدم امرؤ القيس في هذا الوصف التشبيه ، واستعمل من أدوات التشبيه كاف التشبيه وكأنَّ .

(٤) الحرف (قد) في البيت الأول يفيد التكثير . أي أنه كثير الخروج إلى الصيد .

(١ – ٣) داعيــة الســـلام

من معلقة زهير بن أبى سلمى

إن أبرز سمة من سمات الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي هي الحروب ، حروب لا تنطفيء حتى تشب من جديد . حتى صارت سنة من سننهم ، فالحرب تلد الحرب ، لأن أهل القتلى يطلبون الثأر فتتجدد الحرب . وهكذا حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها ؟

وتنشأ الحروب بسبب مشاجرة بين رجلين أو اختلاف حول المرعى ، أو بسبب إهانة .

ومن هذه الحروب التي كانوا يسمونها " الأيام " بأسماء المواقع التي دارت فيها مثل (يوم ذي قار) ، و(يوم خزاز) الخ – نشأ شعر الفخر وشعر الحماسة .

وإنَّ من أفضل ما يصور هذه السمة الجاهلية هو زهير بن أبى سلمى الذي صور الحرب بصورة منفرة في أبياته من معلقته المشهورة .

(١ – ٣ – ١) الشاعر :

اسمه زهير بن ربيعة بن رباح ، وكنية والده (أبو سلمى) من قبيلة مزينة ، فهو من قبيلة مضر ، يعد في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، فهو حكيم الشعراء الجاهليين ، كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأختاه شاعرتين وابناه كعب وبجير شاعرين .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضله على كل شعراء الجاهلية لسهولة شعره وقوته ، لم يكن يمدح الرجل إلا بما فيه ، أي أنه كان صادقاً في مدحه ، ويمتاز شعره بمتانة الألفاظ وبالسهولة والإيجاز .

وهذه الأبيات من معلقته المشهورة التي هي إحدى المعلقات السبع . وقد أنشأها بسبب الحرب الطاحنة التي دارت بين قبيلتي عبس وذبيان " أربعين سنة " وسبب الحرب أن رجلين من قبيلتي عبس وذبيان تراهنا على فرسين أحدهما يسمى (داحس) والثاني فرس تسمى (الغبراء) وأن للسابق منهما عشرين بعيراً جائزة . فجاءت الغبراء سابقة ، لكن أصحاب داحس اعترضوها فسبقها داحس ولما علم أصحاب الغبراء بما حدث ، ثارت الحرب بينهما حتى تدخل هرم بن سنان والحارث بن عوف . فأصلحا بين القبيلتين ، ودفعا ديات القتلى .

فأنشأ زهير هذه القصيدة يمدح فيها هذين الرجلين ، ويدعو إلى السلام ، ونبذ الحرب .

(١ – ٣ – ٢) **النص :**

(١) فَأَقْسَمْتُ بِالبيْتِ الذي طَافَ حَوْلَهُ ✱ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُم

اللغة :

جرهم : (بضم الميم وسكون الراء وضم الهاء) قبيلة عربية يمانية قديمة نزلت إلى الحجاز ، وسكنت مكة ، وهم الذين تزوج منهم سيدنا إسماعيل عليه السلام .

قريش : قريش القبيلة المعروفة وهم أهل الحرم .

المعنى :

يقسم الشاعر بالكعبة التي طاف حولها وبناها رجال هاتين القبيلتين ، المقسم عليه في البيت التالي :

(٢) يَميناً لَنِعْمَ السَّيدَانِ وُجِدْتُمَا ✱ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَم

اللغة :

السحيل : الحبل المفتول فتلاً خفيفاً .

المبرم : الحبل المفتول فتلاً قوياً .

المعنى :

يقول إنه حلف حلفاً مؤكدا على أن هذين السيدين ، وهما هرم ، والحارث من أفضل الرجال عند كل حال . فقد وجدهما الناس مستوفيين لخلال الشرف والسيادة لأنهما أصلحا بين هاتين القبيلتين وتحملا ديات القتلى .

(٣) تَدَارَكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَما ✱ تَفَانَوْا وَدَقّوا بَيْنَهم عِطرَ مَنْشَمِ

اللغة :

التدارك : التلافي .
تفانوا : أفنى بعضهم بعضا ، أي قتل بعضهم بعضا .
عطر منشم : منشم امرأة كانت تبيع العطر ، قالوا : إن قوماً من العرب اشتروا منها إناء مملوءاً بالعطر ، وتحالفوا وغمسوا أيديهم في ذلك العطر ، ودخلوا في حرب مع عدو لهم فقتلوا جميعاً فتشاءمت العرب من هذه المرأة وعطرها وضربوا بها المثل فقالوا " أشأم من منشم " .

المعنى :

قال إنكما أيها السيدان تلافيتما هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما .

(٤) وَقَد قُلتُما إنْ نُدركِ السّلمَ واسِعاً ✱ بِمَالٍ وَمَعْرُوْفٍ مِنَ الأمرِ نَسْلَمِ

اللغة :

السلم : بكسر السين أو فتحها ، الصلح .

حكى زهير عن هذين السيدين أنهما قالا: إننا إذا وصلنا إلى إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال ، وإسداء المعروف ، سلمت القبيلتان من القتل والفناء .

(٥) ألاَ أبْلِغ الأحْلافَ عَنِّي رِسَالةً ✱ وَذُبْيَانَ: هَلْ أقسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

اللغة :

الأحلاف : القوم يتحالفون على فعل شيء ، والأحلاف ، القبائل التي تحالفت علي الحرب .
هل أقسمتم : أي قد أقسمتم ، وهل هنا بمعنى قد .
مقسم : القسم .

المعنى :

يخاطب القبيلتين فيقول إنكما قد أقسمتم على الصلح ، فإياكم ونقض العهد قوله " إياكم ونقض العهد " هي الرسالة التي أراد تبليغها لهم .

(٦) وَمَا الحَرْبُ إلاّ ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ✱ وَمَا هُوَ عَنْهَا بالحَديثِ المُرَجَّم

اللغة :

ذقتم : جربتم .
الحديث المرجم : الذي يظن ظناً وليس حقيقة .

المعنى :

إن الحرب هي التي علمتموها وجربتموها ، وجربتم ويلاتها ، وإن الذي أقوله لكم عنها ليس ظنوناً ولكنه الحقيقة التي تعرفونها عن الحرب وفظائعها .

(٧) متى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً ✱ وَتَضْرَ إذا ضَرّيْتُمُوها فَتَضْرَم

اللغة :

تبعثوها : تثيرونها توقدون نار الحرب .
ذميمة : قبيحة يذمها الناس ويكرهونها .
تضر : تشتعل وتلتهب .

المعنى :

يقول إنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذممتم . ومتى أشعلتموها ، اشتعلت وأكلت الأخضر واليابس ، فالشاعر يدعوهم إلى التمسك بالسلم ، ويعلمهم بسوء عاقبة الحروب .

(٨) فَتَعْرُكُمْ عَرْكَ الرِّحَى بِثِفَالِها ✱ وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

اللغة :

تعرككم : تدور عليكم وتطحنكم .
الرحى : الآلة التي تطحن بها الحبوب .
الثفال : قطعة من جلد توضع تحت الرّحى لينزل عليها الدقيق .
تلقح : تحمل في بطنها جنيناً ، يقال لقحت الناقة إذا حملت جنيناً .
كشاف : الكشاف أن تحمل الناقة كل سنة ، وذلك أسوأ الحمل والأحسن أن تحمل الناقة سنة وتراح سنة وذلك أقوى لها ولما تلد .
تنتج : تلد .
تتئم : تلد توأمين .

المعنى :

ينفر الشاعر الناس من الحرب فيشبهها برحى دائرة تطحن الناس طحناً مثل ما تطحن الرحى الحب ، ويشبهها أيضاً بالناقة التي تحمل كل عام ولا تلد إلا شرا إثر شر .

(٩) فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ✱ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

اللغة :

أشام : شديد الشؤم والشؤم ضد اليمن والشؤم شر كله .

المعنى :

يقول لهما إن الحرب شؤم على الناس،فلا تنتج إلا مشائيم أي الحرب لا تلد إلا شراً. ولا ترضع أبناءها إلا الحقد والثأر فيكون هؤلاء الأبناء مثل ذلك الرجل الذي عقر ناقة ثمود فحلّ العقاب علي القبيلة كلها . قال شراح المعلقة:إن الذي عقر الناقة ليس من قوم عاد ، وإنما هو من ثمود وبهذا غلطوا زهيرا وقالوا إنه أخطأ.وقال آخرون لم يخطئ زهير لأن ثمود تسمى عادٌ الأخيرة. ويقال لقوم هود

عادٌ الأولى ، واستدل أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النجم: ٥٠]

(١٠) فَتُغْلِلْ لكُمْ ما لا تُغِلُّ لأهْلِهَا ✱ قُرىً بِالعِراقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ

اللغة :

تغلل : تأتي بالغلة ، الغلة كل ما تؤتيه المزرعة من خير .
القفيز : مكيال تكال به الحبوب .

المعنى :

يتابع زهير رسم صورة الحرب لينفر الناس منها ، فيقول لا يأتيكم منها ما تسرون به . مثل ما يأتي أهل العراق من الخير ، وإنما يأتيكم منها ما تكرهون . أي أنَّ المضار التي تسببها الحرب أكثر من المنافع التي تغلها مزارع العراق الغنية بالخيرات . وكل هذا دعوة إلى نبذ الحرب ودعوة إلى السلم .

(١ – ٣ – ٣) التعليق :

(١) إن مدح زهير لسيدي عبس وذبيان مدح خالص ولم يطلب من وراثه مالا ، وإنما هو إعجاب بكرماء الرجال .
(٢) استخدم زهير كل ما في اللغة من وسائل التصوير فرسم للحرب صورة بشعة فهي مثل الرحى ، ولكنها تطحن الناس ، وهي مثل الناقة التي لا تلد إلا شؤماً ، وأن ما تلده الحرب يجر على قومه الدمار والهلاك مثلما جر ذلك الرجل من قوم ثمود الهلاك على قومه عندما عقر الناقة .
(٣) من وسائل البيان التي استخدمها زهير في هذه الأبيات . التشبيه في قوله : تعرككم عرك الرحى ، وهو تشبيه بليغ ، ومثل قوله : كأحمر عاد وشبهها بالنار واستخدم ، أيضاً أسلوب القصر مثل ما الحرب إلا ما علمتم ، واستخدم أيضاً الاستعارة مثل تلقح كشافا .

(١ – ٤) فـــارس بنـى عبـــس

من معلقة عنترة بن شداد

يعد الفخر من أبرز موضوعات الشعر الجاهلي ، وذلك راجع إلى طبيعة الحياة البدوية في ذلك العصر ، الحياة التي تستلزم شجاعة فائقة ، فالفارس الشجاع هو الذي يحمي القبيلة ، يحمي مالها ، ويصون حريمها ، ويرد عنها عدوان المعتدين . لذلك .. لم يكن غريباً أن يكون التغني بالشجاعة في الحرب أبرز نغم في قيثارة الشعر العربي .

كان عنترة أشهر فرسان العرب ، قضى حياته كلها على صهوة جواده يصول ويجول في معارك قبيلته عبس مع القبائل الأخرى . وقد شهد معارك داحس والغبراء التي تحدثنا عنها سابقاً .

ظل عنترة الفارس المُعَلَّمَ [1] حتى قتل في أخريات العصر الجاهلي .

(١ – ٤ – ١) الشاعر :

هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ، وهو بالإضافة إلى فروسيته كان شاعراً من شعراء الجاهلية المبرزين ، وأحد الشعراء الذين استجاد فصحاء العرب شعرهم فوضعوا قصيدته الميمية بين المعلقات .

كان عنترة أسود اللون ، لأن أمه إفريقية ، فكما كان شاعراً متميزاً كان نبيل النفس ، كريم الخلق . يتميز شعره بالرقة والعذوبة والسهولة .

أحب عنترة ابنة عمه عبلة حباً ملك عليه قلبه ، فطلب من والدها أن يتزوجها ولكن والدها رفض ، لأن عنترة أسود اللون ، ومن تقاليد العرب في الجاهلية – التي رفضها الاسلام – ألا تتزوج العربية من غير العربي .

لقد عاني عنترة من ذلك عناءً شديداً . فنظم فيها شعراً رقيقاً جميلاً ، مزج فيه الغزل بالفخر ، فهو عندما يفخر إنما يريد أن ينال إعجابها وتقديرها والأبيات التالية تشير إلى هذا الفخر الممتزج بالغزل .

(١ – ٤ – ٢) النص :

(١) إن تُغْدِفِي دُونِي القِنَاعَ فإنّني ✱ طَبٌّ بأخذ الفارس المُسْتَلْئِم

---

[1] المُعَلَّم : هو الفارس الذي جعل على نفسه علامة يعرف بها في الحرب ، وذلك لشجاعته .

اللغة :

تغدفي : ترخي يقال : أغدفت المرأة قناعها إذا أرخته على وجهها .

طبّ : خبير ، حاذق . ومنه الطيب أي الماهر.

المستلئم : الفارس الذي يلبس اللأمة ، واللأمة ، عدة الحرب من سيوف ورماح ودروع ، يقال : استلأم الفارس إذا لبس الدرع ، وتقلد السيف وأمسك بالرمح .

المعنى :

يقول مخاطباً محبوبته عبلة : إذا استترت عني واحتجبت ، فإني خبير حاذق بقتال الفرسان المدججين بالسلاح ، أي لا ينبغي لك أن تزهدي في وأنا الفارس الشجاع الذي يهزم الفرسان المدرعين .

(٢) أثني عَليّ بمَا عَلِمتِ، فإنّني ✱ سَمْحٌ مُخَالَقَتي، إذا لَمْ أُظْلَمِ

اللغة :

أثني : اذكري ما تعرفينه عني من كرائم الأخلاق ، فإني سهل المعاشرة .

المخالقة : المعاشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خالق الناس بخلق حسن) .

المعنى :

يقول لعبلة : اذكري محاسني ، فإذا لم تكوني تعرفينها ، فإني حسن المعاشرة للناس شريطة ألا يمسني أحد بظلم ، وألا يهضم حقي إنسان .

(٣) فإذا ظُلِمتُ فإنَّ ظُلمَيَ باسِلٌ ✱ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ

اللغة :

باسل : كريه لا يطاق .

العلقم : الحنظل

المعنى :

إنني طيب الخلق ، حسن المعشر إذا لم أظلم ، أما إذا ظلمني أحد ، ومس كرامتي ، فإن ظلمي مر مثل طعم الحنظل لا يحتمله من ظلمني .

(٤) هَلاّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابنَةَ مالِكٍ ✱ إنْ كُنْتِ جاهِلةً بِمَا لَمْ تَعْلَمي

اللغة :

هلا : كلمة تستخدم لحث الإنسان على فعل شيء أو تركه ، وتسمى (أداة التحضيض) .

سألت الخيل : سألت الفرسان ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴾[يوسف ٨٢].

المعنى :

يطلب عنترة من عبلة أن تسأل عنه الفرسان ، فإنه واحد منهم فسيخبرونها بشجاعته الفائقة ، وأخلاقه الرفيعة .

(٥) إذْ لا أزالُ على رِحَالَةِ سابحٍ ✱ نَهدٍ، تعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ

اللغة :

الرحالة : السرج ، وهو سرج يصنع من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد .

سابح : فرس كريم ، يسبح في جريه سبحاً .

نهد : غليظ ضخم .

تعاوره : تبادلوه بالطعن ، فهذا يطعنه من جهة وذاك من الجهة الأخرى .

الكماة : جمع كمي وهو الفارس الشجاع الجريء .

مكلم : كثرت جروحه ، الكلم : الجرح .

المعنى :

يحدثها أنه فارس شجاع يعرف الفرسان شجاعته ، فهو دائماً على فرس ضخم سريع ، يخوض به المعارك ، فتقع عليه السيوف والرماح ، فهو فرس مجرب .

(٦) طَوراً يُجَرَّدُ للطَعانِ وتارَةً ✱ يَأوي إلى حَصِدِ القِسيّ عَرَمْرَمِ

اللغة :

طوراً : مرة ، وكذلك تارة .
يجرد : يهيأ للحرب والطعن .
حصد : كثير ، مستحكم .
القسي : جمع قوس ، وهو من آلات الحرب تقذف بها السهام .
عرمرم : كثير .

المعنى :

إنني دائماً على فرس قد هيأته للحرب ، فمرة أخرج به في صفوف قومي لأطاعن الأعداء ، ومرة أعود إلى قومي ، وهم قوم كثيرو العدد أقوياء .

(٧) يُخْبِرُكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أنّني ✱ أغشَى الوَغَى، وأعفُّ عندَ المَغنَمِ

اللغة :

الوقيعة : الحرب .
الوغى : أصوات الفرسان في الحرب ، ثم أطلق على الحرب نفسها .
المغنم : ما يأخذه المتحاربون بعضهم من بعض .

المعنى :

يقول لعبلة : إنني معروف في الحرب . فإن الفرسان كلهم يعرفون أخلاقي فأنا أخوض الحرب . وأبلي فيها بلاء حسناً ، فإذا انتهت المعركة . لا آخذ من الغنيمة شيئاً لأني عالي الهمة ، كبير النفس ، ليس همي في الحروب أن أستولي على الغنيمة ، وإنما همي نصرة قومي .

(٨) ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ ✱ لا مُمعِنٍ، هَرَباً ولا مُستَسْلِمِ

اللغة :

المدجج : الفارس الكامل السلاح
الكماة : الفرسان

نزاله : مقابلته في الحرب .
ممعن : متباعد في الهرب .

المعنى :

يفخر بأنه يقاتل الفارس المسلح ، الكامل السلاح الذي تهابه الشجعان ذلك الفارس الشجاع الذي لا يمعن في الهرب إذا اشتد عليه بأس عدوه ، وليس بذلك الجبان الذي يستسلم لعدوه ، أي أنه فارس يحسن الكر والفر .

(٩) جَادَتْ يَدايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ✱ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ
(١٠) برَحِيبَةِ الفَرغَينِ يَهْدي جَرْسُها ✱ باللّيلِ مُعتَسَّ الذّئابِ الضُّرَّمِ

اللغة :

مثقف : المثقف هو الرمح المعتدل المستوي .
الكعوب : جمع كعب وهو العقدة بين الأنابيب التي في عود الرمح أو القصب .
صدق : قوي صعب .
مقوّم : معتدل ليس فيه اعوجاج .
الرحيبة : الواسعة : يقال : دار رحبة ورحيبة إذا كانت واسعة .
الفرغين : مثنى فرغ فهو فم الدلو الواسع .
جرسها : صوتها .
المعتس : الذي يحوم ليلاً ، والذئاب تعس ليلا تطلب فريسة تأكلها .
الضرم : جمع ضرم الجائع ، أي ذئاب جائعة .

المعنى :

يقول : إنه إذا لقي ذلك الفارس الكميّ فإنه يبادره بطعنة من رمح قوي صلب تجعل الدم يتدفق من جرح واسع فيسمع لتدفقه صوت تسمعه الذئاب ليلاً فتأتيه لتأكله .

(١ – ٤ – ٣) التعليق :

(١) لقد صور عنترة شجاعته هذه تصويراً ينتزع الإعجاب من كل إنسان ولما كان فخره موجهاً إلى عبلة فلا شك أنها أعجبت به إعجاباً كثيراً .

(٢) يفخر عنترة بمجموعة من الصفات الكريمة . فهو عندما يخوض الحرب لا يخوضها من أجل الغنيمة ، لأنه يعف عن ذلك ، ولكنه يخوضها من أجل قومه .

(٣) صاغ عنترة فخره بشجاعته في صورتين ، الأولى أنه صاحب فرس تعلَّم على الحرب ، فرس قوي ضخم ، جرحته السيوف .
والصورة الأخرى لقاؤه لذلك الفارس الذي هابته الفرسان وخافت من لقائه ، فقابله هو وطعنه برمحه طعنة قاتلة ، واسعة ، يسمع لدمه منها صوت . أسرعت له ذئاب الفلاة الجائعة .

(٤) أسلوب عنترة في هذه الأبيات سهل واضح ، استخدم فيه من ألوان البيان ما يسمى المجاز المرسل ، الذي علاقته المحلية ، وذلك في قوله " هلا سألت الخيل " حيث ذكر الخيل وأراد الفرسان الذين يركبونها .

(١ – ٥) قيـــم ومثـــل

من معلقة لبيد بن ربيعة العامري

الشاعر الجاهلي مرتبط بقبيلته ارتباطاً وثيقاً لا يستطيع أن يتخلى عنها لأنها هي التي تحميه وتذود عنه وتحافظ على حياته ، وعندما تطرد القبيلة فرداً من أفرادها – شاعرا كان أو غير شاعر – إنما تفعل ذلك لأنه جر عليها من المصائب ما لم تستطع له دفعاً .

إن الشاعر – في العصر الجاهلي – هو لسان القبيلة المعبر ، وصوتها الذي يذيع – في المجتمع العربي – مفاخرها ومآثرها ، وهو الذي يرفع أقدار عظمائها قالوا : " كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبّ عن أنسابهم وإشادة بذكرهم " .

وفي الأبيات التالية من معلقة لبيد صورة رائعة له ولسادات قبيلته ، ولما كان يشيع في تلك القبيلة من قيم رفيعة ، وأخلاق عالية ، وهي صورة حقيقية ليس فيها مبالغة أو تهويل .

(١ – ٥ – ١) الشاعر :

هو لبيد بن ربيعة بن مالك يكنى (أبا عقيل) أحد الشعراء الفرسان ينحدر من أسرة ذات شرف وسيادة . كان شاعر قبيلته الأوحد . قالوا عاش في الجاهلية ستين سنة ، وأدرك الإسلام فعاش فيه قرابة ستين سنة أيضاً ، أي أنه من المعمرين ويسمي الشاعر الذي عاش في الجاهلية والإسلام (المخضرم) . توفي سنة ٤١ هـ .

يتميز شعره بالوضوح ، فمعانيه واضحة لا غموض فيها ، كما أنَّه يتميز بالصدق وتكثر الحكمة في شعره ، وهي حكمة مستقاة من تجاربه الخاصة ، وثقافته البدوية .

في الأبيات التالية يفخر لبيد برجال قبيلته ، ولما كان هو واحداً من رجال القبيلة وكبرائها ، فإنه يستخدم الضمير (نا) ، ومما ذكره عن هؤلاء الرجال أنهم أقوياء الشخصية ، رزان ، أمناء ، كبارهم ، وصغارهم ، وأنهم فرسان القبيلة وحكامها الذين يحكمون قضاياها ، وهم بعد ذلك كله كرماء .

(١ – ٥ – ٢) النص :

(١) إنَّا إذا الثقَتِ المَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ ✱ مِنّا لِزَازُ عَظِيمةٍ، جَشّامُهَا

اللغة :

المجامع : الأماكن التي يلتقي فيها العرب ، فيتفاخرون .
لزاز : اللزاز هو من يلزم الشيء ، وهو الذي يلزم عظائم الأمور ، ويتحملها .
الجشام : المتكلف للأمور .

المعنى :

يقول : إذا اجتمعت القبائل لا يسودهم إلا رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال أي لا تخلو مجامع العرب من رجل منا قوي الشخصية يحكم بين الخصوم .

(٢) وَمُقَسِّمٌ يُعْطي العَشيرةَ حَقَّها ✱ وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِها، هَضَّامُهَا

اللغة :

المغذمر : الذي يظهر الغضب ، والغذمرة التغضب مع الهمهمة .

المعنى :

يقول : منا من يتولى تقسيم الغنائم – لأنه عالم بذلك – فيعطي كل عشيرة من عشائر القبيلة حقها ، أما حقه هو نفسه – فلا يأخذ من الغنيمة شيئاً ، وتلك صفات الرجل الكريم الذي يؤثر غيره على نفسه .

(٣) فَضلاً، وذو كَرَمٍ يُعِينُ على النّدى ✱ سَمْحٌ كَسُوبُ رَغائبٍ غَنّامُهَا

اللغة :

فضلاً : رغبة في الفضل .
الندى : الكرم والجود .
سمح : كريم الخلق ، سهل المعشر .
كسوب : يكسب كثيراً .
رغائب : جمع رغيبة وهي ما يرغب في امتلاكه من خصلة شريفة .
الغنام : كثير الاغتنام للمكارم .

المعنى :

إن الرجل منا يفعل تلك المكرمات تفضلاً وإحساناً منه ، كريم يعين أصحابه على الكرم ، أي : يعطيهم ما يعطونه الفقراء فهو يعينهم على فعل الخير وهو جواد يكسب المعالي ويغتنمها .

(٤) مِنْ مَعشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ ✱ ولِكُلّ قَوْمٍ سُنّةٌ، وَإمَامُهَا

اللغة :

المعشر : كل جماعة أمرهم واحد ، وأهل المرء معشره .
السنة : الطريقة التي يسير عليها الناس في حياتهم .

المعنى :

كل هؤلاء الذين ذكرهم لزاز العظيمة والمقسم والمغذمر ، وذو الكرم كل هؤلاء من معشر سنت لهم آباؤهم هذه الفعال الكريمة ، فاحتذوا سنة آبائهم .

(٥) لا يَطبَعُونَ، ولا يَبُورُ فِعَالُهُمْ ✱ إذْ لاَ تَميلُ معَ الهَوَى أحْلاَمُهَا

اللغة :

يطبعون : تتدنس أعراضهم ، وتتلطخ بالمخزيات .
يبور : يهلك ويفسد ، البور الفساد ، والأرض البور التي لا تنبت زرعاً .
الفعال : (بفتح الفاء) الفعل إذا كان من فاعل واحد وبكسر الفاء إذا كان من فاعلين .
الهوى : الميل إلى الشيء ، وميل النفس إلى الشهوة .
الأحلام : العقول .

المعنى :

إن رجال قبيلته لا تتدنس أعراضهم بعار ، ولا تفسد أفعالهم ، لأن عقولهم تتحكم في أهوائهم ، فلا تميل معها ، أي أنهم حازمون ضابطون لأنفسهم ، حكماء في تصرفاتهم .

(٦) فاقنَعْ بِمَا قَسَمَ المَلِيكُ، فإنّما ✱ قَسَمَ الخَلاَئِقَ بَيْنَنا عَلاّمُهَا

اللغة :

الخلائق : جمع خليقة وهي السجية، والطبيعة التي يخلق بها المرء.
المليك : هو الله سبحانه وتعالى .
علامها : من يعلم كل شيء عن الخلائق وهو الله تعالى .

المعنى :

اقنع أيها العدو بما قسم الله تعالى ، فالله سبحانه قسم لكل إنسان ما استحقه من خلق كريم أو قبيح ، فالله قد قسم لنا خلائقنا الكريمة ، فاقنع أيها العدو بما قسم لنا ذلك ؛ لأن الله عالم بعباده يعطي كل إنسان ما هو أهله .

(٧) وإذا الأمانَةُ قُسّمتْ في مَعْشَرٍ ✱ أوْفَى بِأعْظَمِ حَظِّنا قسَّامُهَا

اللغة :

الأمانة : ما يتركه عندك إنسان إلى حين يعود ويأخذه .
أوفى : أكمل .
حظنا : نصيبنا .

المعنى :

يقول : إذا قسمت الأمانة بين الناس ، فإن الله قد قسم لنا أوفى نصيب منها وأكمله ، يريد أنهم أكثر الناس أمانة .

(٨) فَبَنَى لَنا بَيتاً رَفيعاً سَمْكُهُ ✱ فَسَمَا إلَيهِ كَهْلُها وغُلامُهَا

اللغة :

البيت : المقصود هنا المكانة الرفيعة الشرف .
الكهل : من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين ، وما زاد على ذلك فهو شيخ والجمع كهول وكهل .

المعنى :

يقول إن الله خصّهم بشرف رفيع ، فسما إلى هذا الشرف كل أفراد القبيلة أي أن كبارهم وصغارهم يسمون إلى المعالي والمكارم .

(٩) وَهُمُ السُّعاةُ، إذا العَشيرَةُ أُفظِعَتْ ✱ وَهُمُ فَوارسُها، وَهُمْ حُكّامُهَا

اللغة :

السعاة : جمع الساعي .
العشيرة : قبيلة الرجل وأهله الأقربون .
أفظعت : حلّ بها أمر فظيع ، وكلما يشق على المرء من أمور الدنيا من موت أو فقر أو غيره فهو فظيع .

المعنى :

إذا أصاب العشيرة أمر عظيم سعى هؤلاء الرِّجال إلى دفعه عنها وكشفه؛ لأنهم فرسانها ولأنهم حكامها وحكماؤها .

(١٠) وهُمُ رَبيعٌ للمُجاورِ فيهمُ ✱ والمُرْمِلاتِ، إذا تَطاوَلَ عَامُهَا

اللغة :

المرملات : جمع مرملة ، المرأة الفقيرة التي لا زاد عندها .
تطاول عامها : إذا انقطع المطر ، وجفت الأرض وحلت المجاعة .

المعنى :

إن قومه بمنزلة الربيع والخصب للفقراء والنساء الفقيرات اللاتي لا زاد عندهن ، أي أنهم يعينون الفقراء والمساكين في زمن الجفاف والمجاعة فهم كرماء يلجأ إليهم كل فقير وفقيرة .

(١ – ٥ – ٣) **التعليق :**

(١) من أكثر القيم أصالة في العصر الجاهلي قيمة الكرم ، وهو من القيم التي أبقى عليها الإسلام ، ودعا إليها ، ولذلك ألح عليها شعراء الجاهلية إلحاحاً شديداً وقدموها في صور مختلفة ، وتمدحوا بها . فكانت مفاخر سادتهم وكبرائهم .
ومن القيم التي كان الجاهليون يحرصون عليها حرصا شديداً نقاء العرض وشرف النفس والأمانة .

(٢) في الأبيات السابقة يشير لبيد إلى كثير من تلك القيم ، ويقول إنها طبيعة فيهم ، خلقوا بها ، وأن الله حباهم بها فهم لا يتكلفونها ولا يحملون أنفسهم عليها وإنما تجري بها نفوسهم في سماحة ويسر .

(٣) تظهر في هذه الأبيات نزعة لبيد الدينية – على قدر ما كان الجاهليون يفهمونه من الدين – فإن الجاهليين كانوا يعرفون أن الله هو الخالق ، خلق الناس والسماوات والأرض وهو الذي ينزل الغيث . فليس غريباً أن يصف لبيد الله بأنه – المليك ومقسم الأرزاق ، والعلام ، ولعل هذه النزعة هي التي جعلته يزهد ويتنسك عندما أسلم .

(٤) أسلوب لبيد في هذه الأبيات من معلقته أسلوب مباشر واضح ، يعمد إلى تقديم الحقائق عارية من الزخرف اللفظي ، فكل بيت يتضمن حقيقة من الحقائق التي أراد لبيد أن يؤكدها لقبيلته .

(٥) استخدم لبيد صيغة المبالغة (فعَّال) : وهي من أكثر صيغ المبالغة استعمالاً في اللغة العربية ، استخدمها لبيد ليؤكد أن تلك القيم الكريمة كثيرة شائعة في قبيلته (جشّام) و (غنّام) و (هضَّام) .

(٦) استخدم الضمير (نا) ضمير جماعة المتكلمين ليعبر ويؤكد أنه جزء من هذه القبيلة ذات المفاخر والمآثر . كما يلاحظ أنه لم يستخدم الضمير (أنا) وهو ضمير المفرد .

(٧) كرر الضمير (هم) في جمل سريعة موجزة مكونة من مبتدإ وخبر (هم السعاة) (هم الفوارس) (هم الحكام) (هم الربيع) ليؤكد إسناد تلك الصفات لقبيلته .

(٨) لم يستخدم لبيد من ألوان البيان إلا التشبيه البليغ وذلك قوله " هم ربيع " ويريد أنهم كالربيع – وهو فصل الخير والخصب في تلك الجزيرة المجدبة – الذي ينقذ الناس من المجاعة .

(١ – ٦) وصية عمرو بن كلثوم لأبنائه

أوصى عمرو بن كلثوم التغلبي بنيه فقال :

" يا بنيّ : إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي ، ولا بد من أمر مقتبل ، وأن ينزل بى ما نزل بالآباء والأجداد ، والأمهات والأولاد فاحفظوا عنى ما أوصيكم به .

إني والله ما عيرت رجلاً إلا عيّر بي مثله ، إن حقاً فحقاً ، وإن باطلاً فباطلاً ، ومن سَبَّ سُبَّ ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم ، وصلوا أرحامكم تعمر دوركم ، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم ، وقلّ من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمته ، وامنعوا القريب من ظلم الغريب ، فإنك تذل على قريبك ، ولا يحل بك ذل غريبك ، وإذا حدثتم فعوا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإنه مع الإكثار يكون إلا هذار وما بكيت من زمان إلا دهاني بعده زمان ، وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة ، وخير الموت تحت ظلال السيوف ، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ومن الناس من لا يرجى خيره ، ولا يخاف شره . سلمكم الله وحياكم " .

(١ – ٦ – ١) الشرح :

تعتبر هذه الوصية وصية رجل خبر الحياة وعركته التجارب ، خاصة لأنه بلغ من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائه وأجداده ، وأنه مقبل على الموت . وهو شيء حتمي في حياة البشر .

وبدأ وصيته بأنه ما عير رجلاً بنقيصة إلا عير بها حقاً كانت أم باطلاً . ثم نهاهم عن الشتم والتجريح والإساءة ، لأن نتيجة ذلك أن يعود الشتم على من قام به . وفي الكف عن هذه الصفة سلامة للأعراض ، لأن الشتم عادة يكون بالعرض ، وبكل ما يأنف المرء أن يكون عرضه في أفواه الناس .

وأوصى بصلة الأرحام لأن بها تعمر الديار وذلك بتقوية الصلات وتفقد كل ذي رحم رحمه زائراً أو عائداً أو مهنئاً أو مواسياً .

وإكرام الجار يجعل اللسان ينطلق بالثناء والشكر لمن أكرمه ، وبهذا أيضاً يرتبط الأفراد بعلاقات المحبة والتعاون .

ونهى عن انتهاك الحرمات ، لأن من ينتهك حرمة غيره ، لن يسلم من أن يعود ذلك عليه فتنتهك حرمته ، ومنع من أن يتطاول الأقرباء علي الغرباء فيظلمونهم وحرمة الغريب أولى بالحماية والرعاية . فالغريب يشعر دائماً حالة من الضعف لبعده عن مصدر قوته وحمايته .

ولك أن تذل قريبك ولكن لا يجمل بك أن تذل الغريب عنك .

وأوصى بحسن الاستماع للحديث . فإن من حسن استماعه يكون أكثر وعياً وفهماً لما سمعه . وإن حدث المرء غيره فليوجز في كلامه لأن كثرة الكلام تؤدي إلى ساقط القول وابتذاله وذلك لا يجمل بالرجل الكريم .

وأوصى بعدم اليأس إذا ألمت بهم كارثة أو حياة قاسية ، لأن ما يأتي بعدها قد يكون أقسى منها . فالرضا بالواقع أمر محمود . والليالي حبليات تتمخض عن كل جديد ومثير ، فما يعجب المرء من حدث إلا سيرى بعده حدثا أكثر إثارة للعجب .

وذكر أن أفضل ميتة هي التي تكون في ساحات المعارك وتحت ظلال السيوف ولا خير في امرئ لا يملك نفسه عند الغضب ، ولا خير في امرئ لا يبذل خيره للناس ولا يمسك شره عنهم .

(١ – ٦ – ٢) التعليق والتذوق :

١– يلاحظ أن عمرو بن كلثوم مهد لوصيته بأنه بلغ عمراً طويلاً . وتلك طريقة متبعة عند من يقدمون مثل هذه الوصايا في المجتمع الجاهلي . فالحارث بن كعب بدأ وصيته أيضاً لبنيه بقوله : قد أتت علي مئة سنة . وفعل ذلك أيضاً ذو الأصبع العدواني ، حيث قال لأبنه : إنَّ أباك عاش حتى سئم العيش . وفعل ذلك زهير ابن أبي سلمى حيث ذكر أنه عاش ثمانين عاماً .

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ ومَنْ يَعِشْ ✱ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لكَ يَسْأَم

وذلك لأن كبر السن مدعاة للحصول علي التجارب التي يكتسبها المرء من تراكم الأحداث .

٢– وهذه الوصية دعوة للتحلي بمكارم الأخلاق التي يدعو لها كثير من ذوي الرأي والعقل في المجتمع الجاهلي . وذلك قدر مشترك بينهم لا يختلفون فيه إلا في الأسلوب وصوغ العبارات ولعلنا نذكر في هذا المقام ما قاله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما استنجدت به ابنة حاتم الطائي إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

٣– وفي هذا المجال نرى الحارث بن مالك يقول في الدعوة إلى صلة الأرحام: "لا راحة لقاطع رحم فقطيعة الرحم تورث الهمَّ" وفي الدعوة إلى عدم انتهاك الحرمات بضرب المثل بنفسه فيقول "لا صبوت بابنة عم ولا كنة " ، وعدم ثبات الأيام على حالة واحدة يقول "والدهر ضربان ضرب بلاء وضرب رخاء" وفي المعنى نفسه يقول أوس بن حجر "والدهر يومان يوم لك ويوم عليك ".

٤- ولكن ومع كل هذا نجد في وصية عمرو شمولاً وتفصيلاً ، واستدلالاً على ما يثيره من قضايا ففي الدعوة إلى الشيء أو النهي عنه يعقب بذكر السبب وبما يمكن أن ينتج عنه من خير أو شر .

٥- ونلاحظ أنه استخدم ألفاظاً سهلة وابتعد عن الشدة فيها والغموض ، وتلك سمة تميزه عن غيره من الجاهليين ، وحتى في معلقته قد التزم ذلك . ويبدو أن قبيلة " تغلب " وهي تعيش في أطراف الجزيرة مما يلي العراق مركز الحضارة في ذلك الوقت قد تأثرت بذلك . ومن ثم اتسم إنتاج عمرو بهذه السلاسة والسهولة .. وقد نلتمس سبباً آخر لتماسك عباراته وسهولة ألفاظه . في هذه الوصية وهو أنها تستدعي أن يصل معناها للمستمع بأقصر طريق بعيداً عن المعاظلة والالتواء .

٦- ويلاحظ أيضاً أنه قد صاغ هذه الوصية علي النهج الجاهلي من حيث العبارات القصيرة ، والتزام السجع في كثير منها ، مثل ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد ... إلي غير ذلك .

أسئلة للمناقشة :

(١) ورد في الحديث النبوي " كما تدين تدان " أين نجد هذا المعنى في هذه الوصية ؟

(٢) مدح المتنبي سيف الدولة بصفات في قوله .

كريم النّثا ما سب قط وما سبا .

استخرج من الوصية ما يتفق مع هذه الصفات .

(٣) من مكارم الأخلاق التي دعا إليها عمرو صفتا الحلم والسخاء . بين من عبارات الوصية ما يدل عليها .

(٤) يقولون " ما بكيتم من شيء إلا بكيتم عليه " ترى ماذا يدل على هذا القول من عبارات الوصية .

(١ – ٧) كيف لي بالصبر

برة بنت الحارث *

(١) يا عمرُو مالي عَنْكَ من صَبْرٍ * يا عَمْرو يا أسَفَا على عَمْرِو
(٢) للهِ ، يا عَمْروٌ، وأيُّ فتىً * كفَتْتُ ثُمَّ وُضِعْتُ في القبْرِ
(٣) أحْثوا التُّرابَ على مَفَارِقِهِ * وعَلَى غَرَارَة وَجْهِهِ النَّضْرِ
* * *
(٤) حين اسْتَوَى وعَلا الشبابُ بِهِ * وبَدَا مُنِيرَ الوَجْهِ كالبَدْرِ
(٥) وَأَقَامَ مَنْطِقُهُ فَأَحْكَمَهُ * وَرَوَى وَجَالَسَ كُلَّ ذِي حِجْرِ
(٦) وَرَجَا أقاربُهُ منافِعَهُ * وَرَأَوْا شَمَائِلَ مَاجِدٍ غَمْرِ
(٧) وَأَهَمَّهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ * وَغَدَا مَعَ الغَادِينِ فِي السَّفْرِ
(٨) تعدو به شقاء سلهبة * مرطي الجراء شديدة الأسر
(٩) تَثِبُ الخَبَارَ بِهِ ، وَيُقْدِمُها * فَلْجٌ يُقَلِّبُ مُقْلَتَي صَقْرِ
* * *
(١٠) ربيته عصراً أفتقه * في اليسر أغذوه وفي العسر
(١١) أبنى الرواق على أريكته * ليقيل دون الشمس في ستر
* * *
(١٢) قد راعني صوت نبهت له * وذعرت منه أيما ذعر
(١٣) فإذا منيته تساوره * قد كدحت في الوجه والنحر
(١٤) والموت يقبضه ويبسطه * كالثوب عند الطيّ والنشر
(١٥) * * *
(١٦) كيف التعزي عنك يا عمرو * أم كيف لي يا عمرو بالصبر

* شاعرة من شواعر العصر الجاهلي ، ترثي ابناً لها مات شاباً .

(١ – ٧ – ١) **اللغة :**

أحثو	:	أهيل التراب عليه ، تدفنه .
مفارقه	:	جمع مفرق ، المراد به هنا الشعر .
غرارة وجهه	:	حسن الوجه .
النضر	:	ذو الرونق والبهاء .
استوى	:	تم شبابه .
روى	:	روى الشعر والنثر فاكتملت ثقافته .
الحجر	:	العقل .
غمر	:	كريم معطاء .
شقاء	:	فرس ضخمة .
سلهبه	:	طويلة .
مرطي	:	سريعة .
الجراء	:	الجري .
الأسر	:	القوة والمتانة .
الخبار	:	الأرض اللينة .
الفلج	:	المعتاد على الانتصار في الحروب .
عصراً	:	أزماناً كثيرة ، منذ أن ولد إلى أن شب .
أفتقه	:	أغمره بالعيش الرغيد والنعمة .
الرواق	:	ستر يمد على سرير الطفل .
أيما	:	ذعر شديد .
كدحت	:	عضت وجهه ونحره ، أنشبت أظفارها فيه .

(١ – ٧ – ٢) **الشرح :**

(١) ليس لي سبيل إلي الصبر عنك يا عمرو ، ووأسفاً عليك .
(٢) ولكم أن تعجبوا من هو عمرو ؟! وأي فتى عظيم كفنته ثم وضعته في قبره .
(٣) لقد أهلت التراب على رأسه ووجهه النضر .
(٤) فحين استوى عوده وتدرج في مدارج الشباب وبدا وجهه منيراً كالبدر .
(٥) وفصح لسانه وأحكم منطقه . وجالس أهل العقول وروى الأحاديث في المجالس .

(٦) ورجا أقاربه منه أن يصبح حامياً ومدافعاً ونافعاً ورأوا فيه صفات ماجد وكريم معطاء .
(٧) وامتلأت نفسه بي فشغل بأمري وأخذ يجوب الأرض غادياً رائحاً مع المسافرين في سبيل مصالح قومه .
(٨) ويمتطي لذلك فرساً سريعة الجري طويلة .
(٩) وتثب به فوق الأرض اللينة . وعليها فتى خواض الحروب معتاد النصر .
(١٠) وقد قمت بتربيته منذ أن ولد وأغذوه بالعيش الطيب الرغد في حالتي اليسر والعسر .
(١١) أظلله بالستائر علي سريره حتى يكون بمأمن من لسعة الشمس أثناء مقيله .
(١٢) وقد أخافني وأفزعني صوت نبهني من غفلتي وذعرت منه ذعراً شديداً .
(١٣) فإذا بي أجد الموت به ويعالجه ، وقد أنشب أظافره فيه وعض وجهه ونحره .
(١٤) والموت يحركه قبضاً وبسطاً وأصبح في يده كالثوب عند طيه ونشره .
(١٥) فكيف العزاء فيك يا عمرو – وكيف لي بالصبر والسلوّ عنك .

(١ – ٧ – ٣) التعليق التذوق :

القصيدة نفثة أم والهة ثكلي وهي تعبير عن حسرة لا تدفع ، ولوعة لا ترد وصدمة يصعب احتمالها ، ومن ثم فإن تكرارها اسمه . يا عمرو – يا عمرو دليل علي حسرتها وجيشان نفسها التي تحترق بنار الحزن ، ونلمس ذلك أيضاً في الاستفهام : (وأي فتى) فهو استفهام يفيد التعظيم وينبيء عن عظم الفقد .

وتعجب من قولها : لله يا عمرو إنه تعجب دافعه الحسرة ومبعثه ألم الفقد المُمضّ .

وترى كذلك الصور البلاغية التي تدور كلها حول ما تحس به من الأسى . فهي تحثو التراب على جسده وتعبر عن ذلك بمفارقه ، وتكني عن اكتمال قوته بالتعبير حين استوى وعلا الشباب به وتجعل وجهه مثل القمر وضاءة ونضارة مما يزيد من أثر الحزن عليه . وتكني أيضاً عن اكتمال عقله ، وقوة بيانه . بقولها : " وجالس كل ذي حجر " .

وعبارة يقلب مقلتي صقر تفيد الحذر وقوة الترقب والملاحظة . وتبدو صورة المنية وحشا مفترساً يقاوم ويغالب ، والموت كإنسان يقبض ويبسط ، وجسد الفتى في يديه كالثوب في طيه ونشره .

وأخيراً يأتي الاستفهام (كيف التعزي) (كيف بالصبر) والغرض منه التعبير عن اللوعة وشدة الحزن . ويمكن أن نستشعر أن حالها تماثل حالة ابن الرومي عندما قال :

تَكِلتُ سُرُوري كُلَّه إذْ تَكلتُهُ ✱ وأصبحتُ في لذَّاتِ عيْشي أخَا زُهْدِ

أسئلة للمناقشة :

(١) يقول ابن الرومي في رثاء ابنه

على حين شِمْتُ الخيْرَ من لَمَحَاتِهِ وآنَسْتُ من أفْعاله آية الرُّشدِ

فأين نجد معنى هذا البيت في أبيات القصيدة ؟

(٢) ويقول إبراهيم بن المهدي راثياً ابنه أيضاً :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كالْغُصْنِ فِي مَيْعَةِ الضُّحَى سَقَاهُ النَّدى فَاهْتَزَّ وَهْوَ رَطيبُ

فهل ترى مماثلة بين هذا وبين ما ورد في القصيدة ؟

وأيهما أكثر إثارة للحزن ؟

(٣) ما الدافع للتعجب في قولها : (لله ياعمرو) ؟

(٤) وما دلالة الاستفهام في (وأي فتى) ؟

(٥) وماذا يستفاد من التكرار – يا عمرو – يا عمرو – ويا أسفاً على عمرو !

(٦) وما دلالة هذه الصفات التي خلعتها على فرس ابنها ؟

(٧) رثا التهامي ابنه معبراً عن حزنه علي فقده وهو صغير فقال :

عَجِلَ الخُسُوفُ عليه قبْلَ أوانِهِ فمحاهُ قبلَ مظنَّةِ الإبْدَارِ

ونجد هذا المعنى في قصيدة برّة ولكن في أكثر من بيت

فعّين الأبيات ؟ ثم وازن بينها وبين بيت التهامي من ناحية الإيجاز .

(١ – ٨) لـم يـك وقّـافا

دريد بن الصمة *

(١) أعاذِلُ إنَّ الرُزءَ في مِثلِ خالِدٍ * وَلا رُزءَ فيما أهلكَ المَرءُ عَن يَدِ
(٢) وَقَلتُ لِعارِضٍ وَأصحابِ عارِضٍ * وَرَهطِ بَني السَوداءِ وَالقَومُ شُهَّدي
(٣) عَلانِيَةً ظُنّوا بِألفَي مُدَجَّجٍ * سَراتُهُمُ في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ
(٤) وَلَمّا رَأيتُ الخَيلَ قُبلاً كَأنَّها * جَرادٌ يُباري وِجهَةَ الريحِ مُغتَدي
(٥) أمَرتُهُمُ أمري بِمُنعَرَجِ اللِوى * فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إلّا ضُحى الغَدِ
(٦) فَلَمّا عَصَوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أرَى * غِوايَتَهُم وَأَنَّني غَيرُ مُهتَدي
(٧) وَمَا أنا إلّا مِن غَزِيَّةَ إن غَوَت * غَوَيتُ وَإن تَرشُد غَزِيَّةُ أرشَدِ

* * *

(٨) دَعاني أخي وَالخَيلُ بَيني وَبَينَهُ * فَلَمّا دَعاني لَم يَجِدني بِقُعدَدِ
(٩) فَجِئتُ إلَيهِ وَالرِماحُ تَنوشُهُ * كَوَقعِ الصَياصي في النَسيجِ المُمَدَّدِ
(١٠) فَطاعَنتُ عَنهُ الخَيلَ حَتّى تَنَهنَهَت * وَحَتّى عَلاني كُلُّ أشقَرَ اللونِ أسوَدِ
(١١) طِعَانَ اِمرِئٍ آسى أخاهُ بِنَفسِهِ * وَيَعلَمُ أنَّ المَرءَ غَيرَ مُخَلَّدِ

* * *

(١٢) تَنادوا فَقالوا أردَتِ الخَيلُ فارِساً * فَقُلتُ : أعَبدُ اللهِ ذَلِكُمُ الرَدي؟
(١٣) فَإن يَكُ عَبدُ اللهِ خَلّى مَكانَهُ * فَما كانَ وَقّافاً وَلا طائِشَ اليَدِ
(١٤) كَمَيشُ الإزارِ خارِجٌ نِصفُ ساقِهِ * صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أنجُدِ
(١٥) تَراهُ خَميصَ البَطنِ وَالزادُ حاضِرٌ * عَتيدٌ وَيَغدو في القَميصِ المُقَدَّدِ
(١٦) وَإنْ مَسَّهُ الإقواءُ وَالجَهدُ زادَهُ * سَماحاً وَإتلافاً لِما كانَ في اليَدِ
(١٧) وَغارَةٍ بَينَ اليَومِ وَالأمسِ فَلتَةٍ * تَدارَكتُها رَكضاً بِسَيدٍ عَمَرَّدِ
(١٨) سَليمِ الشَظا عَبلِ الشَوى شَنَجِ النَسا * طَويلِ القَرا نَهدٍ أسيلِ المُقَلَّدِ
(١٩) يَفوتُ طَويلَ القَومِ عَقدُ عِذارِهِ * مُنيفٌ كَجِذعِ النَخلَةِ المُتَجَرِّدِ

* * *

(٢٠) وَهَوَّنَ وَجدي أنَّني لَم أقُل لَهُ * كَذَبتَ وَلَم أبخُل بِما مَلَكَت يَدي

---

* دريد بن الصمة ، واسمه معاويه ، فارس شجاع ، وشاعر فحل .

(١ – ٨ – ١) اللغة :

الرزء	:	المصيبة .
أصحاب عارض	:	قوم من بني جشم كان دريد قد نهاهم عن النزول في مكان قريب من موقع المعركة فعصوه ، فأدركتهم غطفان ودارت الحرب مرة أخرى حيث قتل أخوه عبد الله .
بني السوداء	:	هم أصحاب أخيه عبد الله. كانوا سوداً. والسواد في العرب معروف
المدجج	:	الفارس التام السلاح .
السراة	:	جمع سري وهو السيد الشريف في قومه .
الفارسي	:	الدرع المصنوعة في فارس ، وهي أجود أنواع الدروع .
المسرد	:	المحكم النسج .
تباري	:	تسابق .
مغتدي	:	في الصباح .
غزية	:	من قبيلة جشم .
القعدد	:	الجبان .
الصياصي	:	جمع صيصة : أداة من شوك يستخدمها النساج في نسج القماش .
كل أشقر مزبد	:	فرس أشقر اللون ويخرج الزبد من فمه .
أردت	:	قتلت .
كميش الإزار	:	مشمر ، مستعد للحرب .
العزاء	:	الشدة .
الأنجد	:	جمع نجد وهو المكان العالي المرتفع ، يريد أنه معتاد على ركوب الصعاب ، ومعالي الأمور .

خميص : ضامر .
عتيد : حاضر ، ماثل .
المقدد : الممزق .
الإقواء : الجوع .
سماحاً : كرماً .
السيد : الذئب ، شبه فرسه به في سرعته .
فلته : سريعة .
عمرد : طويل .
الشظا : عظم لاصق بذراع الفرس ، وسلامته تدل على قوة الفرس .
عبل : قوي .
الشوى : قوائم الفرس ، يداه ورجلاه .
شنج : متقبض ، والتشنج تقبض الجسم .
النسا : عرق يمتد من باطن الفخذ إلي الحافر ، فإذا كان منقبضاً كان أقوى وأصلب للفرس .
القرا : الظهر .
نهد : مرتفع .
أسيل المقلد : جيد العنق ، والمقلد موضع القلادة .
العذار : سير ممتد من اللجام على خدي الفرس
منيف : عالي العنق .

(١ – ٨ – ٢) الشرح :

(١) أيتها اللائمة إن المصاب في مثل خالد [1] كبير لا يلام المرء على الجزع فيه ولا تعتبر المصيبة إذا كان المفقود مالاً لأنه من صنع أيدينا .
(٢) وقد قلت لعارض وأصحابه ولبني السوداء والقوم شهود على ذلك .
(٣) وقلت لهم علانية تيقنوا بأن ألفي فارس في الدروع الفارسية قادمون إليكم .
(٤) وعندما رأيت الخيل مقبلة وكأنها جراد في الكثرة والانتشار تعدو مسابقة الرياح في الصباح .

[1] خالد وعبد الله وعارض كلها أسماء للمرثى فهو عبد الله .

(٥) أمرتهم بعدم البقاء وتقسيم الغنائم في " منعرج اللوى " ولم يدركوا صحة نصيحتي إلا في اليوم الثاني عندما لحق بهم الأعداء وقتلوهم .
(٦) فلما عصوني طاوعتهم لأنني منهم ، وإن كنت أري ضلالتهم ، وأري أنني غير مهتد بمتابعتهم .
(٧) وما أنا إلا فرد من قبيلة غزية أضل بضلالها وأهتدي بهدايتها .
(٨) وقد ناداني أخي والخيل بيننا فأجبت نداءه ولم أكن جباناً لأتخلى عنه .
(٩) وأسرعت إليه وهو هدف للرماح تناله من كل جانب وتنشك في جسمه كما تنشك إبرة النساج في نسيجه .
(١٠) فطاعنت عنه الخيل حتى تراجعت بفرسانها وحتى علاني أشقر مزبد .
(١١) وكنت أقاتل قتال امرئ ينصر أخاه ويواسيه بنفسه ، ويعلم في الوقت ذاته أن المرء غير مخلد وأن الموت غاية كل حيّ من قاتل أم لم يقاتل .
(١٢) وقد تنادى الفرسان بأن هناك فارساً قد قتل . وقد شعرت أن ذلك الذي أردته خيل الأعداء هو أخي لما أعرفه عنه من إقدام وشجاعة ومن ثم صحت متسائلاً أذلكم القتيل هو عبد الله ؟
(١٣) فإن يك عبد الله قد قتل وترك مكانه خالياً ، فلم يكن وقافاً عن الحرب ، ولم يكن مرتجفاً تطيش يده عن الطعن والضرب .
(١٤) وقد كان دائم الاستعداد للحرب مشمراً ، وصبوراً على الشدائد . معتاداً على ركوب الأهوال ومقارعة المصائب ، ويحسب حساب العواقب فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه في غده .
(١٥) ويرى ضامر البطن مع أن الزاد حاضر بين يديه ، ويرتدي القميص الممزق مكتفياً به ويهب للآخرين زاده وثيابه .
(١٦) وإن الجوع ليزيده كرماً وإنفاقاً لما في يديه .
(١٧) وإنه ليدرك الغارات بين الأمس واليوم على حصان مثل الذئب سريع طويل .
(١٨) وهو سريع قوي طويل الظهر مرتفع جيد العنق .
(١٩) ولجامه يفوق أكثر الناس طولاً ، وهو عالي العنق يشابه جذع نخلة جرداء .
(٢٠) وقد هون من حزني عليه أنني لم أكذبه أبداً ولم أبخل عليه بشيء .

(١ – ٨ – ٣) التعليق والتذوق :

القصيدة رثاء ؛ رثاء من كبد حرَّى وقلب مفجوع – رثاء ممن يرى أن أخاه يقتل بين يديه . وقديماً يضربون المثل في شدة الحزن بحزن من ذبح وحيدها

في حجرها . وصورة حزن شاعرنا لا تختلف عن هذه كثيراً . ومع كل هذا فهي تعبير عن تجارب عاشها الشاعر ، وأفكار تمخض عنها نصائح استمدها من طول ممارسته للحياة ومن خوضه للمعارك .

لقد وجه سهام نقده لمن لامته على جزعه وبكائه ، ورد عليها بحكمة استقاها من معايشته للحياة وهي أن المصيبة في فقد الرجال . وليست في فقد الأموال لأنها من صنع المرء ويمكنه تعويضها .

ثم استعرض ملابسات المعركة وما انتهت إليه . وعدد السراة والأشراف والفرسان وما وجهه من نصائح لم تجد أذناً صاغية وقصة مقتل أخيه ، ومدى حزنه عليه .

ويمكن أن نستخلص من خلال هذه القصيدة بعض الصفات التي يمتاز بها دريد بن الصمة فهو صاحب رأي وفكر ،ويبدو ذلك من النصيحة التي قدمها لقومه . ومن الحكمة التي رد بها على لائمته من أن الرزء الحقيقي في فقد الأنفس وليس في فقد ما يمكن للمرء جمعه كالمال . وكذلك في متابعة قومه رغم أنه لا يرى رأيهم حتى لا يفت في عضدهم أو يسعي لخذلانهم .

وهو فارس شجاع مقاتل متمرس على الحروب . حيث طاعن الخيل حتى ردها عندما ناداه أخوه ، وقاتل حتى علاه كل فرس أشقر كاد يؤدي بحياته .

وهو وفي لأخيه في حياته وبعد مماته .

وقد صاغ كل ذلك في عبارات مترعة بالحزن والأسى من جانب ومغلفة بالمشاعر الطيبة النبيلة من جانب آخر .

وتبدو في القصيدة أيضاً بعض الصور البلاغية مثل : الكنايات في قوله ما كان وقافا ولا طائش اليد . كميش الإزار خارج نصف ساقه – خميص البطن والزاد حاضر .

والتشبيه في قوله كوقع الصياصي في النسيج الممدد . ومثل حركة الرماح وهي تطعن جسده ثم تنسل منه بحال شوكة النساج تدخل وتخرج من النسيج .

ونراه يعبر عن احتدام المعركة وشدة القتال بقوله تنادوا و " أردت الخيل فارساً " وتلمس في تكرار اسم أخيه – دعاني أخي – أعبد الله – فإن يك عبد الله " إعزازاً له وشوقاً إليه ، وتأسياً به .

واستخدم الكناية أيضاً في قوله خلى مكانه بدلاً عن كلمة مات ولعله لم يرد أن يذكر الموت لمكانة أخيه من نفسه .

وتمتاز ألفاظ القصيدة بالتنوع حيث نرى فيها شيئاً من الصعوبة عندما يتحدث عن أخيه وعن المعركة والفرس فيأتي بألفاظ تناسب موضوعها مثل –

كميش الإزار – العزاء – عتيد – الإقواء – سيد عمرد – الشظا – عبل الشوى – شنج النسا .

أما عندما ذكر لوم اللائمة والنصائح ومتابعته لقومه – وقصة مقتل أخيه فقد استعمل ألفاظاً سهلة ، واضحة ليس فيها لفظ مستغرب سوى كلمة قعدد والصياصي .

ومن خلال النظر في قصيدة دريد وقصيدة برة بنت الحارث نلاحظ ما يأتي :

(١) أن دريداً يرثي أخاه وبرة ترثي ابنها والعاطفة دائماً أقوى في جانب الابن منها في جانب الأخ .

(٢) أن أخا دريد كان رجلاً مكتملاً فارساً قتل في معركة حربية وأن ابن برة كان فتى يتدرج في مدارج الشباب ومات حتف أنفه – ومن ثم فإنه رغم اتحاد الموضوع وهو الرثاء . فإن هناك اختلافات منشؤها ومبعثها اختلاف طبيعة كل من الراثي والمرثي معاً .

فدريد لطبيعته الحربية يتخذ من الألفاظ ما يناسب الموضوع قوة وشدة ويثير جواً من الحزن " المتعقل " إن صح التعبير ورغم فداحة الخطب وعمق الحزن فأنه يبدو حزناً مشوباً بشيء من الغيظ والغضب لأنهم لم يستمعوا لنصحه . ولأن أخاه قتل بين يديه وكان يمكن تدارك ذلك ومنعه .

أما برة فتصدر في رثائها أيضاً عن طبيعتها بوصفها امرأة فقدت ابناً في وقت رأت فيه أن علائم الخير والسؤدد بدت عليه – وأن آمالها قد تعلقت به . ومن ثم فهي تحكي مأساتها وتبرز لوعتها .

وكلاهما وصف فرس صاحبه .

ففرس عبد الله سريع مثل الذئب ، طويل الظهر ، مرتفع العنق ، يفوق أطول الناس علواً ، وهي صفات توحي بمدى تأثر الشاعر بأخيه حتى أن عاطفته انتقلت لفرسه . وفرس ابن برة ضخمة ، طويلة سريعة الجري . تستطيع أن تجتاز الأرض الرخوة اللينة وثباً وقفزاً .

وهي أيضاً متأثرة بابنها وفاضت عواطفها على فرسه ، وكلاهما وصف من رثاه . فدريد خلع على أخيه صفات الشجاعة ، وخوض الحروب ، وبرة وصفت ابنها بأنه شاب لم تمهله الأيام حتى يتحقق رجاؤها فيه ، ورجاء أقاربه وأن المنية قد أخذته عندما ظهرت عليه ملامح النجابة واكتمال العقل وفصاحة اللسان .

ونرى أن وصف كل منهما ينبع من شخصية كل من عبد الله الفارس المكتمل وابن برة اليافع الذي بدت مخايل النجابة عليه . وكل منهما قد استخدم من

الألفاظ ما يلائم طبيعته . فألفاظ بره سهلة وعباراتها واضحة . ليس فيها غرابة أو نبوء أو شدة .

وتبدو عاطفتها أقوي لأنها عاطفة أم ، وهي سمة واضحة في شعر النساء عموماً كالخنساء في رثاء أخيها صخر .

أسئلة للمناقشة :

(١) يلاحظ أن الحديث عن الخيل يعتبر قدراً مشتركاً بين كثير من الشعراء ويكاد يكون وصفها متطابقاً عندهم ..
فما رأيك في تعليل هذه الظاهرة ؟

(٢) ذكرت برة في وصف فرس ابنها بأنها :

تَثِبُ الخَبَارَ بِهِ ، وَيُقْدِمُها * فَلْجٌ يُقَلِّبُ مُقْلَتَي صَقْرِ

وذكر عنترة في الوصف أيضاً

وَالخَيلُ تَقتَحِمُ الخَبارَ عَوابِساً * مَا بَينَ شَيظَمَةٍ وَآخَرَ شَيظَمِ

فما دلالة الوثوب فوق الخبار واقتحامه ؟

(٣) نجد أن هناك اشتراكاً بين قول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

حَمّالُ أَلوِيَةٍ هَبّاطُ أَودِيَةٍ * شَهّادُ أَندِيَةٍ لِلجَيشِ جَرّارُ

وقول دريد :

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِهِ * صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ

وقول برة :

وَأَقــامَ مَنْطِقَــهُ فَأَحْكَمَــهُ * وَرَوَى وَجَالَسَ كُلَّ ذِي حِجْرِ

فما المعنى المشترك بين هؤلاء الشعراء ؟

(١ - ٩) جاءوا سحابا .. وجئنا سيلا

مـــن القصائد المنصفـــات*

عبد الشارق الجني*

(١) ألا حُيِّيتِ عنَّا يا رُدَيْنا * نُحيِّيهاَ وَإنْ كَرِمَتْ عَلَيْنا
(٢) رُدَيْنَةُ لَوْ رَأيْتِ غَدَاةَ جِئنَا * عَلى أضْمَاتِنا وَقَدِ اجْتَوَيْنا
(٣) فَأرْسَلْنا أبا عَمْرٍو رَبِيئاً * فَقالَ : ألاَ انْعَمُوا بالْقَوْمِ عيْنا
(٤) وَدَسُّوا فارساً مِنْهُمْ عِشاءً * فَلَمْ نَغْدِرْ بِفارسِهِمْ لَدَينا

* *

(٥) فَجَاءُوا عَارِضاً بَرَداً وَجِئنا * كَمِثْلِ السَّيْلِ نَرْكَبُ وَازعَينا
(٦) تَنَادَوْا : يَا لَبُهْثَةَ إذْ رَأوْنا * فَقُلْنا : أحْسِنِي ضَرْباً جُهَيْنا
(٧) فَلَمَّا أنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلاً * أنَخْنَا لِلْكلاَكِلِ فَارْتَمينَا
(٨) فَلَمَّا لَم نَدَعْ قَوْساً وَسَهْماً * مَشَيْنا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إلَيْنَا
(٩) تَلاَلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لأُخْرَى * إذَا حَجَلُوا بأسْيَافٍ رَدَينا
(١٠) فَمَنْ يرنَا يَقُلْ : سَيْلٌ أتِيٌّ * نَكُرُّ عليهُمُ وهُمُ عَلَيْنا
(١١) شَدَدْنا شَدَّةً فقتَلْتُ مِنْهُمْ * ثَلاَثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قِينَا
(١٢) وَشَدُّوا شَدَّةً أخرَى فَجَرُّوا * بأرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَينا
(١٣) وَكانَ أخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ * وَكانَ الْقَتلُ لِلْفِتيَانِ زَينا
(١٤) فَآبُوا بالرِّماح مُكَسَّراتٍ * وَأبنَا بالسُّيُوفِ قَدِ انْحَنَيْنَا

(١ - ٩ - ١) اللغة :

ردينة : اسم محبوبته .
الأضمات : الأحقاد والحزازات ، وما تتركه العداوة في النفوس .
اجتوينا : غضبنا .
ربيئا : طليعة ، والربيئة الشخص أو الجماعة التي يرسلها الجيش لتستكشف له مواقع العدو.
العارض : السحاب العظيم المتكاثف .

---

* المنصفات : جمع منصفة . وهى قصائد ينصف فيها الشاعر أعداءه ويصدق عنهم ، وعن قومه فيما يصفه من أهوال كليهما ، عند الحرب .

* عبد الشارق بن عبد العزى ، شاعر جاهلي من قبيلة جهينة وأحد فرسان العرب الشجعان .

وازعين	:	مثنى وازع ، وهو المنظم الذي ينسق الجيش حسب مقتضيات المعركة .
بهثة وجهينة	:	القبيلتان اللتان دارت بينهما الحرب .
أنخنا للكلاكل	:	تهيأنا للمعركة الفاصلة واستوينا على أرض
	:	صلبة لنتمكن من إتقان الحرب ، فرمى بعضنا بعضا بالسهام والرماح .
المزنة	:	السحابة الممتلئة ماء .
حجلوا	:	الحجل ، مشية فيها ثقة واعتزاز .
ردينا	:	الرديان ، الإسراع في المشي ،دون الجري .
أتي	:	الآتى ، السيل المتدفق المندفع .
قين	:	اسم فارس شجاع من فرسان القبيلة الأخرى .
جروا بأرجل مثلهم	:	حملوا علينا حملة شديدة معهودة من مثلهم .
جوين	:	أخو الشاعر .
الحفاظ	:	الشجاعة والمحافظة على الشرف .

(١ – ٩ – ٢) **الشرح :**

(١) يبدأ بتحية محبوبته ردينة ويؤكد هذه التحية مع ذكر كرمها عليه وفي قوله هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة .

(٢) ويخبرها بأنها لو رأت غداة مجيئهم وقد امتلأت نفوسهم حقداً وغضباً لرأت عجبا .

(٣) ويخبرها أنهم قد أرسلوا أبا عمرو طليعة وعينا لهم فعاد ليبشرهم بوصول الأعداء .

(٤) وأن الأعداء قد أرسلوا بدورهم فارساً منهم خفية ليلاً ولكننا قد عرفناه وكشفنا أمره ومع ذلك لم نغدر به .

(٥) فجاءوا إلينا مثل سحاب متراكم بارد ، واندفعنا إليهم مثل سيل جارف ولم نلتفت لمن ينهونا لشدة حماسنا واندفاعنا .

(٦) ونادى كل منا قبيلته فقالوا يا لبهثة ونادينا جهينة بأن تحسن الضرب والقتال .

(٧) فلما التقينا ووقف كل منا قبالة الآخر برهة ثم استوينا على الصدور وتهيأنا للمعركة وترامينا بالسهام وتطاعنا بالرماح .

(٨) ولما أخذت السهام والرماح حظها في القتال دنا كل منا نحو الآخر .
(٩) وكنا في ذلك مثل سحابة ممتلئة ماء تقاتل سحابة أخرى مثلها ، وإذا مشوا إلينا معتزين بأنفسهم أسرعنا لملاقاتهم .
(١٠) ومن يرنا في تلك الحالة يظن أن سيلاً مندفعاً يجري نحونا ، وتبادلنا الكر.
(١١) فحملت عليهم وقتلت منهم ثلاثة فتيان وقتلت فارسهم قينا .
(١٢) ولكنهم حملوا علينا فقتلوا ثلاثة منا وقتلوا أخي جوينا وثأروا بذلك لأنفسهم .
(١٣) وكان أخي جوين رجل شجاعة وشرف ، ومن كان مثله يزينه القتل في المعارك .
(١٤) وعاد الأعداء ورماحهم مكسرات من قوة الطعن ، وعدنا وسيوفنا قد انحنت من شدة الضرب .

(١ – ١٠) لو رأيت غداة جئنا
منصفة أخرى

المفضل النكري*

(١) فإنَّكَ لو رأيتَ غداةَ جِئْنَا * ببطنِ أثَالَ ضاحِيَةً نَسُوقُ
(٢) تَلاَقَيْنا بِسَبْسَبِ ذِي طُرَيْفٍ * وبَعْضهمْ على بَعْضٍ حَنِيقُ
(٣) فجاءُوا عارضاً بَرَداً، وجئْنا * كمِثْلِ السَّيْلِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ
(٤) مشَيْنَا شطرَهُمْ ومشوْا إلَيْنا * وقلنا اليومَ ما تُقضى الحقُوقُ
(٥) رَمَيْنَا في وجوهِهِمُ برشْقٍ * تُغَصُّ بهِ الحَنَاجِرُ والحُلُوقُ
(٦) كأنَّ النَبلَ بينهُمُ جَرادٌ * تَكَفِيْـــــهِ شآميَةٌ خَرِيقُ
(٧) وبُسْلٍ إنْ تَرَى فيهمُ كَمِيًّا * كَبَا لِيديْهِ إلَّا فيهِ فُوقُ
(٨) فألْفَينَا الرماحَ وكانَ ضَرباً * مَقِيلَ الهامِ كَلٌّ مَا يَذوقُ

* * *

(٩) كأنَّ هزيزَنا يومَ التَقَيْنَا * هَزِيزُ أباءَةٍ فيهَا خَرِيقُ
(١٠) بكلِّ قَرارَةٍ مِنَّا ومِنْهمْ * بنَانُ فتىً وجُمجُمةٌ فَلِيقُ
(١١) وكمْ مِنْ سيدٍ منَا ومنْهُمْ * بذِي الطَرْفاءِ مَنطِقُهُ شَهِيقُ

* * *

(١٢) فأشْبَعَنا السِّباعَ وأشْبَعُوها * فراحَتْ كلُّها تَئِقٌ يَفوقُ
(١٣) تركْنَا العُرجَ عاكفَةً عليهِمْ * وَلِلغِرْبَانِ مِنْ شَبَعٍ نَقِيقُ
(١٤) فأبكيْنا نِساءهُم وأبْكَوْا * نساءً مَا يَسوغُ لهُنَّ رِيقُ
(١٥) يُجاوِبْنَ النِّياحَ بكلِّ فَجْرٍ * فقَدْ صَحِلَتْ مِنْ النَّوْحِ الحُلُوقُ
(١٦) قَتَلْنَا الحارثَ الوَضَّاحَ مِنْهمْ * كَأنَّ سَوادَ لِمّتِهِ العُذُوقُ
(١٧) وقَدْ قَتَلوا به مِنَّا غُلاماً * كَرِيماً، لَمْ تُؤَشِّبْهُ العُرُوقُ

(١ – ١٠ – ١) اللغة :

بطن أثال : مكان .
ضاحية : علانية .
سبسب ذي طريف : مكان بناحية البحرين .

---

* اسمه عامر بن معشر ، شاعر جاهلي ، لقب بالمفضل لأن قصيدته هذه فضلته على غيره من الشعراء ، وهو من قبيلة نكرة .

حنيق : غضبان على صاحبه .
بردا : بارداً .
بسل : شجعان .
تقضى الحقوق : تنال منهم ثاراتنا .
تغص : يقال غص بالطعام والشراب إذا اختنق به .
تكفيه : تمنعه وتحجزه .
خريق : باردة شديدة الهبوب .
الكميّ : الفارس التام السلاح .
كبا : وقع وانكفأ .
الفوق : الفوق من السهم حيث يثبت الريش فيه .
الهزيز : صوت الرحى وهى تدور .
الأباءة : حقل القصب .
القرارة : الأرض المنخفضة .
ذو الطرفاء : موضع يكثر فيه شجر الطرفاء .
تئق : شبعان ممتليء البطن .
يفوق : يتجشأ .
العرج : الضباع .
نقيق : صوت الغراب مثل النعيق .
ما يسوغ لهن ريق : ما يهنأ لهن ريق من شدة حزنهن .
صحلت : بحت .
اللمة : شعر الرأس .
العذوق : عراجين النخل بما فيها .
تأشبه : تخالطه .
العروق : الوراثة ، يريد أنه فتى خالص العروبة .

(١ – ١٠ – ٢) **الشرح :**

(١) إنك لو رأيتنا عندما جئنا نسوق قوافلنا ببطن أثال .
(٢) فقد تلاقينا بموضع يقال له سبسب ذي طريف والكل حانق غضبان على الآخر .
(٣) وجئنا إليهم مندفعين اندفاع السيل .
(٤) تلاقينا فمشينا إليهم واتجهوا إلينا ، وقلنا في هذا اليوم ننال ثاراتنا منهم ونقتص حقنا منهم .

(٥) ورشقناهم في وجوههم بنبال تغص بها حناجرهم وحلوقهم .
(٦) وكأن النبال وهي تنطلق صوبهم جراد تقلبه ريح شامية شديدة الهبوب .
(٧) ورب رجال شجعان لا ترى فيهم فارساً تام السلاح إلا وقد وقع وانكفأ على يديه وقد انغرس سهم في صدره .
(٨) فألقينا الرماح من أيدينا وسللنا السيوف نضرب بها الرؤوس فنفلقها ونذيقها طعم الموت .
(٩) كأن أصواتنا وهمهماتنا عندما التقينا أصوات الحريق المشتعل في حقول القصب .
(١٠) وقد امتلأت الأرض من بقايا القتلى من الفريقين فهذا بنان لفتى أبينت عن كفه ، وهذه جمجمة قد شقت وفصلت عن مكانها .
(١١) وكم سيد من ساداتنا وساداتهم مجندل بذلك الموضع وحديثه شهيق وحشرجة من الصدر .
(١٢) فأشبعنا السباع من لحومهم وأشبعوها من لحومنا حتى تجشأت لامتلاء بطونها .
(١٣) وقد تركنا الضباع عاكفة عليهم تنهش لحومهم ، والغربان ترسل أصواتها فرحة بشبعها منهم .
(١٤) فأبكينا نساءهم على ما قتلناه منهم ، وجعلوا نساءنا لا يهنأن بريق يبل حناجرهن التي جفت من شدة حزنهن على قتلانا .
(١٥) ويتجاوب نواحهن في كل صباح وقد بحت حلوقهن من البكاء والعويل .
(١٦) وقتلنا ذلك الفارس الشجاع الحارث الوضاح ، الذي كأن شعر رأسه عراجين النخل طولاً واسترسالاً .
(١٧) وقد ثأروا منا بقتل غلام كريم خالص العروبة والشرف .

(١ – ١٠ – ٣) مقارنة بين القصيدتين :

<u>التذوق والموازنة</u> :

(١) كل من الشاعرين استخدم بحر الوافر وهو بحر يمتاز بموسيقا توحي بالحركة والسرعة والاضطراب . ووزنه : مفاعلتن مفاعلتن فعول " مرتين " .
(٢) وكل منهما يبدأ قصيدته مخاطباً حبيبته ، وذلك تقليد متبع في الشعر الجاهلي .

(٣) وكلاهما شبه الأعداء بسحابة ممتلئة ماء ، ووصف فريقه بالسيل المندفع الجارف . وقد جاء الشطر الأول من قصيدتيهما وجزء من الشطر الثاني متوافقاً تماماً بما يسمى بتوارد الخواطر .

(٤) وقد اتفقا أيضاً في كيفية ملاقاة الأعداء – وفي استقبال السهام وفي المضاربة بالسيوف .

(٥) وكل منهم قتل من الفريق الآخر فارساً شجاعاً .

وإذا بحثنا عن جوانب الاختلاف فسنجد أن كلاً منهما قد انفرد بظواهر لا يشاركه فيها الآخر .

<u>ما انفرد به الجهني</u> :

أ. مع أن كلا منهما قد تحدث عن حبيبته فإن الجهني قد زاد بالتحية وتكرار الاسم دلالة على الشوق والمحبة .

ب. وذكر الربيئه التي أرسلوها لكشف جيش الأعداء والفارس الذي أرسله الأعداء لكشف جيشهم وعدم غدرهم به عندما عرفوه .

ج. وعند اللقاء نادى كل منهما قبيلته مستنجداً بها على عادة الجاهليين عند بدء الحرب .

د. وأوضح أنهم لم يبدؤوا القتال حال الملاقاة ولكنهم وقفوا مدة يستعدون فيها للحرب .

ه. ووصف جيش قومه وجيش أعدائه مشبهاً إياهما بمزنه برقت لأخرى.

و. وشبه اندفاع كل منهما نحو الآخر بسيل أتى .

ز. وأخيراً ذكر أن كلا من الفريقين فقد عدة حربه وسلاحه فأعداؤهم عادوا بالرماح مكسرات . وعادوا هم بالسيوف قد انحنت لكثرة الضرب .

أما ما انفرد به المفضل النكري فهو أنه :

أ. حدد مكان التلاقي بسبسب ذي طريف .

ب. وصف النبل الذي رشقوا به أعداءهم مشبهاً له بالجراد في كثرته وانتشاره .

ج. وتحدث عن الأصوات التي تحدث عادة أثناء القتال ، بين المتحاربين وشبهها بصوت الحريق المشتعل في حقول القصب .

د. إن الأرض ممتلئة بالجماجم والأصابع وكثير من الصرعى في ذلك الموضع وحديثهم شهيق وشخير .

هـ. كان صريحاً في ذكر ما حدث لقتلى الفريقين حيث أضحوا طعاماً للسباع والضباع والغربان .
و. تحدث عن جزع النساء على القتلى وبكائهن بصورة جعلت حلوقهن تجف ولم يعرف الهناء إلى نفوسهن سبيلاً .

وبعد : فأي الشاعرين أفضل ؟

نرى أن المفضل كان أكثر تفصيلاً وأكثر دقة في وصف ما حدث أثناء المعركة وعقبها ، ولكن يؤخذ عليه أنه استعمل ألفاظاً تتسم بشيء من الغلظة والشدة مما أفقد أسلوبه السهولة والانسياب .

أما عبد الشارق فقد ركز على الجوانب الأساسية في المعركة دون تفصيل دقيق لما حدث . ولكنه يمتاز بسهولة الألفاظ وجمال الأسلوب حتى يمكن القول بأن قصيدته تختلف كثيراً عن المنحى الجاهلي ألفاظاً وأسلوباً وخيالا .

(١ – ١١) إن الكـــرام قليـــل

السموأل بن عادياء *

(١) إذا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللؤْمِ عِرْضُهُ ✱ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
(٢) وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا ✱ فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
(٣) تُعَيِّرُنَا أنّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ✱ فَقُلْتُ لَهَا إنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ
(٤) وَما قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَاياهُ مِثْلَنا ✱ شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلاَ وَكُهُولُ
(٥) وَما ضَرَّنَا أنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنا ✱ عَزِيزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
(٦) وَإنَّا لَقَوْمٌ ما نَرَى القَتْلَ سُبَّةً ✱ إذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ
(٧) يُقَرِّبُ حُبَّ المَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ✱ وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
(٨) وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أنْفِهِ ✱ وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
(٩) تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُبَاتِ نُفُوسُنا ✱ وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ
(١٠) وَنُنْكِرُ إنْ شِئْنا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ✱ وَلا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ
(١١) إذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلا قَامَ سَيِّدٌ ✱ قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الكِرَامُ فَعُولُ
(١٢) وَمَا أَخْمَدَتْ نَارٌ لنا دُونَ طَارِقٍ ✱ وَلا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ
(١٣) سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ ✱ فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ

(١ – ١١ – ١) اللغة :

يدنس : يتسخ .
الضيم : الظلم ، وكل ما تكرهه النفس .
عامر وسلول : قبيلتان .
حتف أنفه : مات في فراشه ، ولم يمت في ميدان الحرب .
الظبات :(جمع أظبة) حد السيف . ذهب دمه هدراً .
خلا : مات .

(١ – ١١ – ٢) الشرح :

(١) إذا كان المرء نقي العرض لم يدنسه لؤم فسيبقى على كل حالة سليماً .
(٢) وإن هو لا يستطيع أن يبعد الظلم عن نفسه فلا مجال للثناء الحسن عليه .

* السموأل بن عادياء ، عربي من قبيلة غسان ، يماني الأصل ، تهوّد ، شاعر جاهلي معاصر لامرئ القيس .

(٣) إنها تعيرنا بأن عددنا قليل ، ولكنني ذكرت لها أن القلة لا تعني التحرر من صفات النبل والكرم فكرام الناس دائماً قليلون .
(٤) ولا يعتبر قليلاً من كان مثلنا له أبناء شباب وكهول ينطلقون إلى معالي الأمور .
(٥) ولا يضيرنا أن يكون عددنا قليلاً . فرغم قلتنا فإننا نبسط حمايتنا على من يلجؤون إلينا ويطلبون جوارنا .
(٦) نحن نفخر بأننا نخوض غمرات الحروب ونرى الموت فيها عزاً وشرفاً ، ولا نراه سبة وذلا إذا كانت تراه كذلك قبيلتا عامر وسلول .
(٧) ونحن لا نعيش طويلاً فآجالنا قصيرة لأننا نحب الموت ونخوض المهالك أما هم فإن أعمارهم طويلة لشدة كراهتهم للموت ،وعدم خوض الحروب .
(٨) ولم يمت منا سيد في فراشه قط لأننا دائماً نموت في ساحات القتال . ولا يهدر دم من يقتل منا لأننا لا نترك ثاراتنا .
(٩) إن دماءنا تسيل على حد السيوف ولا تسيل على غيرها .
(١٠) ونحن أصحاب الرأي والفكر ونستطيع أن نستدرك على الناس ما يقولون وننكره عليهم ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر علينا قولنا .
(١١) وإذا مات منا سيد وخلا مكانه ، قام مقامه سيد آخر يقول ويفعل فعل الكرام من أسلافه .
(١٢) إنا لا نطفئ نيراننا دون من يطرق بابنا ولم يذمنا أحد ممن ينزلون بنا .
(١٣) ولك أن تسألي الناس عن حقيقتنا وحقيقتهم فيخبروك . فلا يستوي العلماء والجهلاء .

(١ – ١١ – ٣) **التعليق والتذوق** :

نجد أن هذه القصيدة قد حفلت بعدد من الصور البيانية التي أعطت المعنى قوة والأسلوب تماسكاً مثل : الكناية – ما أخمدت لنا نار دون طارق . حيث كنى بذلك عن كرمهم .

وننكر إن شئنا على الناس قولهم – كناية عن أنهم أصحاب الرأي والفكر بين العرب ، وأنهم أصحاب الرأي القويم . وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل – كناية عن قوتهم وعزتهم ، وضعف الأكثرين ، وكل صورة من هذه الصور ذات دلالة على الصفات التي يريد الشاعر أن يفخر بها .

ونجد كذلك المجاز المرسل في قوله تسيل على حد الظباة نفوسنا .

والاستعارة في (وتكرهه آجالهم فتطول) ، (وما نرى القتل) . وكلها تعكس الفخر بالشجاعة والقوة .

ولم تخل القصيدة من بعض المحسنات البديعية غير المتكلفة مثل قوله : " أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل ويقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول " . وتبدو عناية الشاعر بإيراد الألفاظ التى تناسب موضوعه وهى الألفاظ التي توحي بالقوة وتناسب الفخر مثل : ما ضرّنا – سبة – تكرهه – حتف أنفه – طل – وهكذا . وترى أنه قد استخدم الاحتراس في قوله – إن شئنا – ليدل على مدى استقلالهم بآرائهم وأنه لا أحد يستطيع أن يفرض عليهم شيئاً .

وقد استخدم أيضاً كلمة (خلا) بدلاً عن (مات) في قوله : " إذا سيد منا خلا قام سيد " إذ ربما كان الشاعر يكره إيراد كلمة الموت بجانب الحديث عن سادة قومه واحترامهم وكلمة (خلا) أقل صراحة في الحديث عنه .

أسئلة للمناقشة :

(١) قال أحد الشعراء :

إذا قمرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أوْ خَبَا بَدا قمرٌ في جانبِ الأُفْقِ يَلْمَعُ

ما البيت في القصيدة الذي تراه يوافق معنى هذا البيت ؟

(٢) قال سيدنا عبد الله بن الزبير عند مقتل أخيه مصعب " إنا والله لا نموت حتف آنافنا ، ولكن قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف " .

أين تجد معنى هذه العبارة في أبيات القصيدة ؟

(٣) لماذا يفخر الناس دائماً بأنهم لا يموتون حتف آنافهم ؟

(٤) الحكمة قدر مشترك تقريباً في الشعر العربي – استخرج من القصيدة ما يمكن أن يكون من الحكمة .

(١ – ١٢) رسالة تحذير

لقيط بن يعمر الإيادي*

(١) **يا أيُّها الرَّاكِبُ المُزْجِي مَطِيَّتَهُ * نَحوَ الجَزيرَةِ مُرتاداً وَمُنتَجِعا**
(٢) **أبْلِغْ إياداً، وخَلِّلْ في سَراتِهِمُ * إنِّي أرَى الرَّأيَ، إنْ لَمْ أعْصَ قد نَصَعا**
* * *
(٣) **يا لَهفَ نَفسِيَ أن كانَت أمورُكُمُ * شَتّى وَأحكِمَ أمرُ الناسِ فاجتَمَعا**
(٤) **ألاَ تَخافُونَ قَوْماً لا أبَا لَكُمُ * أمْسَوا إليكمْ كأمْثالِ الدَّبا سِرَعا**
(٥) **أبناءُ قومٍ تَأوَّوكُم عَلى حَنَقٍ * لا يَشعُرونَ أضَرَّ اللهُ أم نَفَعا**
(٦) **في كُلِّ يومٍ يَسُنُّونَ الحِرابَ لكم * لا يَهْجَعُون إذا ما غافِلٌ هَجَعا**
(٧) **وأنتمُ تَحْرُثُونَ الأرْضَ عن سَقَهٍ * في كلِّ ناحيةٍ تَبْغُون مُزْدَرَعا**
(٨) **وتَلْبَسُونَ ثِيابَ الأمْنِ ضاحِيَةً * لا تَجْمَعُون، وهذا الجَيْشُ قد جَمَعا**
* * *
(٩) **قُومُوا قِياماً على أمْشاطِ أرْجُلِكُمْ * ثُمَّ افْزَعُوا، قد يَنالُ الأمْرَ مَن فَزِعا**
(١٠) **وَقَلِّدُوا أمْرَكُمُ، للّهِ دَرُّكُمُ * رَحْبَ الذِّراعِ، بأمْرِ الحربِ مُضْطَلِعا**
(١١) **لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ * ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بهِ خَشَعا**
(١٢) **عَبْلَ الذِّراعِ أبِيّاً ذا مُزابَنَةٍ * في الحَرْبِ** لا عَاجِزاً نِكْساً ولا وَرِعَا
* * *
(١٣) **هَذا كِتابي إلَيكُم وَالنَذيرُ لَكُم * لِمَن رَأى رَأيَهُ مِنكُم وَمَن سَمِعا**
(١٤) **لقد بَذَلتُ لَكُم نُصحي بــلا دَخَلٍ * فَاستَيقِظوا إنَّ خَيرَ العِلمِ ما نَفَعا**

(١ – ١٢ – ١) **اللغة :**

المزجي : السائق راحلته بسرعة .
الجزيرة : هي جزيرة العراق ، حيث مساكن قبيلة إياد .
مرتاداً : طالبا حاجة .

---

* لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي : شاعر جاهلي قديم عاش في بلاط كسرى ، وكان لمعرفته اللغة الفارسية – ترجمانا لكسرى ، وكانت بين كسرى وقبيلة لقيط (إياد) عداوة مستحكمة ، فأعد كسرى لمحاربتهم جيشاً ضخماً أحاطه بالسّريّة ، ولما اطلع لقيط على هذه الحملة السرية بعث بهذه الرسالة التي صاغها شعراً لتكون أبلغ أثراً في نفوس قومه فيستعدوا لملاقاة عدوهم . فلما بلغت إيادا هذه الرسالة استعدوا لعدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى وقف الفريقان من الحرب . قال النقاد : لم تقل العرب قصيدة في النذير أجود من هذه . وعلم كسرى بأمر إياد فقطع لسانه.

منتجعاً : طالباً الكلأ .
خلل : خُصَ .
سراتهم : أشرافهم وسادتهم ، أي خص بإبلاغك إياهم رسالتي .
نصع : وضح وبان .
لا أبالكم : لا أبا لك ، هذا تعبير يقصد منه أحيانا التعجب وأحياناً الذم والمراد به هنا التعجب من غفلتهم عما يعده لهم أعداؤهم من حرب .
الدبا : صغار الجراد ، شبههم بالدبا في الكثرة والسرعة
تآوَرْكم : قصدوكم ، جاءوا إليكم .
معتمل : مكان العمل .
مزدرع : الزراعة .
ضاحية : ظاهرة .
لا تجمعون : لا تحزمون أمركم وتستعدون .
افزعوا : أسرعوا إلى ملاقاة عدوكم .
رحب الذراع : قوي عند الشدائد .
خشع : ضعف وجبن .
عبل الذراع : قوي .
المزابنة : المدافعة .
الورع : الجبان .
الدخل : الغش والخديعة .

(١ – ١٢ – ٢) **الشرح :**

(١) يوجه الشاعر نداءه لكل راكب مسرع على راحلته متجه نحو الجزيرة طلباً للحاجة والكلأ .
(٢) أبلغوا قبيلة إياد ، وخص بذلك سادة القوم وأشرافهم أن الرأي إن لم يعصوني قد بان وظهر .
(٣) واحزني وحسرتي إن كانت آراؤكم مشتتة مختلفة في حين أن الناس قد أحكموا أمرهم واجتمعوا على رأي واحد .
(٤) وأعجب من غفلتكم ، ألا تخافون من قوم قد أسرعوا إلى حربكم وهم كالجراد كثرة وسرعة .

(٥) وهم أبناء قوم قد قصدوكم بصدور ممتلئة حقداً عليكم غير مهتمين بالضرر أو النفع .
(٦) إنهم يستعدون دائماً يسنون الحراب ولا ينامون ولا يغفلون .
(٧) أما انتم فهمكم حرث الأرض وزراعتها ولا تنتبهون إلى ما يدبر لكم .
(٨) إنكم تعيشون آمنين لا تحزمون أمركم ولا تستعدون والليث قد حزم أمره واستعد لحربكم .
(٩) قوموا وقفوا وأسرعوا لملاقاة عدوكم فقد تنالون الأمن إذا استعددتم وتهيأتم لملاقاة عدوكم ، وصددتموه عنكم .
(١٠) سلموا أمركم وقيادتكم لفارس قوي ممارس للحروب عالم بأمورها ومداخلها .
(١١) ولا تتركوها لشخص عاش مترفاً إن ساعده رخاء العيش ولين الحياة استنام وإذا أصابه مكروه خضع وجبن ، فهذا ليس رجلكم ولا قائدكم .
(١٢) ولكن سلموا قيادتكم لقائد قوي لا عاجز ولا ضعيف ولا جبان .
(١٣) هذه رسالتي إليكم أنذرت بها كل من له رأي منكم ، ليصغي إليها ويعمل بها .
(١٤) ولقد أفضيت لكم بمكنون نصيحتي بلا غش أو خديعة فانتبهوا واعلموا فإن خير العلم ما انتفع به صاحبه .

(١ – ١٢ – ٣) التعليق والتذوق :

نلاحظ أن القصيدة قد حفلت بالصور البيانية التي لها أثر في الاستماع إلى النصح فقد حفز قومه للاستعداد لملاقاة عدوهم ، حيث تخيل أن هناك راكباً يسوق راحلته مسرعاً نحو أرض قومه طلباً للعيش والكلأ ومثل هذا يكون مؤهلاً لحمل الخبر . ويجعل مدخله للنصيحة تهويل الأمر بقوله : " يا لهف نفسي " ، ويكنى عن تفرق الآراء بقوله : " أموركم شتى وأن أمر غيركم محكم ومجتمع " . وهذا يتضمن نصحه بأن تفرق الآراء يؤدي إلى الهزيمة ومن ثم فلا بد من الاتحاد الذي تقوى به العزائم . ويورد في ذلك استفهاماً مبعثه التعجب من عدم مبالاتهم بعدو يسعى مسرعا إليهم مشبها إيّاه بالجراد . ويأتي بالكناية في قوله يسنون الحراب لكم لتأكيد استعداد عدوهم ، ويعبر عن غفلة قومه وأنهم لا يأبهون لما يعده الأعداء لهم بقوله : " تحرثون الأرض عن سفه وتلبسون ثياب الأمن " .

وفي قوله : " قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم " صورة بيانية تأتي للتعبير عن إبداء الهمة والنشاط وأن يشمّروا عن ساعد الجد ، ويدعوهم لأن يجعلوا قيادتهم

الحربية في يد شخص متمرس ويؤكد ذلك بجملة دعائية معترضة ، وليس في يد شخص أقعده الترف الذي يعيش فيه من رخاء عيشه . وإذا أصابه مكروه جبن عن ملاقاة عدوه . ونجد في عبارة عض مكروه به صورة استعارية ، الغرض منها التعبير عن توليه مثل هذا الشخص الجبان .

أسئلة للمناقشة :

(١) يأيها الركب المزجي – يأيها الساعي على عجل – أي العبارتين أفضل لأداء المعنى .؟ ولماذا ؟
(٢) ماذا يفيد التعبير يا لهف نفسي ؟
(٣) ما دلالة التعبير بالجملة الاحتراسية إن لم أعص ؟
(٤) ماذا ترى في عبارة (لا أبالكم) أهي دعاء لهم أم عليهم؟ وما المقصود منها؟
(٥) عبارة رحب الذراع تفيد عادة التعبير عن الكرم . فما الذي تفيده هنا ؟
(٦) عبر الشاعر عن ظهور الثياب بكلمة ضاحية . فماذا لو قال واضحة أو ظاهرة ، فأيهما أقوى في أداء المعنى ؟
(٧) قال (قوموا قياماً) ألا ترى في هذه الجملة نوعا من التكرار ؟ وماذا يستفاد منه ؟

(١ – ١٣) شجاعــة ..... وكــرم

تأبط شرا*

(١) يا عيدُ ما لكَ مِن شَوقٍ وَإيراق * وَمَرِّ طَيفٍ عَلى الأهوالِ طــرّاق
(٢) تَسري عَلى الأينِ وَالحَيّاتِ مُحتَفِياً * نَفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ عَلى ســاق
(٣) إنّي إذا خُلَّةٌ ضَنَّت لِصـــــاحِبِها * وَأَمسَكَت بِضَعيفِ الوَصلِ أَحذاق
(٤) نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إذ * أَلقَيتُ لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ أَرواقــي
* * *
(٥) لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ * بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبــنِ بَــرّاق
(٦) لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُذُرٍ * وَذا جَناحٍ بِجَنــبِ الرَيــدِ خَفّــاق
(٧) وَقُلَّةٍ كَسِنانِ الـــــرمحِ بارِزَةٍ * ضَحيانَةٍ في شُهورِ الصَيفِ مِحراق
(٨) بادَرتُ قُنَّتَها صَحبي وَما كَسِلوا * حَتّى نَمَيتُ إِلَيهــا بَعــدَ إِشــراق
* * *
(٩) بَلْ مَا لِعَظّالَةٍ خَدّالَةٍ أَشِبٍ * حَرَّقَ بِاللَومِ جِلــدي أَيَّ تِحــراق
(١٠) يَقولُ : أَهلكتَ مالاً لو قَنِعتَ بِهِ * مِن ثَوبِ صِدقٍ وَمِن بَزٍّ وَأَعــلاق
(١١) عاذِلَتي إِنَّ بَعضَ اللَومِ مَعنَفَةٌ * وَهَــل مَتــاعٌ وَإِنْ أَبقَيتُــهُ بــاق
(١٢) سَدِّد خِلالَكَ مِن مالٍ تُجَمِّعُهُ * حَتّى تُلاقي الَّذي كُلُّ اِمرِئٍ لاقــي

(١ – ١٣ – ١) اللغة :

العيد : ما اعتاد من حزن وشوق .
الإيراق : الأرق .
الأين : التعب .
محتفياً : حافياً .
الخلة : الصداقة .
أحذاق : ضعيف .
بجيلة : قبيلة ، كانت تريد قتل الشاعر فنجا .
الخبت : الأرض اللينة ، غير الصلبة .
الرهط : مكان .

---

* الشاعر :
اسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار وسمي بتأبط شرا ، لأن أمه عندما سئلت عنه قالت : تأبط شراً (أي سيفا) وخرج ، وهو من صعاليك العرب ، وكان عداء لا تدركه الخيل .

أرواقي : مجهودى ، ألقيت أرواقي : بذلت جهدي في الهرب من بجيلة .
العيكتان : جبلان .
معدي : عدو .
ابن براق : هو عمرو بن براق ، من صعاليك العرب وعدائيها كان مع تأبط شرا في الليلة التي أفلت فيها تأبط شرا من الأسر .
العذر : شعر الرأس الذي يتدلى على جانبي الوجه ، : وذو العذر الجواد السريع .
الريد : قمة الجبل .
القلة : أعلى الجبل .
ضحيانة : بارزه للشمس لعلوها وارتفاعها .
نميت : ارتقيتها .
العذالة : اللوام . والتاء للمبالغة : الكثير اللوم .
الخذالة : من يخذل صاحبه .
أشب : مخلط .
معنفة : عنف .
الخلال : جمع خلة (بفتح الخاء) .

(١ – ١٣ – ٢) **الشرح :**

(١) أيها الذي يعتادني دائماً من الشوق والأرق – وطيف الحبيبة الذي يأتي مسرعاً رغم ما يعترضه من أهوال .
(٢) يسير ليلاً تعباً حافياً لا يبالى بما في الطريق من الحيّات ، أفديك بنفسي وأنت تسير قاطعاً المسافات على ساقيك .
(٣ – ٤) إني إذا ضن وبخل الأصدقاء بمعاونة الصديق وضعفوا عنها . أسرعت للخلاص والنجاة منها وفعلت ما فعلته مع قبيلة بجيلة إذ بذلت كل جهدي في الهروب منها من ذلك المكان " الرهط " .
(٥) في تلك الليلة التي صاحوا وأغروا سراعهم للحاق بي في ذلك المكان عدوت عدو ابن براق .
(٦) فليس هناك أسرع منى حتى ولو كان جواداً سريعاً أو طيرا يخفق بجناحيه عند قمة الجبل .

(٧) ورب قمة جبل عال حادة كسنان الرمح بارزة ارتقيتها في أشد شهور الصيف حرارة .
(٨) وما شأن ذلك الذي جعل اللوم عادة له ، ما شأنه وشأني فقد أحرق جلدي بلومه وعذله .
(٩) يقولون لي معنفين إنك أضعت مالاً كان يجب أن تقنع من إهلاكه بأثواب تلبسها وأشياء قيمة تمتلكها .
(١٠) يا لائمتي إن في اللوم عنفا وهل هناك شيء يدوم حتى وإن أردت دوامه .
(١١) فما تجمعه من مال سدد به حاجاتك حتى يأتي الموت الذي يأتي لكل امرئ .

(١ – ١٣ – ٣) التعليق والتذوق :

الحديث عن طيف المحبوب مألوف في الشعر العربي .
يقول البارودي متحدثاً عن طيف ابنته وقد زاره في منفاه :

تَــأوَّبَ طَيْفٌ مِــنْ سَــمِيرَةَ زَائِرٌ ✱ وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ
طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ ✱ بِــأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالأُفْقِ حَائِرُ
فَيَــا لَــكَ مِــنْ طَــيْفٍ أَلَمَّ وَدُونَهُ ✱ مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ

وشاعرنا تحدث عما يلاقيه طيفه من أهوال في مسراه . فاستخدم لذلك الكناية في قوله : " يسرى على الأين والحيات محتفياً " . وتلاحظ الربط بين العبارتين حيث ربط نجاته من الصديق الذي لا يعينه بنجاته من قبيلة بحيلة . في حادثة كان لها أثر كبير في حياته واستخدم أيضا الكناية في قوله ليس ذا عذر وذا جناح ، والتشبيه في قوله : (كسنان الرمح) – والاستعارة في قوله : (أهلكت مالاً) تنبئ عن إنفاق المال حتى لم يبق منه شيء ومن ثم كانت كلمة أهلكت أكثر دلالة على المعنى من أنفقت . والاستفهام الإنكاري في وقوله : (وهل متاع وإن أبقيته باق) حيث ينكر عليها أن تعنفه وأن تلومه . وكنى عن الموت بقوله : (حتى تلاقى الذي كل امرئ لاق) ، ولعله أراد بذلك أن يشعرها بأن ما يلاقيه الناس ستلاقيه هي أيضاً أو لعله أراد أن يتجنب ذكر الموت صراحة .

(١ – ٣ – ٣) أسئلة للمناقشة :

(١) من أبيات لطرفه بن العبد يقول فيها :

ألا أيُّهَذا الزاجِري أحضُرَ الوَغى ✱ وَأن أشهَدَ اللذّاتِ هَل أنتَ مُخلِدي
فَإن كُنتَ لا تَســطيعُ دَفعَ مَنيَّتي ✱ فَــدَعني أُبــادِرها بِما مَلَكَت يَدي
أَرى قَبْرَ نَــحّامٍ بَــخيلٍ بِمــالِهِ ✱ كَقَبرِ غَوِيٍّ فــي البَــطالَةِ مُفسِدِ

استخرج من قصيدة تأبط شرا ما يتفق مع ما قاله طرفه .

(٢) أراد تأبط شرا أن يؤكد سرعته فذكر أنه ليس هناك أسرع منه لا الجواد السريع ولا الطير ولكنه لم يذكر الريح وهى أسرع من الخيل والطير فما سبب ذلك في رأيك ؟

(٣) استخدم في البيت السابع القلة وفي البيت الثاني القنة فهل تجد تفسيراً لذلك وما هو ؟

(٤) ماذا يستفاد من قوله : " إنه نمى في تلك القمة في شهور الصيف " .

(١ – ١٤) خطبة هاشم بن عبد مناف في قومه

تنافرت قريش وخزاعة إلي هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعنت له القبيلتان .

قال :

أيها الناس نحن آل ابراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم .

يا بني قصي ! أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لا يصان إلا بغمده ، ورامي العشيرة يصيبه سهمه ، ومن أمحكه اللجاج أخرجه إلى البغي .

أيها الناس ! الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلي فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة . وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف وتهدم المجد ، وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته . ورأس العشيرة يحمل أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .

فصاح زعماء القبيلتين " رضينا بك أبا نضلة " .

(١ – ١٤ – ١) اللغة والتعابير :

خزاعة	:	قبيلة يمنية هاجرت إلى الشمال – بعد تهدم سد مأرب وسكنت في مكة .
النضر	:	هو الجد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم .
قصي	:	الجد الرابع للنبي .
الحلف	:	المعاهدة بين القوم .
لكل في كل حلف	:	لكل شخص في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .
رامي العشيرة يصيبه سهمه	:	إنَّ من يحارب عشيرته وأهله تعود خسارته عليه .

أمحكه	:	أغضبه .
السؤدد	:	السيادة والمجد والشرف .
الجهل	:	الإسراع إلى الشر .
السفه	:	الطيش والانحراف عن السلوك القويم .
الخليط	:	من يخالطك من الجيران والأصحاب .
أنصفوا من أنفسكم	:	خذوا الحق من أنفسكم ، وأعدلوا ولو علي أنفسكم .
النهنهة	:	المنع من فعل الشر .
أبو نضلة	:	كنية هاشم بن عبد مناف .

(١ – ١٤ – ٢) الشرح :

بدأها بمخاطبة الناس مبيناً لهم فضلهم وشرفهم من حيث إنهم قد نسلوا من شخصيات ذات تاريخ حافل وأثر واضح في الحياة في الجزيرة العربية ، وأن الله قد حباهم بالسكن في الحرم الآمن في مكة ، ومن ثم فهم في ذروة الشرف وأصل الأمجاد والمكارم .

وكل منهم له حلف في الفريق الآخر ، والحلف يوجب المناصرة وإجابة الدعوة عند الخطوب والملمات ، إلا إذا انحرف ذلك الحلف عن تحقيق رسالته وأصبح داعيا للخروج عن العشيرة وقطع الرحم .

ثم شبه الفريقين بغصني شجرة ، فإذا قطع أحدهما استوحش الغصن الآخر لفقده . وأن السيف يظل محفوظاً إذا كان داخل غمده ، وأن كلا من الفريقين يحمي الآخر فكلاهما سيف وكلاهما غمد .

ومن يرمي عشيرته فإن السهم يرتد إليه ، وأن من يبالغ في الخصومة فستقوده هذه المبالغة إلى البغي والظلم ، ثم وضح لهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل فرد ، وما تنطوي عليه تلك الصفات من فضائل .

فالحليم يشرف ويسود قومه بحلمه ، وأن من يصبر على شيء فلا بد أن يناله ومن يصنع المعروف فسيبقى معروفه كنزاً مدخراً يعود عليه ، وبالجود والسماحة يسود الإنسان ، أما الجهل فهو طيش وعدم استقامة وانحراف عن الطريق القويم . والأيام لا تثبت علي حالة فلا يغتر المرء بحالة الرخاء ولا يصيبه اليأس في حالة العسر ، والدهر كذلك متغير فقد تنقلب السعادة شقاء والشقاء سعادة وقيمة المرء تتحدد بعمله .

ثم دعاهم لعمل الخير ليعيشوا محمودين بين الناس ، وترك ما لا يفيد وعدم الخوض في فضول الكلام ليبتعد عنهم السفهاء . ودعاهم لإكرام من يجالسونهم

ليكون ذلك مدعاة لأمثالهم عليهم ، وتعمر بذلك أماكن جلوسهم وأن يدافعوا عمن يأوي إليهم فيكون ذلك دافعاً ليعيش في جوارهم . وأن يقيموا العدل حتى علي أنفسهم وبذلك يكونون محل ثقة كل الناس . ودعاهم للالتزام بمكارم الأخلاق فبها يسمو المرء . وحذرهم من الاتصاف بالأخلاق الدنيئة لأنها تضيع الشرف وتنزل بالمرء إلي درك السفه والجهالة ، وأن يكفوا الجاهل حتي لا يتمادى في جهله ويفعل ما يحاسب عليه ، فكفه أهون من الجريمة التي يمكن أن يقع فيها .

وسيد القوم هو الذي يتحمل عنهم أثقالهم وما يحدث منهم . والحليم بينهم يكون فعله خير واعظ لهم إن حاولوا الانتفاع به .

(١ – ١٤ – ٣) التعليق والتذوق :

تمثل الخطبة نوعاً جديداً من أنواع الخطابة الجاهلية . إذ بدأها بالحديث عن النسب الشريف الذي يرتبط به الفريقان المتنافران ، وأنهم ينزلون معاً في أفضل منزل وهو مكة ويجاورون الحرم المقدس . ومن ثم فهم في منزلة واحدة ولا مجال للمفاخرة بينهم .

ونلاحظ أنه لم يتحدث عن المفاخرة حديثاً مباشراً . وإنما تدرج في الحديث بضرب الأمثال وصوغ الحكم ليصل بذلك إلي غايته .

وقد عرض هذه الخطبة في أسلوب سهل سلس وعبارات واضحة متزاوجة وتسلسل طبيعي في عرض الأفكار ولم يجنح لإيراد ألفاظ غريبة ، أو خروج من موضوع لآخر ، ولم تخرج الخطبة عن خصائص الخطب الجاهلية ، في صوغها من عبارات قصيرة مؤثرة وإيجاز بليغ .

ونلاحظ أن الخطبة لم تلتزم السجع بصورة كاملة . وإنما ورد السجع أحياناً ولم يكن متكلفاً مثل – أوحش صاحبه ، إلا بغمده – يصيبه سهمه – والمرء منسوب إلي فعله ومأخوذ بعمله .

ولم تخل من بعض الصُّور البلاغية كالتشبيه (أنتم كغصني شجرة) والاستعارة (أيهما كسر أوحش صاحبه) والكناية (والسيف لا يصان إلا بغمده) مما ورد متناثراً في ثنايا الخطبة .

(١ – ١٤ – ٤) أسئلة للمناقشة :

(١) صدرت الخطبة ببيان أنهم من نسل إبراهيم وإسماعيل وغيرهما فعلى أي شيء يدل ذلك ؟

(٢) ترى ما الأفكار التي ركزت عليها هذه الخطبة ؟

(٣) تمثل هذه الخطبة نوعاً جديداً من أنواع الخطابة الجاهلية . وضح هذه العبارة .

(٤) ورد في الخطبة إغراء بصفة وتحذير من أخرى بصورة متقابلة فما الصفتان ؟ وما أثر كل منهما في بناء المجتمع ؟

(٥) استعمل كلمة نهنهة الجاهل بمعنى كفه . فما المعنى الإيجابي الذي تستشفه منها ؟

من نفيس الكلام :

" إنَّني إذا تأملتُ حالَ هذه اللغةِ الشريفةِ الكريمةِ اللطيفةِ وجدتُ فيها مِن الحكمةِ، والدِّقَّةِ، والإرهافِ، والرِّقَّة، ما يَمْلِكُ عَلَيَّ جَانِبَ الفِكْر، حتى يكاد يطمحُ به أمامَ غَلْوَةِ السِّحْر" .

أبو الفتح عثمان بن جني

الباب الثانى

مختارات أدبية للقراءة

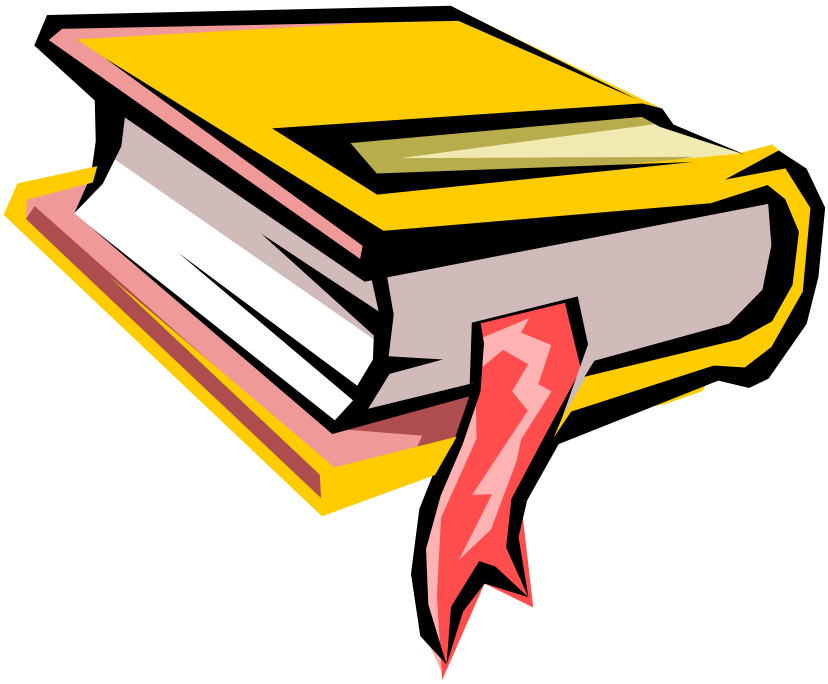

(٢ – ١) من أحاديث الأعراب

قال زياد بن أبيه لغيلان بن خرشة : أحب أن تحدثني عن العرب وضنك عيشها لنحمد الله على النعمة التي أصبحنا بها .

فقال غيلان ، حدثني عمي قال : توالت على العرب سنون تسع في الجاهلية ، حطمت كل شيء ، فخرجت على بكر لي في العرب ، فمكثت سبعاً لا أطعم شيئاً إلا ما ينال منه بعيري أو من حشرات الأرض ، حتى دفعت في اليوم السابع إلى حِواء عظيم ، فإذا بيت جحش عن الحيّ فملت إليه ، فخرجت إليّ امرأة حسانة فقالت ، من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى . فقالت : لو كان عندنا شيء لآثرناك به ، والدالّ على الخير كفاعله ، حسّ هذه البيوت ، ثم انظر إلى أعظمها . فإن بك في شيء منها خير ففيه ، ففعلت حتى دفعت إليه ، فرحب بي صاحبه ، وقال : من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال : لا ، فو الله ما وقر في أذني شيء كان أشد منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال : لا ثم تأوه فقال : بلى قد بقينا في ضرع الفلانة شيئاً لطارق إن طرقك ، قال فأت به ، فأتى العطن فابتعثها وأخذ يحلبها .

قال عمى ، فما سمعت شيئاً قطّ كان أحلى وقعاً في سمعي من شخب تيك الناقة في تلك العلبة ، حتى إذا ملأها ، وفاضت جوانبها وارتفعت عليها رغوة كرأس الشيخ الهرم ، أقبل بها يهوى نحوى ، فعثر بعود أو حجر فسقطت العلبة من يده ، فحدثني عمى أنه أصيب بأبيه وأمه وولده وأهل بيته ، فما أصيب بمصيبة أعظم من ذهاب العلبة .

فلما رأى ذلك رب البيت خرج شاهرا سيفه فبعث الإبل ثم نظر إلى أعظمها سناماً فنحرها ، ثم دفع إليّ مدية وقال يا عبد الله ، اصطل واجتمل ، قال : فجعلت أهوي بالبضعة من اللحم إلى النار ، فإذا بلغت إناها أكلتها ، ثم مسحت ما في يدي من إهالتها على جلدي ، وكان قد قحل على عظمى حتى كأنه شنّ ، ثم شربت شربة ماء ، وخررت مغشياً عليّ . فما أفقت إلى السحر .

وقطع زياد الحديث وقال ، لا عليك ألا تخبرنا بأكثر من هذا ، فمن المنزول به ؟ قلت : أبو علي عامر بن الطفيل [١] .

---

[1] أحد فرسان العرب وكرمائها في الجاهلية .

(٢ – ١ – ١) **اللغة :**

الضنك : الضيق من كل شيء وفي التنزيل : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ .

حطمت : أهلكت .

البكر : (بفتح الباء) القوي الفتي من الإبل ، بمنزلة الشاب من الناس .

الحواء : (بكسر الحاء) مجتمع البيوت .

جحش : أبعد .

حسَّانة : (بضم الحاء ، وتشديد السين) حسناء الصورة .

حس : اسأل من فيها .

وقر : دخل في أذنه ، أصابه .

الفلانة : العرب تكنى عن أسماء الآدميين فنقول ، فلان وفلانة بغير الألف واللام ، وتقول : الفلان والفلانة بالألف واللام لغير الآدميين .

العطن : المكان الذي تبرك فيه الإبل حول وردها .

ابتعثها : أثارها .

الشخب : صوت اللبن من الضرع .

العلبة : قدح ضخم من خشب أو من جلود الإبل .

اصطل : استدفئ بالنار .

اجتمل : ادهن بالشحم والجميل : الشحم .

إناها : نضجها .

الإهالة : الشحم .

قحل : يبس .

الشن : الجلد اليابس .

(٢ – ١ – ٢) **الاستيعاب :**

(١) كيف يعتبر الإنسان بالتاريخ ؟

(٢) من اللذين جرى بينهما الحديث السابق ؟

(٣) كم عدد السنين التي توالت على العرب ؟

(٤) علام كان يقتات عم غيلان قبل خروجه بحثاً عن الطعام ؟

(٥) أين موقع البيت الذي مال إليه ، من الحي ؟
(٦) ماذا كان يلتمس الطارق ؟
(٧) هل وجد ما يطلبه عند أصحاب البيت ؟
(٨) الدال على الخير كفاعله ، ماذا تفهم من هذه العبارة ؟
(٩) هل عندك طعام ؟ فقال لا – ما الأثر النفسي لهذه العبارة على الطارق ؟
(١٠) لماذا ابقوا على شيء من الشراب في ضرع الناقة ؟
(١١) لماذا كان اندلاق اللبن أعظم مصيبة عند ملتمس القرى ؟
(١٢) كيف تصرف صاحب البيت عندما تعثر الرجل وضاع اللبن ؟
(١٣) صف لنا حال عم غيلان عندما تصرّف صاحب الإبل ؟

(٢ – ١ – ٣) التدريبات اللغوية :

(١) توالت على العرب سنون تسع في الجاهلية . كيف تعرب ما تحته خط ؟
(٢) كيف صور الرجل اللبن عندما ملأ العلبة وفاض بجوانبها ؟
(٣) الضنك ، آثر ، يلتمس . ادخل الكلمات السابقة في جمل مفيدة تشرح معناها .
(٤) استبدل ما تحته خط بكلمة تؤدى نفس المعنى :
أ. فو الله ما وَقَرَ في أذني شيء أشد منه .
ب. فنظر إلى أعظمها سناماً فنحرها
ج. وخررت مغشياً عليّ
(٥) هات في جمل مفيدة كلمات تؤدى عكس الكلمات التي تحتها خط وغير ما ينبغي تغييره :
أ. حدثني عن العرب وضنك عيشها .
ب. ملت إلى بيت جحش عن الحيّ .
ج. حتى إذا ملأها وفاضت جوانبها ....

من نفيس الكلام :
الناسُ أربعةٌ
رجلٌ يَدْري ، ويَدْري أنَّهُ يَدْري ، فذاك عالِمٌ فاسألُوه .
رجلٌ يَدْري ، ولا يَدْري أنَّهُ يَدْري ، فذاكَ نَاسٍ فذكِّروهُ .
ورَجلٌ لا يَدْري ، ويَدْري أنَّهُ لا يَدْري ، فذاكَ مُسْتَرْشِدٌ فعلِّمُوهُ .
ورَجلٌ لا يَدْري ، ولا يَدْري أنَّهُ لا يَدْري ، فذاكَ جَاهِلٌ فارْفُضُوهُ .

(٢ – ٢) بـخل وطمـع ونـدم (١)

تنفس الصبح ، وهبت نسائمه ناعمة ، وأقبل الشيخ وئيد الخطو مبهور النفس [١] ، أحنت ظهره السنون .

ولم يكد حاجب الشمس يبدو حتى كان الشيخ يدق بعصاه باب حديقته في تلك القرية من قرى اليمن .

كانت حديقة الشيخ جنة دانية القطوف ، فواحة الزهر جرى الماء في جداولها عذباً سلسالاً ، وتنقل النسيم بين خمائلها بليلاً دانياً ، وفيما وراء ذلك أشجار موقرة [٢] الثمار ، وبقل وأعناب وزرع ونخيل ، فغدت متعه الناظر ، ونزهة الخاطر ، واتخذها الناس مثابة [٣] وأمنا ، لهم تحت أشجارها ظل ومقيل ، وبين أفيائها[٤] سمر وحديث .

ودار الشيخ في جنبات حديقته ، فنشق [٥] من شذا الأزاهير ، وامتلأت عينه بداني الثمار ، وأصغت أذناه إلى تغريد البلابل ، وتطريب الأطيار .

ثم ذهب إلى مصلاه فسجد شاكراً لله أنعمه ، راغباً إليه أن يجنبه طغيان الغنى .

وتلك كانت عادة الشيـــخ مصبح كل نهار .

ثم يتعاقب الجديدان [٦] ، وتتوالى عشيات وأصائل ، حتى إذا رأى الجنة قد آتت أكلها ، وآذن حصادها ، دعا البستانيّ وأعوانه ليعملوا المناجل ، ويقطفوا الثمار .

ثم يفد إليه جماعات الفقراء على ما عودهم من كل عام ، فيعطيهم نصيبهم وافراً . هذا يملأ مكتله [٧] ، وذاك يحمل في ثيابه ، ولهم بعد ذلك ما أخطأه المنجل ، وما تركه الحاصد ، وما تناثر بين الأشجار رزقاً حلالاً طيباً .

وجرى على هذا في كل عام .

---

(1) مبهور النفس : متتابع النفس .
(2) موقرة : محملة ممتلئة .
(3) مثابة : ملجأ .
(4) أفياء : ظلال .
(5) نشق : شم .
(6) الجديدان : الليل والنهار .
(7) المكتل : سلة تعمل من السعف والخوص .

لم يطق أبناء الشيخ صبرا عندما رأوا مال أبيهم موزعاً بين الفقراء وبستانه مستباحاً للمساكين ، وأنهم والعافين [١] سواء .

قال ولد منهم لأبيه ، إنك يا أبى بما تنفق على الفقراء وتعطى ، وما تخصهم به من بذل ورفد لتبخسنا حقنا ، وتضيق علينا في رزقنا .

وقال ولد ثان ، إنك يا أبت لو مضيت في شأنك هذا فإنك سوف لا تبقى مالاً ولا نشباً [٢] وسنعود بعدك فقراء نمد الأيدي ونتكفف الناس .

وهم الولد الثالث بالكلام ، فأشار إليه الشيخ بالصمت ثم أدار عينيه في وجوه أولاده وقال ، ما أراكم إلا خاطئين في الوهم والتقدير ، ليس المال مالي أو مالكم ، وهذا البستان ليس في حوزتي أو حوزتكم ، إنما هو مال الله مكنني فيه وآمنني على أن أنفقه في أكرم وجوهه وأنفعها لخلقه ، فللفقراء والمساكين حقهم ولأبناء السبيل والعافين نصيبهم ، وما فضل بعد ذلك فهو لكم . والمال بهـذا يزكو [٣] وعلى هذا النحو من الإنفاق يزيد ، وتلك خطة درجت عليها شاباً طريراً [٤] والتزمتها رجلاً كهلاً ، فكيف لي أن أتركها اليوم شيخاً هما [٥] فانياً ! على رسلكم [٦] ، فها أنتم أولاء ترون شعري قد أشهب [٧] وجسمي قد نحل ، ولن ألبث قليلاً حتى ألقى الله ، وأنتم بين أمرين : إن أنفقتم فإن الله وعد منفقاً خلفاً وإن بخلتم فإن الله أنذر ممسكاً تلفا ، وله فيكم أمر هو بالغه .

(٢ – ٢ – ١) الاستيعاب :

(١) متى أقبل الشيخ ؟
(٢) كيف أقبل ؟
(٣) ماذا كان يفعل الشيخ عندما تلوح الشمس في المشرق ؟
(٤) صف الحديقة .
(٥) ماذا وجد الشيخ عندما طاف بأرجاء الحديقة ؟
(٦) لم خر الشيخ ساجداً ؟
(٧) ما العمل الذي كان يقوم به الشيخ عندما تؤتى الحديقة ثمارها ؟

---

(1) العافون : طلاب المعروف .
(2) النشب : العقار مثل البيوت .
(3) يزكو : يزيد
(4) طرير : ذو منظر حسن .
(5) هماً : كبيرا ــ عجوزاً .
(6) على رسلكم : على مهلكم .
(7) أشهب الشعر : تغير من سواد إلى بياض .

(٨) كيف كان الفقراء يخرجون من البستان ؟
(٩) لماذا تضجر أبناء الشيخ ؟
(١٠) ماذا قال ثاني الأبناء ؟
(١١) لماذا لم يسمع الشيخ للابن الثالث ؟
(١٢) بم رد الشيخ على أبنائه ؟
(١٣) بم أنذر الشيخ أولاده ؟
(١٤) كيف يتنفس الصبح ؟
(١٥) ما المقصود بالآتي (أحنت ظهره السنون) ، (ثم يتعاقب الجديدان) (آتت أكلها) ، (نعدُّ الأيدي ونتكفف الناس) ، (على رسلكم) .
(١٦) اذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو للإنفاق .

(٢ – ٢ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) أعرب ما تحته خط فيما آتى (ما أراكم إلا خاطئين) .
(٢) (شاكرا لله أنعمه ، شاكرا أنعمه لله)
– أي الجملتين صحيحة من حيث المعنى واللغة ؟

من نفيس الكلام :
إذا سَرّكَ أنْ تَعْظُمَ في عينِ مَنْ كُنْتَ في عينهِ صَغِيراً وَيَصْغُرَ في عينِكِ مَنْ كَانَ في عَينِكِ كَبيراً ، فَتَعَلَّم العربيةَ .

(٢ – ٣) بـخلُ وطمـع ونـدم (٢)

لم يمكث الشيخ طويلاً حتى لزمته العلة ، وألحّ عليه السقم ثم لفظ آخر أنفاسه ، وفرغ من شؤون الناس والحياة .

ومضت الأيام سراعاً ، وتهيأت الحديقة للجني ، ودنت ثمارها للقطوف واستشرف الفقراء لنصيبهم من الثمر دأبهم كل عام من حياة الشيخ .

واجتمع الأبناء يديرون الرأي ، ويعدون شأنهم للحصيد ، قال قائل منهم : " ولم يعد بعد اليوم في البستان حق لسائل أو فقير ، ولن تصبح الخمائل مأوى لقاصد أو ابن سبيل ، ولكل واحد منا نصيبه من الثمار بثمره إذا شاء ، ويخزن منه ما يشاء فإننا لو فعلنا ذلك فإن شأننا سيعلو ، ومالنا سيزيد " .

قال أوسطهم – وكان أقرب إلى أبيه نحيزة [١] – وأدنى إلى الخير: "إنكم تقدمون على أمر تظنونه خيراً لكم ، ولكنه يحوى الشر في طياته ، وتحسبونه نفعاً لكم ولكنه سيقضى على بستانكم من جذوره . إنكم لو حرمتم الفقراء وعطلتم حق المساكين، لا تأمنون منهم شراً واعتداءً ، امنحوهم حقهم ، واذهبوا مذهب أبيكم من إرضائهم، وما فضل بعد ذلك فإن الله ينميه، ويبارك فيه "ولكنهم صاحوا في وجهه: لا تقترح شيئاً فيما لا تملك كف عنا نصائحك . إنك لن تجد منا إلا آذانا صماء .

وبيتوا أمرهم عشاء أن يقوموا في عماية [٢] الصبح – وقبل أن ينبلج عمود النهار ، ويفارق النوم مضاجع الفقراء – إلى الحديقة يقطفون ثمارها ، ويوزعون فيما بينهم أنصباءهم منها .

وعلم الله سوء نيتهم ، ودخيلة نفوسهم ، وما انعقد عليه رأيهم من حرمان المساكين ، وأكل نصيب السائل والمحروم ، فأرسل إلى جنتهم طائفاً [٣] أقتلع نبتها وأسقط ثمرها ، وجفف أوراقها وأذهب مياهها .

وطلع عليهم النهار ، وهم على أسوار الحديقة يتساءلون : " أهذه جنتنا ، وقد تركناها بالأمس مورقة الشجر ، جارية المياه ، فواحة الزهر ، دانية القطوف ؟

ما نظن أن هذه حديقتنا ، وإنا لضالون " .

قال أوسط الأولاد : " بل هي جنتكم حرمتم منها قبل أن يحرم الفقير وجوزيتم بأسوإ ما يجزى لحز [١] شحيح ! " ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ

---

(1) النحيزة : الطبع .
(2) عماية الصبح : أوله .
(3) الطائف : البلاء .

سُبۡحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

ولكن مضى قدر ، وبقي أسف ، وليذوقوا عاقبة كيدهم ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

(٢ – ٣ – ١) الاستيعاب :

(١) كيف استقبل الأبناء حصاد البستان بعد والدهم ؟
(٢) ماذا قال أوسط الإخوة لإخوانه ؟
(٣) كيف رد عليه إخوانه ؟
(٤) علام اتفقوا ؟
(٥) ماذا حدث للحديقة ؟
(٦) كيف استقبلوا ما حدث لحديقتهم وماذا قالوا ؟
(٧) بم رد عليهم أوسطهم ؟
(٨) ما المقصود بقوله (ألح عليه السقم) ، (دأبهم كل عام) ، (اذهبوا مذهب أبيكم) ، (بيتوا أمرهم) ، (دخيلة نفوسهم) .
(٩) ماذا حدث بعد أن تأكدوا بأن هذه جنتهم التي تركوها بالأمس نضرة ؟
(١٠) وهل ينفعهم الندم ؟

(٢ – ٣ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) اذكر وزن ما يأتي – ألح ، بستان –
(٢) حول الأفعال الآتية إلى ماض (يعلو – يهوى)
(٣) ما العبرة من هذه القصة ؟

من نفيس الكلام :
مَنْ عَرَفَ قدْرَهُ لَمْ يَهْلِكْ ، ومَنْ صبَرَ ظفِرَ ، وأكْرَمُ أخْلاقُ الرِّجَالِ العَفْوُ .

---

(1) اللحز : البخيل .

(٢ – ٤) اللغة صورة وجود الأمة

أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجوداً متغيراً ، قائماً بخصائصه فهي قومية الفكر ، تتحد بها الأمة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة .

والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها ، وعمقها هو عمق الروح ، ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها .

وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها مكبرة شأنها ، فما يأتي ذلك ألا من روح التسلط في شعبها ، وكونه سيد أمره ومحقق وجوده ، ومستعمل قوته ، الآخذ بحقه .

فأما إذا كان من التراخي والإهمال ، وإصغار أمرها ، وإيثار غيرها بالحب والإكبار ؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه .

ولا جرم ، كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين فلن يتحول الشعب – أول ما يتحول – إلا من لغته ، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله ، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ ، لا صورة محققة في وجوده ؛ فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ؛ حتى إن أبناء الأب الواحد ، لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ، ونشأ الثاني على أخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء .

وما ذلت لغة شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة ، يركبهم بها فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد : أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً ، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها ، فأمرهم من بعدها لأمره تبع .

والذين يتعلقون باللغات الأجنبية – إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية – تراهم إذا وهنت [1] فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرؤون من سلفهم وينسلخون من تاريخهم ؛ وتقوم بأنفسهم الكراهية للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم

---

[1] وهنت : ضعفت .

وأشياء قومهم ، فلا يستطيع وطنهم أن يوحى إليهم أسرار روحه ، إذ ينقادون بالحب لغيره .

والشرق مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها . وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على نفسها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعاً إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية .

وإذا قويت العصبية ، وعزت اللغة ، وثارت لها الحمية فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة يرتفق [1] بها ، ويرجع شبر الأجنبي شبراً ، لا متراً .

وتكون تلك العصبية للغة القومية مادة وعوناً لكل ما هو قومي، فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة ، هي قوة الإيمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن .

(٢ – ٤ – ١) الاستيعاب :

(١) كيف تكون اللغة صورة وجود الأمة ؟
(٢) علام تدل الدقة في تراكيب اللغة ؟
(٣) ما مصير شعب يهمل لغته ويحقر أمرها ؟
(٤) لم كانت اللغة هدف المستعمرين الأول ؟
(٥) ماذا يحدث عندما يفرض المستعمر لغته على المستعمرين ؟
(٦) ما مصير من تضعف عصبيته للغته القومية ويتعلق باللغة الأجنبية ؟
(٧) من أين جاءت أكثر مشاكل الشرق ؟
(٨) ما النتيجة إذا اعتز الناس بلغتهم وقويت عصبيتهم لها ؟

(٢ – ٤ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) هات الفعل الماضي من هذه المصادر :
وجود ، تفكير ، إدبار
(٢) استبدل بالكلمات التي تحتها خط كلمات أخرى تؤدى معناها :
أ. كثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية .
ب. لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه .
ج. تقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها .
د. ثارت لها الحمية .

---

[1] يرتفق بها : يستعان بها .

(٣) ضع أمام كل كلمة مما يأتي وزنها الصرفي :

أ. قائم .....

ب. أساليب .....

ج. منشأ .....

د. برهان .....

ه. مبتلى .....

(٤) اذكر في جمل مفيدة المفرد لكل جمع مما يأتي :

أساليب ، خصائص ، آداب ، أسرار .

(٥) أعرب ما تحته خط فيما يأتي :

أ. فأمرهم من بعدها لأمره تبع .

ب. ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ .

من نفيس الكلام

لا يَزَالُ المَرْءُ عَالِماً مَا طَلَبَ العِلْمَ ، فإذا ظَنَّ أنَّهُ قدْ عَلِمَ فقدْ جَهِلَ

(٢ – ٥) هيكـــل عظمـــي

علي الطنطاوي[1]

كنت عند قريب لي طبيب ، فخرج لبعض شأنه ، فلما أطال الغياب وتسرب إليّ الملل ، قمت إلى خزانة كانت حيالي ، فقلت : لعل فيها كتاباً أقرؤه فما راعني حين فتحتها إلا هيكل عظمي معلق بسقفها .. فقلت أخاطبه .

من أنت أيها الإنسان الذي انتهى به الأمر إلى أن يحبس في خزانة ؟ أأنت رجل أم امرأة ؟ أغني أم فقير ؟

هل كان في هاتين الحفرتين البشعتين عيون ساحرات الطرف يفتن ذا اللب حتى لا حراك به ؟ وهل كان على هذا الثغر المخيف شفاه لعس ؟ وهل كان على هذا القفص العظمي صدر بلوري ، يضيع بين نهديه عقل العالم ، ويذهب فيه الحليم ؟

هل كنت أيها الإنسان رجلاً عفيفاً مستقيماً ، أم كنت لصاً خبيثاً ؟ اعترف فلن يضرك اليوم اعتراف !! .

هل كنت لص أعراض تلبس ثوب التاجر أو ترتدي حلة الموظف ، أو تتيه ببردة الغني ؟ كم من الأعراض سطوت عليه باسم الوظيفة ، أو بصلة الصداقة أو ولجت إليه من باب (السفور المتهتك) .

أم كنت لصاً رسمياً لا سبيل للقانون عليه ، لأنه يسرق من الناس ويسكتون . لأنهم يريدون أن تمشي أعمالهم ، ويسرق من الدولة بإسناد مصدقة .

هل كنت أيها الإنسان فقيرا مسكيناً عاش على هامش الحياة . ودفن في طرف المقبرة . فلم يحس أحد بحياته ، ولم يدر أحد بمماته ، ولعل حياته كانت أشرف حياة ، لأنها حافلة بالفضائل ، مترعة بالشرف . فكان يكدح طول نهاره ليحصل علي خبزه وخبز عياله ، فيأكله مأدوما بعرق جبينه ، لا يؤذي أحدا ، ولا يسرق مال الدولة ، ولا يتخذ وظيفته جسراً إلى تحقيق شهواته ، وتحصيل لذاته ولعل موته أشرف موت ، لأنه مات مجاهداً في سبيل أسرته .

أم كنت أيها الإنسان مظلوماً ولم تكن لصاً ولم تحترف السرقة ، ولكن رأيت صبية ، مشرفين على الموت من الجوع ، وأسرة كادت تودي من أجل رغيف ورأيت حقها في بيت مال الأمة وقد سرقه السادة الأكابر ، فغطيت وجهك حياء وأخذت رغيفاً ليس لك . فثار بك المجتمع ، وقامت عليك الصحف ، وتعلق بك القانون حتى استاقك إلي السجن ، فمت فيه مفجوعاً .

---

[1] الشيخ علي الطنطاوي كاتب سوري ، عضو محكمة النقض في سوريا من أشهر المفكرين الإسلاميين في الوطن العربي . توفي سنة ١٤٢١هـ رحمه الله .

أم كنت أيها الإنسان ملكاً يضيء على مفرقه التاج المحلي بالدرر ، ويلمع تحته السرير المصنوع من الذهب ، إذا أمر تقاتلوا على السبق إلى طاعته ، وإذا اشتهى شيئاً أسرعوا إلى تحقيق شهوته ، وإذا مرض لم يكن للناس حديث إلا حديث مرضه ، وإذا أبلَّ لم يكن سرور إلا ببشرى إبلاله ، وإذا قام أو قعد أو قدم أو ذهب ، لهجت الألسنة بقيامه وقعوده ، واشتغلت الصحف بذهابه وقدومه ، وإذا مشى في الطريق لم يمش على رجليه كما كان يمشى أبونا آدم عليه السلام . وكما تمشي ذريته ، ولكنه يمشي على رؤوس الناس الذين يحسون لفرط الإجلال أو لفرط السخط بأنه يمشى على رؤوسهم جميعاً .

قل لي أيها الهيكل العظمي المعلق من أنت من هؤلاء ؟

(٢ – ٥ – ١) اللغة :

لعس	:	سود اللعس سواد مستحسن في باطن الشفة .
ولجت	:	دخلت .
المتهتك	:	الذي لا يبالي بما يفعل من قبائح .
مأدوما	:	مخلوطاً بالإدام (الإدام هو ما يخلط به الطعام من حساء أو طبيخ أو نحوه) .
أبلَّ	:	شفى من المرض .

(٢ – ٥ – ٢) الاستيعاب :

(١) لم قام الكاتب إلى الخزانة التي كانت بالقرب منه ؟
(٢) ما الذي راعه عندما فتح الخزانة ؟
(٣) بم خاطب ما وجد ؟
(٤) ما المواضع التي تساءل عنها ؟
(٥) لم خاطبه بقوله لن يضرك اليوم اعتراف ؟
(٦) ما المقصود بقوله " لصاً رسمياً " ؟
(٧) ما شرف الحياة في نظر الكاتب ؟
(٨) ما المعنى المستفاد من قوله : " غطيت وجهك حياءَ " ؟
(٩) كيف يمشي على رؤوس الناس ؟
(١٠) ماذا توحي لك عبارة " تسرب إليّ الملل " ؟

(٢ – ٥ – ٣) التدريبات اللغوية :

(١) في جمل مفيدة من إنشائك اذكر المضاد للكلمات الآتية :
الحليم ، ولج ، مفجوع

(٢) استبدل بالكلمات التي تحتها خط كلمات أخرى تؤدي معناها :
أ. راعني حين فتحتها هيكل عظمي معلق بسقفها .
ب. هل كان في هاتين الحفرتين البشعتين عيون ساحرات ؟
ج. أو تتيه ببردة الغني ؟
د. فيأكله مأدوماً بعرق جبينه .
ه. وتعلق به القانون حتى استقاه إلى السجن .

(٣) هات جمع الكلمات الآتية في جمل مفيدة من إنشائك :
خزانة ، هيكل ، الثغر ، حلة ، جسر ، تاج

(٤) أعرب ما تحته خط :
أ. فما راعني حين فتحتها إلا هيكل عظمي .
ب. يَفْتِنَّ ذا اللُبَّ حَتّى لا حِراكَ بِهِ.
ج. هل كنت أيها الإنسان فقيراً مسكيناً .

(٥) انسب إلى الأسماء الآتية :
حياء ، الغنيّ ، بشرى

من **نفيس الكلام :**
الكذوب لا وجه له .
والحسود لا راحة له .
والبخيل لا مروءة له .
ولا يسود سيء الأخلاق .

(٢ – ٦) الشجـــرة الخضراء

من أروع ما يدخل علي النفس السرور أن يرى المرء شجرة خضراء تنبت في الأرض القاحلة ، أو تراباً أصفر يتحول إلى بساط أخضر ، إنه يحس الخضرة تنطق بالحياة وتعبر عنها كما ينطق الجفاف بالموت ويعبر عنه .

إن الشجرة من الدعائم الأساسية الثابتة للحياة ، لم تفقد قيمتها منذ أن خلقها الله على هذه الأرض ، ولم تنزل عن مكانتها الرفيعة في أي عصر من العصور ولا في أي دور من أدوار التقدم البشري .

لقد ازدادت الحاجة إلى الشجرة بازدياد التطور ، وسخرت الحضارة عبقريتها وأدواتها لخدمة الشجرة والسهر عليها وحمايتها من الأمراض ، وتوفير أسباب الراحة لها من غذاء كامل ، وتنفس طبيعي ، ومساحة مناسبة .

فالشجرة هي أم البشرية التي لم تتخل عن وظيفة الأمومة الحقيقية في أي لحظة من عمر التاريخ البشري ، وستظل أماً رؤوماً [١] تمنح الغذاء ، وتعطي بسخاء حتى تلفظ أنفاسها وتقوم الساعة بل حتى في هذه النهاية الخاتمة للحياة تجد الشجرة من يتعلق بها ويعبر عن الوفاء لها ، على الرغم من أن الفائدة فيها قد انقطعت كما انقطعت من سائر ما في الحياة ، وذلك ما يشير إليه الحديث الشريف " إذا قامت القيامة ، وكانت في يد أحدكم فسيلة [٢] فليغرسها " .

لا نعتقد أن هناك أداة من أدوات الحياة استحقت هذا الشرف العظيم ونالت من الرعاية ما حظيت به الشجرة ، فكل شيء ينتهي بانتهاء الحياة ، والإنسان يتوقف عن كل نشاط عندما تقوم الساعة إذ لا وقت لديه لجني ثمرة عمله إلا الشجرة فإنه مطالب بغرسها ومأمور باحترامها بغض النظر عن الدوافع .

تمثل الشجرة في بلادنا أهمية خاصة ، لأن حقائق الطبيعة تلح علينا إلحاحاً قوياً للاهتمام بالشجرة ، فقد ثبت من الدراسات العلمية ، ونتائج التجارب العملية أن الصحراء الكبرى في إفريقيا تزحف زحفاً مستمراً على الأرض الزراعية والصالحة للزراعة ، وزحف الصحراء المستمر يعني زحف الموت على الحياة ، إذ الرمال تقتل الأرض الزراعية وتنتقصها من أطرافها ، ولا تملك الأرض المزروعة والصالحة للزراعة إلا الاستسلام لحبات الرمل الزاحفة .

والقادر على الوقوف في وجه الزحف الصحراوي ، والدخول معه في صراع هو الإنسان ، فهو وحده من يستطيع صد الموت الزاحف على الأرض

---

[1] رؤوماً : عطوفاً .

[2] الفسيلة : النخلة الصغيرة تقطع من الأم وتغرس في مكان آخر .

الحية ، وذلك بإحياء الإنسان الأرض وعنايته بالشجرة ، بكل نبت أخضر ، ووضع المتاريس [1] في المواقع المناسبة لمقاومة الجحافل [2] الزاحفة من الرمال حتى لا يتحقق غرضها في النيل من الأرض المزروعة ، أو قتل عناصر الحياة في الأرض .

(٢ – ٦ – ١) الاستيعاب :

(١) لم كانت رؤية الشجرة والخضرة تدخل السرور على النفس ؟
(٢) هل فقدت الشجرة أهميتها مع التقدم الحضاري الحالي ؟
(٣) لم ازدادت الحاجة إلى الشجرة ؟
(٤) كيف سخرت الحضارة كل أدوات تقدمها لخدمة الشجرة ؟
(٥) لم شبه الكاتب الشجرة بالأم العطوف ؟
(٦) علام يدل حديث النبي صلى الله عليه وسلم في النص ؟
(٧) ما أهمية الشجرة في بلادنا ؟
(٨) ما أثر الصحراء الكبرى علينا ؟
(٩) كيف يعني زحف الصحراء على الأرض زحف الموت على الحياة ؟
(١٠) بم يستطيع الإنسان مقاومة الزحف الصحراوي ؟

(٢ – ٦ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) هات كلمة من عندك تؤدي معنى الكلمة التي تحتها خط في الجمل الآتية :
أ. من أروع ما يدخل على النفس السرور .... .
ب. في أي دور من أدوار التقدم البشري .
ج. لمقاومة الجحافل الزاحفة .
(٢) هات جمع الكلمات الآتية : فسيلة ، أخضر .
(٣) إنه يحس الخضرة تنطق بالحياة . ما تحته خط في الجملة السابقة استعمل استعمالاً غير حقيقي ، ناقش هذا الكلام .
(٤) التي لم تتخل عن مكانتها – أعرب ما تحته خط موضحاً علامة الأعراب ، ونوع الفعل .

---

(1) المتاريس : مفرده متراس ، وهو ما يوضع في طريق العدو ليعرقله .
(2) الجحافل : مفردها جحفل ، الجيش الكبير .

(٥) حقائق الطبيعة تلح علينا – الفعل الذي تحته خط استعمله في جملتين بحيث يكون في إحداهما واجب الفك وفي الأخرى جائزاً .

(٦) ووضع المتاريس لمقاومة الجحافل الزاحفة من الرمال – ما الصورة الجمالية في هذا التعبير ؟

من نفيس الكلام :

ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن :

الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، وأخوك عند حاجتك إليه .

(٢ – ٧) الشعـــــر

كتب إلي كاتب يقول: عرفناك قبل اليوم شاعراً ما تكاد تكتب سطراً، ثم رأيناك بعد ذلك كاتباً ما تكاد تنظم بيتاً ، فلم لم تكتب في عهدك الأول، ولم لم تنظم في عهدك الثاني؟ كأنما ظن–عافاه الله–أنني أكتب اليوم بقلم غير قلم الأمس،أو أهيم في واد غير ذلك الوادي، وهل الشعر إلا نثارة[١] من الدر ينظمها الشاعر إن شاء شعراً، وينثرها الكاتب إن شاء نثراً؟ أو نغمات الموسيقا يسمعها السامع من أفواه البلابل والحمائم، وأخري من أوتار العيدان والمزاهر، أو عالم من عوالم الخيال، يطير فيه الطائر بقادمتين[٢] من عروض وقافية أو خافيتين[٣] من فقر[٤] وأسجاع.

الكاتب الخيالي شاعر بلا قافية[٥] ولا بحر، وما القافية والبحر إلا ألوان وأصباغ تعرض للكلام فيما يعرض له من شؤونه وأطواره التي لا علاقة بينها وبين جوهره وحقيقته ، ولولا أن غريزة في النفس أن يردد القائل ما يقول ويتغنى بما يردد ترويحاً عن نفسه، وتطريبا لعاطفته، ما نظم ناظم شعراً ولا روى عروضيٌّ بحراً.

ما كان الرجل العربي في مبدإ عهده ينظم الشعر .. ولا يعرف ما قوافيه وأعاريضه[٦] ، وما علله وزحافاته[٧] ؟ ولكنه سمع أصوات النواعير[٨] وحفيف الأوراق وخرير المياه ، وبكاء الحمائم ، فلذ له صوت تلك الطبيعة المترفة ، ولذ له أن يبكي لبكائها وينشج[٩] لنشيجها، وأن يكون صداها الحاكي لرناتها ونغماتها ؛ فإذا هو ينظم الشعر من حيث لا يفهم من شؤونه سوى أنه تلك النغمة الموسيقية العذبة الخالبة ولا من أبحره وضروبه سوي أنها صورة من صوره ، ولون من ألوانه.

ذلك منتهي نظر العربي إلى الشعر ، وذلك ما دعاه إلى أن يسمي النبي الذي بعثه الله إليه شاعراً ، وهو يعلم أنه ما قصد في حياته قصيدة ولا رجز

---

(1) النثارة : ما تناثر من الشيء .
(2) القادمة : مفرد قوادم ، وهي عشر ريشات في جناح الطائر .
(3) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه اختفت .
(٤) فقر : مفردها فقرة.
(٥) القافية : هي آخر البيت الشعري.
(٦) أعاريض : مفردها عروض وهو آخر صور البيت الشعري.
(٧) العلل والزخافات : هي ما تعتري تفعيلات البحر من حذفٍ وإضافة.
(٨) النواعير : مفرد ناعور ، التي يستقي بها بديرها تدفق الماء أو جر الماشية.
(٩) النشيج : الصوت المتردد في الصدر من البكاء.

أرجوزة ، ولكنه سمع من كتاب الله وآياته المفصّلات أبلغ الكلام وأفصحه وأعلقه بالنفوس وآخذه بالألباب ، وأملكه للعواطف والمشاعر ، وأجمعه لصنوف التشبيهات البديعة ، والاستعارات الدقيقة والمجازات الرائعة ، والكنايات المستطرفة ، وأمثال تيك مما لا ينطق به الناطق في أكثر مناحيه ومنازعه إلا عند ذهابه مذهب الخيال الشعري فشبه له فسمي ما سمعه شعراً وسمي الناطق به شاعراً ولا هو بشاعر ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون .

ما كل موزون شعراً ، وما كل ناظم شاعراً . فالوزن ملكة تعلق بالنفس من طول ترديد المنظوم والتغني به مقطعاً تقطيعاً يوازن تفاعيله .. فهو نغمة موسيقية ولحن خاص من ألحان الغناء ، يتمثل في قول الملك الضليل [1] :

* قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ *

كما يتمثل في قول الخليل :

* فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن *

ويتراءى في أوتار الحلق الناطق كما يتراءى في أوتار العود الصامت .

أما الشعر فأمر وراء الأنغام والأوزان ، وما النظم بالإضافة إليه إلا كالحلي في جيد الغانية الحسناء ، أو الوشي في ثوب الديباج المعلم . فكما أن الغانية لا يحزنها عطل جيدها ، والديباج لا يزري به أنه غير معلم ، كذلك الشعر لا يذهب بحسنه وروائه أنه غير منظوم ولا موزون .

ذلك هو الفرق بين الشعر والنظم ، وها أنت ترى ألا صلة بينهما غير تلك الصلة الاصطلاحية التي لا منشأ لها سوى ما اعتاده الناس من أنهم ينظمون ما يشعرون به ، وتلك الصلة هي التي خلطت بينهما وعمت على كثير من الناس أمرهما ، وهي التي أدخلت النظامين في عداد الشعراء وألقت عليهم جميعاً رداءً واحداً لا يستطيع معه التمييز بينهما إلا القليل من الناقدين ، فأصبحنا نقرأ لبعض المعاصرين القصيدة ذات المائة بيت فلا نجد بيتا ، ونتصفح الديوان ذا المائة قصيدة فلا تعثر بقصيدة ، وأصبحنا لا نكاد نجد بيننا قارئاً غير شاعر لأنه ، لا يوجد بين الناس من يعجزه تصور تلك النغمة العروضية وتصويرها حتى العامة والأميين .

وقد كتب الكاتبون في تعريف الشعر وأمعنوا إمعاناً بعد به عن مكانه وضل به عن قصده ، وعندي أن أفضل تعريف له أنه (تصوير ناطق) لأن قاعدة الشعر المطردة هي التأثير ، وميزان جودته ما يترك في النفس من أثر ، وسر ذلك أن الشاعر يتمكن ببراعة أسلوبه ، وقوة خياله ، ودقة مسلكه ، وسعة حيلته ، من رفع ذلك الستار المسبل بينه وبين السامع ، فيريه نفسه على حقيقتها حتى يكاد يلمسها

---

[1] هو لقب امرئ القيس .

ببنانه ، فيصبح شريكه في حسه ووجدانه ، يبكي لبكائه ، ويضحك لضحكه ويغضب لغضبه ، ويطرب لطربه ، ويطير معه في ذلك الفضاء الواسع من الخيال فيرى الطبيعة بأرضها وسمائها وشموسها وأقمارها ، ورياضها وأزهارها وسهولها وجبالها ، وصادحها وباغمها[1] وناطقها وصامتها ، من حيث لا يقل إلى ذلك قدماً ، أو يلاقي في سبيله نصباً ، فإن سمع قول القائل :

وقــانا لفــحة الرَّمضاءِ وادٍ سقَاهُ مضاعفُ الغيثِ العَمِيمِ
نــزَلــنا دوحَــه فحَنا علينا حُنُوَّ المرْضِعاتِ على الفَطِيمِ
وأرْشَفَنا عــلــى ظــمإٍ زُلالاً ألَذَّ مــن المُــدامَــة للنَّدِيمِ
يصدُّ الشمسَ أنّــى واجَهَتنا فيحــجُبُها ويأذَنُ للنّســيمِ
يَروعُ حَصاهُ حالِيَة[2]العَذارى فتلمُسُ جانِبَ العِقد النَّظيمِ

خيل إليه أنه يخطر في ذلك الروض البليل بين أنواره وأزهاره ، خطران النسيم بين ظلاله وأشجاره ، وأنه يرى بعينه أولئك العذارى السانحات ، وقد راعهن منظر الحصباء اللامع فوق تلك الديباجة الخضراء . فتولهن وفزعن إلى جوانب عقودهن يلمسنها بأطراف بنانهن ، يحسبن أن قد وهت فانتثرت جواهرها على بساط ذلك الروض الأريض . واسمع قول آخر :

ويومٍ كتنور الإمَاءِ سَجَرْتُه [3] وأوقدتُ فيه الْجَزْلَ حتى تَضرَّما
رميتُ بنفسي في أجيجِ سَمُومه وبالعيس حتى بَضّ مَنْخَرها دَمَا

شعر كأن لهيب تلك الهاجرة يهب في وجهه فيشيح عنه فراراً من لفحاته ويكاد يبكي رحمة بذلك الشبح المصهور الذي ملكت عليه تلك التنوفة الحمراء سبيله، وحالت بينه وبين نفسه، فلا هو بصابر إن رام صبراً،ولا بناج إن أراد نجاة. وإن سمع قول الآخر :

وارَحْمَتا لِلْغَرِيبِ فِي البَلَدِ النَّا زِحِ ، ماذا بِنَفْسِهِ صَنَعا ؟
فــارَقَ أحْــبابَهُ فَما انْتَفَعُوا بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلا انْتَفَعا

هملت عيناه حزناً على ذلك الغريب الحائر ، وتمني أن لو التقى به في بعض مذاهبه فعطف عليه وآنس وحشته . ثم أخذ بيده فأنزله من بيته منزلاً كريماً وأبدله أهلاً بأهل ، وجيراناً بجيران ؟

---

[1] بغام : بغم الغزال إذا صوت بأرخم صوته ، فهو باغم .
[2] الحالية : لابسة الحلي .
[3] سجر الرجل التنور ، ملأه وقوداً .

وأن سمع قول الآخر :

وَإن الَّذي بَيــني وبَين بَــني أبي ... وبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفٌ جِـــــدّا
فَإن أكُلوا لَــحمي وَفَرتُ لحومَهُم ... وَإن هَدَموا مَجــدي بنيتُ لَهُم مَجدا
وَإن ضَيَّعوا غيبي حَفظتُ غيوبَهُم ... وَإن هُم هَوَوا غَيي هَوَيتُ لَهُم رُشدا
وَإن زَجَروا طَيراً بِنَحسٍ تَــمرُّ بي ... زَجَرتُ لَهُم طَيراً يَمُرُّ بِــهِــم سَعدا
وَلا أحمِلُ الحِــقدَ القَــديمَ عَــلَيهِم ... وَلَيسَ رَئيسَ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا
لَهُم جُلُّ مالي إن تَتَــابَعَ لي غَنًى ... وَإنْ قَلَّ مــالــي لَم أكَلِّفهُم رفــدا
وَإنّي لَــعَبدُ الــضَيفِ ما دامَ نازلاً ... وَما شيمَةٌ لِــي غَيرُها تُشبِهُ العَبدا

أكبر تلك المكرمة وأجلها ، ونظر إليها وهي في علياء سمائها ، نظر الفلكي إلى كوكبه الساري ، وشعر كأن نورها قد لمع فامتد شعاعه إلى نفسه فأضاءها .

ولا غرو أن يبلغ الشعر من نفسه هذا المبلغ ، فطالما كان للشعر السلطان الأكبر على النفوس العظيمة .

فقد نكب الرشيد البرامكة عندما دس له أعداؤهم ذلك المغني الذي غناه هذا الصوت :

ليتَ هنداً أنْجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا مما نَجِدْ
واسْتَبــدَّتْ مرّةً واحدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّ

وأمر السفاح بقتل وجوه بني أمية بعدما قربهم وأدناهم عندما دخل عليه سديف مولاه وأغراه بهم في قوله :

لاَ تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثاراً ... وَاقطَعَنْ كُلَّ رَقلة [1] وَغِرَاسِ
أنْزِلُوها بحيث أنزلَها اللّهُ ... بدَارِ الهَوَانِ وَالإِتْعَاسِ
خَوْفُهُمْ أظْهَرَ التَّوَدُّدَ فِيهِمْ ... وَبِهِمْ مِنْكُمُ كَحَزِّ المَوَاسِي
أقصِهِمْ أيُّهَا الخَلِيفَةُ وَاحْسِمْ ... عَنْكَ بالسَّيْفِ شَأفَةَ الأرْجَاسِ
فَلَقَدْ سَاءنِي وَسَاءَ سِوَائِي ... قُرْبُهُمْ مِنْ نَمَارِقٍ وكَرَاسِي

بل عطف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الحطيئة وأطلقه من سجنه حين سمعه يقول :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ
ألقيتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلِمَةٍ

---

(١) الرقله : النخلة التي تفوت اليد .

لا مؤثر في نفس الإنسان مثل الشعر ، وما خضع الإنسان لشيء في جميع أدوار حياته إلا للشعر ، وللشعر الفضل الأول في نبوغ الإنسان وارتقائه وبلوغه هذا المبلغ الباهر من التفوق والكمال ... ولقد أحب الإنسان الشعر ناطقاً وصامتاً أما الناطق فقد عرفته ، وأما الصامت ، فالتماثيل التي يراد بنصبها تمثيل حياة عظماء الرجال – شعر ، وهذه النغمات الموسيقية التي تصور خواطر القلوب ووجداناتها فتهيج عاطفة الحب في نفس العاشق ، وعاطفة الحماسة في نفس الجندي شعر ، وهدير الأمواج : شعر ، لأنه يمثل عظمة الجبارين ، وظلام الليل : شعر لأنه يطلق دموع الباكين ، وحفيف الأوراق : شعر ؛ لأنه يمثل تناجي العشاق وبكاء الحمائم شعر ، لأنه يمثل فجيعة البين ولوعة الفراق . تلك النغمات الشعرية التي نسمعها من فم الإنسان مرة ، وفم الطبيعة أخري ، هي التي زخرفت لنا هذه الحياة ، وألبستها ذلك الثوب الناعم الأبيض حتى أحببناها ، وولعنا بها ، وحرصنا عليها ، وأعددنا العدة للبقاء فيها .. والسكون إليها ، فكتبنا ودونا وألفنا واخترعنا وتعلمنا فعلمنا ، وبنينا فشيدنا ، وغرسنا فجنينا ، وعملنا فربحنا ، واجتهدنا فأثرينا وأملنا فسعينا ، وسعينا فبلغنا ، فكان الشعر سر هذه الحياة ، وعلة هذا الوجود لا تطير إلينا الحقائق إلا على جناحه ، ولا يطيب لنا العيش إلا في جواره ، فلنمجد الشعراء كل التمجيد ، ولنكبرهم كل الإكبار ، فهم مشارق شموس الحكمة ، ومطالع كواكب الفضل ، وهم الينابيع الصافية التي يترقرق ماؤها ، ثم يتسرب إلى الأفئدة فيملؤها سعادة وهناءة .

(٢ – ٧ – ١) **الاستيعاب** :

(١) عم سأله الكاتب ؟
(٢) ما رؤية الكاتب للشعر ؟
(٣) كيف صور الكاتب القافية والبحر ؟
(٤) ما صورة الشعر عند العربي القديم ؟
(٥) لماذا سمي العرب النبي شاعراً ، وهم يعلمون أنه ليس بشاعر ؟
(٦) بم عرف الكاتب الوزن الشعري ؟
(٧) ماذا يقصد بقوله في أوتار الحلق الناطق ، كما يتراءى في أوتار العود الصامت ؟
(٨) ما منزلة النظم من الشعر ؟.
(٩) ما الفرق بين الشعر والنظم عند الكاتب ؟
(١٠) ما الصلة التي خلطت بين الشعر والنظم ؟

(١١) ما أفضل تعريف للشعر عند الكاتب ؟ وعلل لما تقول ؟
(١٢) ماذا تقصد الشاعرة بهذه الصورة :

نــزَلــنا دوحَــه فحَنا علينا حُنُوَّ المرْضِعاتِ على الفَطيمِ

(١٣) ما وجه الجمال في هذه العبارة (أولئك العذارى ، وقد راعهن منظر الحصباء فوق الديباجة الخضراء ، ففزعن إلى جوانب عقودهن يلمسنها بأطراف بنانهن ، يحسبن أنها وهت فتناثرت جواهرها على بساط ذلك الروض) .
(١٤) وماذا يعني الشاعر بقوله :
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا ؟

(٢ – ٧ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) ما كل موزون شعرا : أعرب ما تحته خط في العبارة السابقة .
(٢) ما المقصود (بعطل الجيد) في قوله (أن الغانية لا يحزنها عطل الجيد) .
(٣) هات مفرد الكلمات الآتية في جمل مفيدة : شؤون ، النواعير ، رنات .
(٤) اجمع هذه الكلمات ، وأدخل كل كلمة في جملة مفيدة : الحسناء ، نغمة الشبح ، مجد .

(٢ – ٨) إما أن تقرأ ..... وإما أن تقرأ

سوسن الأبطح

هذا عصر القراءة بامتياز ، وعذراً من الذين يظنون أن الصورة قد هزمت الكلمة ، وأن الكمبيوتر (الحاسوب) قد صرع الكتاب بالضربة القاضية .

فكل الدراسات ما تزال تشير إلى أن الشعوب ذات الشهية للقراءة ، هي الأكثر تطوراً ونموا وقدرة على التحكم من أولئك الذين يعانون صدوداً عن المعرفة .

إن ثلث سكان الأرض المحسوبين على العالم المتقدم ينتجون غالبية المطبوعات بينما لا تزيد حصة العالم الثالث – رغم كثافة سكانه – على الربع .

أما في مجال الترجمات فإن بلداً مثل ألمانيا ترجم وحده حوالي عشرة الآلاف عنوان بين عامي ١٩٩٤ – ١٩٩٦م ، ولم يترجم العرب مجتمعين – أكثر من ثلاثمئة عنوان خلال الفترة نفسها ، وهو رقم هزيل ومخجل إذا ما قورن بما ترجم في اليابان أو فرنسا أو هولندا .

ثمة من يريحه أن يعزو هذه المقاطعة العربية اللاواعية للكتاب – إلى الحاسوب وشبكة المعلومات العالمية (الانترنت) لكن إحصاءات (اليونسكو) الأخيرة تسقط هذه المزاعم وتشير بوضع قاطع لا لبس فيه إلى أن الأمم العاشقة والمستهلكة للكتب التقليدية هي ذاتها الأكثر نشاطاً وإبحاراً على شبكات (الانترنت) ، وأن القراء الحقيقيين لا يميزون بين الكلمة المكتوبة أو المطلة من وراء شاشة زجاجية ، وإنما يبحثون عن ضالتهم أني وجدت .

لقد قرأ الإنسان قديما في الطين والصخر وجلود البهائم والبردي قبل أن يهتدي إلى الورق : ومن ثم إلى الأجهزة الالكترونية .

يجب ألا تظن أننا تخلصنا من متاعب القراءة ، لأن ثمة فرقاً جوهرياً بين الكتاب والقراءة .

لقد تنبه العرب إلى هذه الحقيقة باكرا حين ابتكروا كتاب " الكم " قبل أن يهتدي الغرب إلى كتاب " الجيب " تسهيلاً لحمله وتجواله ، وعمل اليابانيون بجد على تنوع الكتاب ، فابتكروا كتبا صفحاتها من النايلون .

أما وقد بدأ العصر الإلكتروني – فإننا نكاد نجزم بأن البشرية لم تكن يوماً قارئة أو مرغمة على القراءة ، كما هي الحال راهناً .

القراءة أمرها شائك ومستوياتها طبقات أعقد في تركيبتها من طبقات الجيولوجيا ، ونحن ما نزال نطفو على سطح الكلمات ، بيننا أميون نسبتهم مرعبة

تتجاوز نصف المجتمع في بعض البلدان ، والنصف الآخر معظمه يقرأ الحرف لكنه يتهجى المعنى .

عجيب أمر هذه الأمة التي تعيش يقظة إسلامية ولم تعن كثيرا بأول كلمة أوحيت لنبيها ﷺ (اقرأ) بحسبانها فعل أمر إلهي إلزامي قاطع وصريح . وكلمة (قرآن) نفسها بمعناها المعجمي هي مصدر للفعل (قرأ) ، وهذا تعبير غني الدلالة فكيف لا تكون هذه الأمة المؤمنة قارئة طائعة ملبية لعلامة فارقة أريد لها أن تميزها .

وإذا كانت الدراسة التي تقول إن القارئ العربي يقرأ ما متوسطه نصف ساعة في السنة صحيحة نكون قد حكمنا على أنفسنا بالموت اختناقاً .

إن عدم القراءة – بكل بساطة – نكبة ، كارثة ، وبالتأكيد أكبر من مجرد نكسة .

على الحكومات والمؤسسات الثقافية أن تبتكر وسائل وطرائق ترغب في القراءة ، تحول القراءة إلى ما يشبه الحاجة الحيوية كالماء والهواء .

في الدول المتطورة القراءة فن ، ومؤسسة وصناعة . إن عادة القراءة أولها مرّ ، مرّ كاليوم الأول للطفل في المدرسة ، ولكن ، صبراً على مرارة يوم يتيح لك أن تذوق عسل المعرفة طول حياتك .

(٢ – ٨ – ١) الاستيعاب :

(١) أيهما أكثر تطوراً الشعوب القارئة أم غير القارئة ؟
(٢) ماذا تعني لك عبارة (لا تزيد حصة العالم الثالث رغم كثافة سكانه على الربع) ؟
(٣) ما فائدة الترجمة من لغة إلى لغة أخرى ؟
(٤) بماذا ترد على من يظن أن ضعف الترجمة عند الأمة العربية يعود إلى ظهور الحاسوب وشبكة المعلومات العالمية ؟
(٥) ما المقصود بالكلمة المطلة من وراء شاشة زجاجية ؟
(٦) على أيّ شيء كان يكتب الناس قبل ظهور الورق ؟
(٧) ما النتيجة التي نصل إليها ، إذا صحت الدراسة التي تقول إن القارئ العربي يقرأ ما متوسطه نصف ساعة في السنة ؟
(٨) ماذا تقترح لتنتشر عادة القراءة بين الناس ؟
(٩) إن الصبر على مرارة يوم يتيح لك أن تتذوق عسل المعرفة طول حياتك . ماذا تستفيد من هذه العبارة في حياتك ؟

(٢ – ٨ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) الشعوب ذات الشهّية للقراءة هي الأكثر تطورا – الكلمتان اللتان تحتهما خط في هذه العبارة تشير إلى حكم بلاغي في الأولي وضحه والكلمة الثانية تشير إلى حكم نحوى ما هو ؟

(٢) ونحن ما نزال نطفو على سطح الكلمات .
وضح الصورة البلاغية في هذه العبارة ؟

(٣) إلام تشير عبارة يقرأ الحرف ويتهجى المعنى ؟

(٤) زن كلمة (قرآن) وزنا صرفيا .

(٥) ماذا تعني الكاتبة بـــ (عسل المعرفة) ؟

(٦) ماذا تفهم من قول الكاتبة – " إما أن تقرأ ، وإما أن تقرأ " ؟

من نفيس الكلام :
المرأة الصالحة عماد الدين ، وعمارة البيت ، وعون على الطاعة .

الباب الثالث

العصر الإسلامى

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه

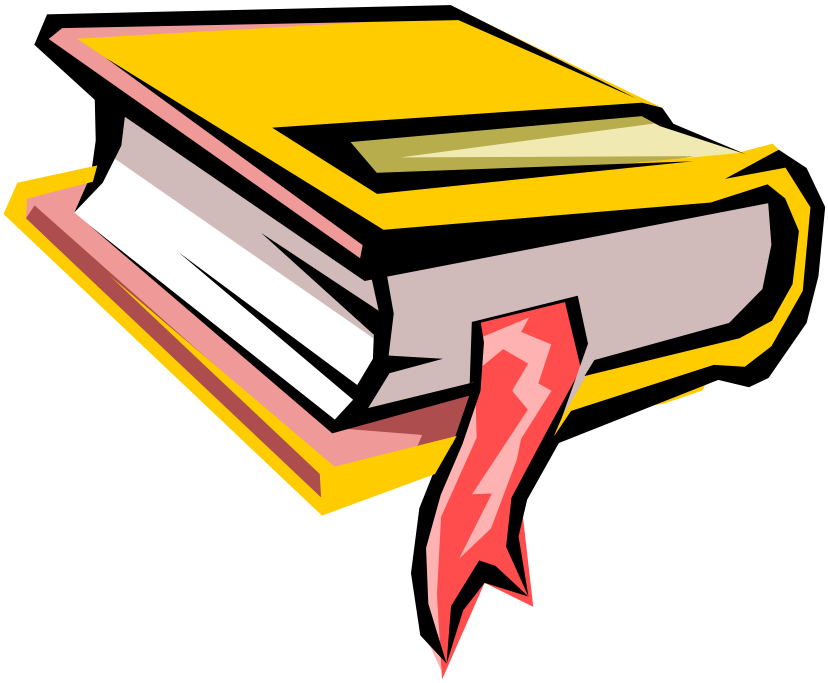

(٣ – ١) من تاريخ الأدب في العصر الإسلامي
أثر الإسلام في الحياة العربية

نقل الإسلام الأمة العربية كلها من جاهلية مغرقة في الضلال الروحي والتخلف الفكري والتشتت الاجتماعي ، نقلها كلها نقلة هائلة في زمن قصير لم يحدث من قبل في تاريخ أمة من الأمم في هذه الأرض .

فمن الوثنية الضالة ذات العقيدة الفاسدة ، التي تتعبد للشجر والحجر والحيوان ، نقلهم إلى الوحدانية التي تتجه إلى الله وحده بالعبادة ، والاستسلام له استسلاماً كاملاً ، وكلمة الإسلام في معناها اللغوي : (إظهار الخضوع) .

أما المعنى الاصطلاحي فقد شرحه الرسول ﷺ : (الإسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، إن استطعت إليه سبيلا) .

وبذلك صار الأساس الذي وضعه الإسلام للحياة الدينية في العصر الجاهلي هو التوحيد الخالص والخضوع التام لله عز وجل .

وإذا كان العرب قد أنكروا أول الأمر هذا الإسلام والتوحيد فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص: ٥] فإنهم انقادوا بعد ذلك انقياداً جعلهم يقودون العالم القديم كله إلى عبادة الله الواحد ، وطهر الإسلام العرب من الموبقات التي كانوا يتردون فيها كلهم أو بعضهم ، فالخمر والميسر ، والزنا ، والقتل ، وبعض الأنكحة الفاسدة ، طهر الإسلام المجتمع منها ، فطهُرت نفوسهم وصفت ، وتفجرت فيهم ينابيع الخير والفطنة والذكاء ، فصاروا ساسة الدنيا وقادتها.

لقد عدّل الإسلام ميزان الحياة الاجتماعية عندما فرض نظاماً اقتصادياً لم تعرف له البشرية قبل ذلك مثيلاً وهو الزكاة .

فقرّب به الشقة بين الطبقتين المعروفتين في كل مجتمع طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء ، بل محا هذه الشقة ففي عهد أمير المؤمنين ، الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال أحد العاملين على الزكاة : " بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها منا ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس " .

وجدد الإسلام مناسك الحج مما شابها من الشرك ، فصار الحج مؤتمراً سنوياً عالمياً يلتقي فيه المسلمون من كل أرجاء العالم القديم والجديد ، يناقشون فيه قضاياهم ، ويتبادلون فيه منافعهم .

لقد أحدث الإسلام تحولاً كبيراً في العقلية العربية فأنقذها من السحر والشعوذة والدجل إلى التفكير السليم ، وإن القارئ للقرآن تجذب انتباهه كثرة الكلمات الداعية إلى التدبر والتفكر والتذكر والتعلم ، ويكفى أن نشير إلى أن كلمة (عقل) ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم تسعاً وأربعين مرة ، وأن كلمة (الألباب) وتعنى (العقول) وردت ست عشرة مرة ، أما كلمة (العلم) ومشتقاتها فقد تجاوزت الثمانمائة مرة .

كل ذلك يدل على التحول الكبير الذي طرأ علي العقلية العربية بتأثير الإسلام .

(٣ – ١ – ١) أثر الإسلام في اللغة العربية :

ظلت اللغة العربية عصوراً طويلة محصورة في شبه الجزيرة العربية لم تتجاوزها إلى غيرها من البلاد المجاورة .

أما ما كان يقوم به بعض التجار والشعراء والوفود من الارتحال إلى بعض المناطق التي تقع على أطراف شبه الجزيرة شرقاً وشمالاً وجنوباً – فإن تلك الرحلات لم تترك أثراً لغوياً في تلك المناطق .

كما أن الرحلات من المناطق المتاخمة لشبه الجزيرة لم تتعد مجيء بعض الأفراد تجاراً أو مبشرين نصارى أو أسرى ، فلم تكن هناك هجرات واسعة بعد الهجرة اليهودية إلى يثرب وشمالي الحجاز ، بحيث تترك آثاراً كبيرة في اللغة العربية سوى تلك الكلمات القليلة التي تسربت إلى اللغة العربية من الفارسية والرومية والحبشية ، وحتى تلك الكلمات استطاعت العربية أن تصبها في قالبها وتخضعها لقوانينها الصوتية والصرفية وهو ما سماه علماء العربية (المعرّب) .

ثم جاء الإسلام فأحدث تطوراً هائلا في الفرد والمجتمع ، في النفس والفكر ، ظهرت آثاره واضحة في اللغة .

إن أثر الإسلام في اللغة يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

(١) العالمية :

خرج المسلمون من عزلتهم تلك يحملون كتاب الله الذي أنزل بلغتهم باللسان العربي المبين ، ويحملون معهم آدابهم وحكمهم وأمثالهم وخطبهم ، خرجوا بكل ذلك إلى الدول المجاورة . إلى فارس والعراق والشام ومصر وشمالي إفريقية ، حيث

كانت تسيطر اللغات الفارسية والرومية والآرامية والسريانية ، فدخل في الإسلام من تلك الأمم من دخل ، واستظل بظل الدولة الإسلامية من بقى على دينه .

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت اللغة العربية على تلك اللغات التي أخذت تتضاءل شيئاً فشيئاً . حلت اللغة العربية محلها في التخاطب والكتابة . وما ذلك إلا بفضل الإسلام الذي بسط اللغة العربية في رقعة واسعة من العالم القديم تمتد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ولم يكد القرن الأول الهجري ينصرم حتى كانت اللغة العربية قد دخلت عن طريق الأندلس إلى أوروبا .

من كل ذلك يتضح أن أثر الإسلام في اللغة العربية أنه جعلها لغة عالمية بعد أن كانت لغة محلية منزوية في الصحراء ، كان من الممكن أن تنقرض وتزول لولا مجيء الإسلام ، يقول أحد المستشرقين : " بفضل القرآن بلغت اللغة في الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا " .

(٢) الخلود :

لا توجد اليوم لغة في العالم احتفظت بخصائصها الصوتية والتركيبية والدلالية والصرفية على مدى أكثر من قرنين من الزمان مثلما احتفظت العربية .

إن أي تلميذ صغير في أي بلد يتكلم أهله العربية يستطيع أن يقرأ سورة من سور القرآن الكريم فيتقن أصواتها ويفهم معانيها ، كما يستطيع أن يقرأ حديثاً للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فيحفظه كما نطقه الرسول ﷺ ويفهم من معانيه ما يسعفه به عقله الصغير ، مع أن الذي يفصله عن القرآن والحديث أكثر من ألف وأربعمائة عام من هجرة المصطفي ﷺ .

بينما يقول الذين يعرفون الفرنسية ، إن بعض مذكرات وكتابات الساسة والأدباء الفرنسيين التي كانت منذ مئة عام تقريباً – هي في حاجة إلى من يترجمها باللغة الفرنسية المعاصرة لكي يفهمها الفرنسيون .

إن السر في خلود اللغة العربية على الرغم مما مرت به من محن وكوارث كانت كفيلة بأن تمحوها من الوجود الإنساني محواً – يعود إلى الإسلام في كتابه الكريم .

(٣) توحيد اللهجات العربية :

كان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام يموج بعدد كبير من القبائل منتشرة في وسط الجزيرة ، وفي شمالها وشرقها وجنوبها . أربى عددها على أكثر من ألف قبيلة كلها تتحدث اللغة العربية ، ولكن بلهجات مختلفة فلكل قبيلة أو مجموعة من القبائل لهجة تختلف قليلاً أو كثيراً عن لهجات القبائل الأخرى .

كانت هناك عدة عوامل أدت إلى توحيد لهجات القبائل العربية قبل الإسلام ، من هذه العوامل :

(أ) الحج :

حيث كان العرب يجتمعون في مكان واحد فيتحدثون ويؤدون الشعائر بلهجات متقاربة ، ويخالطون قريشاً ، ويستمعون لهجتها التي هي أفصح اللهجات .

(ب) الأسواق :

كانت هناك مجموعة من الأسواق منتشرة في شبه الجزيرة يفد إليها العرب فيبيعون ويشترون ، ويتبادلون المنافع ، وينشدون الأشعار والخطب ويفادون الأسرى ، فكان الشعراء والخطباء يتكلمون في تلك الأسواق بلهجة مشتركة ، انمحت منها خصائص اللهجات الصوتية والدلالية .

(٣) القرآن الكريم ولهجة قريش :

يعد القرآن الكريم أكبر العوامل التي أثرت في اللغة العربية وقد نزل القرآن بلهجة قريش التي هي أرقى اللهجات العربية وأفصحها ، لأنها لغة سهلة واضحة ولأن قريشاً كانت تتخير من لغات الوافدين عليها في موسم الحج أحلاها معنى وأعذبها جرساً .

وقد اجتمع المسلمون كلهم على تلاوة القرآن الكريم حتى الذين لم تكن اللغة العربية لغتهم ، فترك ذلك أثره في اللغة .

(٣ – ٢) يـوم الفـرقـان

حسان بن ثابت

(١) عرفتَ ديارَ زينبَ بالكثيبِ* كخطّ الوحي في الرقّ القشيبِ
* * *
(٢) قَدَعْ عَنكَ التذكّرَ كــلَّ يومٍ* وَرُدَّ حَرارةَ الصّدْرِ الكَئيبِ
(٣) وَخَبّرْ بالّــذي لا عَيْبَ فيهِ* بصدقٍ، غيرِ إخبارِ الكذوبِ
(٤) بمَا صَنَعَ المَليكُ غَدَاةَ بَدْرٍ* لنا في المشركينَ منَ النصيبِ
(٥) غداةَ كأنّ جمعهمُ حراءٌ* بَدَتْ أرْكَانُهُ جِنْحَ الغُرُوبِ
(٦) فَــلاقيْنَاهُــم مِنّا بجَمْــعٍ* كَأُسْدِ الغابِ: مُرْدانٍ وَشِيبِ
(٧) أمَامَ مُحَمّدٍ قدْ آزَرُوهُ* عَلى الأعْدَاءِ في رَهَجِ الحُروبِ
* * *
(٨) فغادرْنا أبا جهلٍ صَرِيعاً* وعتبةَ قدْ تَرَكْنا في الجَبُوبِ[1]
(٩) وشيبةَ قدْ تَرَكْنا في رجالٍ* ذوي حسبٍ، إذا نسبوا، حسيبِ
(١٠) يناديهمْ رسولُ اللهِ، لمَّــا* قذفناهمْ كباكبَ في القليبِ
(١١) ألمْ تَجِدُوا حديثي كانَ حَقّاً* وأمرُ اللهِ يأخذُ بالقلوبِ

(٣ – ٢– ١) الشاعر :

حسان بن ثابت بن المنذر يكني أبا الوليد ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهراً ، ثم أسلم وكان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وشاعر المسلمين ، يدافع عنهم ويهاجي المشركين ويرثى شهداءهم – توفي ٥٤ هـ .

---

(١) أبو جهل : عمرو بن هشام ، أحد عتاة المشركين من أهل مكة ، قتل يوم بدر ، عتبة : عتبة بن ربيعة أحد سادات قريش وقادتها ، قتل في بدر ، شيبة : شيبة بن ربيعة ، من زعماء قريش ، كان يصد العرب عن النبي ، قتل يوم بدر.

(٣ – ٢– ٢) **اللغة :**

الكثيب : تل الرمل .
الوحي : الكتابة .
الرق : جلد رقيق يكتب فيه .
القشيب : الجديد .
الكئيب : الحزين .
جنح المغيب : ظلام المغيب .
رهج الحروب : غبار الحروب .
الجبوب : جمع جب ، البئر الواسعة : والجبوب أيضاً الأرض الغليظة ، والتراب .
كباكب : جماعات .
القليب : البئر .

(٣ – ٢– ٣) **الشرح :**

(١) عرفت ديار زينب بهذا الموضع وكان ظاهراً كالكتابة على جلد رقيق .
(٢) فاترك مداومة التذكر لهذه الحبيبة ، وأبعد ما يعتمل في صدرك من حرارة لبعدها .
(٣) وأخبر بتلك الأخبار التي لا يعاب المرء بها وهي أخبار صادقة لا كذب فيها .
(٤) وهي ما صنعه الله يوم بدر من النصر على المشركين .
(٥) عندما تجمعوا واحتشدوا حتى بدت صورتهم في ضخامة عددهم كجبل حراء عند الغروب .
(٦) وقابلناهم بجيش رجاله مثل الأسود شجاعة وبسالة سواء منهم الكبار والصغار .
(٧) وساروا أمام رسول الله ﷺ مؤازرين مناصرين على الأعداء وقد علاهم غبار الحرب .
(٨) فتركنا أبا جهل صريعاً مضرجاً بدمائه وعتبة مجندلاً في التراب .
(٩) وتركنا أخاه شيبة قتيلاً مع رجال ذوي نسب وحسب .
(١٠) فوقف عليهم رسول الله ﷺ ، عندما ألقينا بهم جماعات جماعات في القليب مخاطباً إياهم :

(١١) ألم تجدوا ما كنت أقوله لكم حقاً وصدقاً ، وقد أخذكم الآن أمر الله ؟

(٣ – ٢– ٤) التعليق والتذوق :

بدأ القصيدة بالنسيب كما هي العادة المتبعة في الشعر العربي القديم ثم أضرب عن ذكر الغزل بما هو مهم ومفيد . والقصيدة إخبار بما حدث يوم بدر بين المسلمين والمشركين ونجد أن عاطفة الشعر قوية وهو يسرد أخبار هذه الحرب وأثرها في نفوس المسلمين من جهة وفي نفوس المشركين من جهة أخرى .

وتصوير جيش المشركين بجبل حراء يدل على مدى كثرتهم واستعدادهم وتشبيههم بجنح الغروب تأكيد على هذه الكثرة . ووصف الجيوش بالجبال أو بالبحار شيء معروف في الشعر العربي وتشبيه أفراد جيش المسلمين بالأسود وهو أيضاً تشبيه قد أكثر الناس فيه فليس فيه جديد .

وختم القصيدة بالاستفهام التقريري في قوله ألم تجدوا حديثي كان حقاً ؟ في إشارة إلى نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين بعد إلقائهم في القليب حيث ناداهم بأسمائهم وذكر لهم بأنه قد وجد ما وعده الله به من النصر حقاً فهل وجدتم ما وعدكم الله به من العذاب حقاً ؟

(٣ – ٢ – ٥) أسئلة للمناقشة :

(١) ما المقصود بلاغياً بالأمر في قوله : " فدع عنك التذكر " ؟
(٢) ما المعنى الذي يستفاد من عبارة (قذفناهم كباكب) بدلاً من جماعات ؟
(٣) في عبارة (من مرد وشيب) كناية . فما المكنى عنه ؟
(٤) ولماذا وصف القتلى بأنهم ذوو حسب مع أنهم أعداء ؟

(٣ – ٣) هـم الأنصـــار

كعب بن زهير*

(١) مَن سَرَّهُ كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ * في مِقْنَبٍ من صَالِحي الأنْصار
(٢) تَزِنُ الجبالَ رزانةً أحْلامُهم * وَأكُفُّهُم خَلَـفٌ مِـنَ الأمْطَـار
(٣) المكرهين السمهري بأذرع * كصواقل الهنـدي غيـر قصار
(٤) والناظرين بأعين محمرة * كالجمـر غيـر كليلة الأبصار
(٥) والدَّائِدِينَ النَّاسَ عـن أدْيانِهِمْ * بالمَشْرَفِيِّ وبالقَنا الخَطَّار
(٦) والباذِلِينَ نُفُوسَهُـمْ لِنَبِيِّهِـمْ * يومَ الهياجِ وقُبَّةِ الجَبّار
(٧) دربُوا كما دربتْ أسودُ خفيةٍ * غلبُ الرقابِ من الأسودِ ضواري
(٨) وهُمُ إذا خَوَتِ النُّجُومُ وأمْحَلُوا * لِلَّطائِفِينَ السَّائِلِينَ مقَاري

(٣ – ٣ – ١) اللغة :

المقنب	:	جماعات الفرسان .
السمهري	:	الرمح .
صواقل الهندي	:	السيوف المصقولة .
المشرفي	:	السيف .
الخطار	:	الذي إذا هز اهتزّ من أوله إلى آخره للينه فلا ينكسر.
وقبة الجبار	:	الواو واو القسم ، وقبة الجبار : البيت الحرام .
دربوا	:	اعتادوا على القتال وتدربوا عليه .
خفية	:	موضع كثير الأسود .
غلب الرقاب	:	غليظة رقابهم ومفرده أغلب .
ضواري	:	مسعورة بأكل لحوم الناس .
خوت النجوم	:	تعبير يراد منه المحل والجدب .
مقاري	:	مطعمون للضيوف ، يقرونهم .

---

* الشاعر :
كعب بن زهير بن أبي سلمى ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم باللامية المشهورة فأعطاه الرسول بردته . وصار أحد شعراء المسلمين يمدحهم ويهجو أعداءهم . توفي سنة ٢٦ هـ .

(٣ – ٣ – ٢) الشرح :

(١) من أراد أن يعيش مسروراً مستمتعاً بالحياة الكريمة فليعش بين الأنصار الفرسان الأقوياء الصالحين .
(٢) الذين يتصفون بالحلم الذي يشبه الجبال وقاراً ورزانة ، إنهم كرماء تندي أكفهم كرماً يحكي السحائب الماطرة .
(٣) وشجعان يمسكون الرماح بأذرع طويلة . كالسيوف المصقولة .
(٤) وينظرون بأعين صحيحة شديدة الاحمرار كالجمر يتطاير منها الشرر .
(٥) ويدفعون الناس عن دينهم بالسيوف القاطعة والرماح اللينة التي لا تتكسر .
(٦) إنهم والبيت العتيق يبذلون نفوسهم رخيصة لنبيهم في الحروب .
(٧) إنهم عارفون بفنون القتال مدربون عليه ، أقوياء غليظة رقابهم وهم أشد ضراوة من الأسود .
(٨) وكرماء فإذا أجدبت الأرض ومحلت فإنهم المطعمون للطائفين والسائلين .

(٣ – ٣ – ٣) التعليق والتذوق :

مدح الشاعر الأنصار بصفات هي مدار المدح في الحياة الجاهلية ، الحلم والكرم ، والشجاعة . واستخدم الصور البيانية في هذه الصفات وتوضيحها فأحلامهم ثابتة راسخة تزن الجبال رزانة ووقاراً ، وهو تعبير شائع في الشعر الجاهلي .

وعبر عن كرمهم بأن أكفهم تخلف الأمطار عطاءً . وأنهم مأوى السائلين إذا ادلهمت الليالي وموضع قراهم ، وعبر عن الشجاعة بأن الرماح تصبح طيعة في أيديهم ، وشبه هذه الأيادي بالسيوف المصقولة في قوتها ، وبأن عيونهم شديدة الاحمرار ورغم هذا فهي قوية الإبصار ، ويستعملون السيوف المشرفية والرماح اللينة في الذود عن دينهم . ويقسم أنهم يبذلون نفوسهم في المعارك فداءا لنبيهم . وأنهم مثل أسود خفية في تدريبهم على الافتراس وأشد منها ضراوة في القتال ، فالمعاني كما ترى مألوفة ومطروقة ، لكن الجديد فيها هذه العاطفة التي تبدو في إضفاء هذه الصفات على الأنصار ، وهو يريد بذلك أن يمحو من نفوسهم ما علق بها عندما عرَّض بهم في قصيدته (بانت سعاد) . والقصيدة بعد هذا سلسة الأسلوب واضحة المعاني سهلة الألفاظ . ورغم ذلك لا تلمس فيها تأثراً بالقرآن وبالحياة الإسلامية في معانيها . ولولا أن القصيدة في مدح الأنصار وورد فيها ذكر النبي ﷺ لكان من الممكن أن تعد جاهلية في هذا الجانب.

(٣ – ٣ – ٤) أسئلة للنقاش :

(١) ١- أحْلامُنَا تَزِنُ الجبالَ رزانةً ✱ وَتَخَالُنا جنّا إذا ما نَجْهَلُ

٢- تَزِنُ الجبالَ رزانةً أحْلامُهم ✱ وَأكُفُّهُم خَلَفٌ مِنَ الأمْطَارِ

وازن بين البيتين موضحاً الاتفاق والاختلاف ، وأيهما أفضل في أداء المعنى ؟

(٢) ماذا يفيد التعبير بأعين محمرة مستشهداً بقول المتنبي في وصف الأسد .

ما قوبلت عيناه إلا ظننتا ✱ تحت الدجى نار الفريق حلولا

(٣) ولماذا الاحتراس بقوله (غير كليلة الإبصار) ؟

(٤) يقول حسان بن ثابت :

الضَّاربونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ✱ ضَرْبا حتَّى يَطِيحَ لَهُ بَنانُ المَفْصِلِ

والخَالِطُونَ غَنيَّهُمْ بفقيرهمْ ✱ والمُنعِمُونَ عَلى الضَّعيفِ المُرمِلِ

ماذا ترى فيهما من مشابهة في الشكل والمضمون لقصيدة كعب بن زهير ؟

(٣ – ٤) في الفخر والمدح

النابغة الجعدي

(١) خليليّ عُوجا ساعَةً، وَتَهَجَّرا* ونُوحَا على ما أَحْدثَ الدهرُ، أَوْ ذرَا
(٢) ولا تَجْزَعا إنّ الحياةَ مَذَمَّةٌ* فَخِفّا لِرَوْعاتِ الحوادثِ، أو قرا
(٣) وإنْ جاءَ أَمْرٌ لا تُطيقان دَفْعَهُ* فَلاَ تَجْزَعا ممّا قضىَ اللّهُ، وَاصْبِرا
(٤) أَلمْ تَرَيا أنّ المَلامَةَ نَفْعُها* قَليلٌ، إذا ما الشيْءُ ولّى وَأَدْبَرا
(٥) نُهيجُ اللحاءَ والملامـــةَ ثُـــمَّ لا* نُغيّر شَيئاً، غَيْرَ ما كان قُدّرا
(٦) أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ، إذ جاءَ بالهُدى* وَيَتْلو كِتاباً كالمجرّةِ نيِّرا
(٧) وَجاهَدتُ حَتّى ما أُحِسُّ وَمَن مَعِي* سُهَيلاً إذا ما لاَحَ ثُمَّتَ غَوَّرا
(٨) أُقِيمُ عَلى التَقوَى وَأَرضَى بِفِعلِها* وَكُنتُ مِنَ النارِ المَخُوفَةِ أَحْذَرا
(٩) وإنَّا لَقَومٌ ما نُعَوَّدُ خَيْلَنا* إذا ما الْتَقَيْنا أَنْ تَحِيدَ وتَنْفِرَا
(١٠) ونُنْكِرُ يومَ الرَّوْعِ أَلْوانَ خَيْلِنا* مِن الطَّعْنِ حتَّى نَحْسِبَ الجَوْنَ أَشْقَرا
(١١) بَلَغْنا السَّماء مَجْدُنا وجُدُودُنا* وإنَّا لَنرْجُو بَعْدَ ذلكَ مَظْهَرا
(١٢) ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لمْ تَكُنْ لهُ* بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوهُ أَنْ يُكَدرا
(١٣) ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لمْ يَكُن لهُ* حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا

(٣ – ٤ – ١) اللغة :

عوجا : ميلا .
تهجرا : سيرا في الهاجرة .
نوحا : ابكيا .
ذرا : اتركا .
تجزعا : الجزع عدم الصبر .
قرا : أثبتا – أبقيا – ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ .
المجرة : مجموعة من النجوم ترى في شكل بياض ممتد على صفحة السماء.
غور : غاب .
احذرا : أشد خوفاً وحذراً .
الجون : الأسود – (وهو من الأضداد) .
بوادر : جمع بادرة وهو الغضب .

(٣ – ٤ – ٢) الشاعر :

هو النابغة الجعدي ، واسمه عبد الله بن قيس من بني جعدة من قبيلة بني عامر ، ولد بالفلج جنوبي نجد ، وعاش في قومه يمارس الحياة التي يمارسونها حرباً وسلماً ، ونبغ في الشعر كثيراً حتى سمِّي بالنابغة ، وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في العام التاسع من الهجرة ، مع قومه فأسلم وشهد فتوحات فارس . وكان مع سيدنا عليّ في صفين . ثم عاد مجاهداً بأصفهان ومات فيها .

قالوا إن النابغة أنشد الرسول ﷺ هذه القصيدة ، فلما وصل إلى قوله : " وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً " قال له الرسول ﷺ : " إلي أين يا أبا ليلى ؟ " قال : " إلى الجنة " فقال الرسول ﷺ : " إن شاء الله " ولما وصل إلى قوله : " لا خير في حلم إذا لم تكن له ..... الخ " قال له الرسول ﷺ : " لا يفضض الله فاك " . فعاش النابغة اكثر من مئة سنة لم تتكسر له سن .

(٣ – ٤ – ٣) الشرح :

(١) يخاطب الشاعر صاحبيه ويطلب منهما أن يميلاً طلباً للراحة ثم يسيرا في الهاجرة وأن يبكيا ويحزنا على حوادث الدهر أو ليدعا البكاء والحزن .

(٢) واتركا الجزع فإن الحياة لا تأتي بما ينغص فالجزع لا يفيد فاتركا الجزع وتصبّرا .

(٣) وإذا داهمكما أمر لا تستطيعان إبعاده فاصبرا على قضاء الله عليكما .

(٤ /٥) وقد رأيتما أن اللوم لا يفيد شيئاً إذا ما انتهى ما يوجب اللوم .
ولا يفعل شيئاً غير إعادة البكاء والحزن والندم ولا يستطيع أن يغير شيئاً مما قدره الله .

(٦) أتيت رسول الله متابعاً ومبايعاً ، لما جاء به من الهدى والنور ويتلو كتاباً هادياً كالكواكب النيرات .

(٧) وشاركت في الجهاد متحملاً ومن معي مشقاته حتى لم أعد أشعر عندئذ أن سهيلاً لاح في الأفق أم غاب .

(٨) وقد أخذت نفسي بالتقوى وارتضيتها خلقاً وعملاً وجعلتها جنة لي من عذاب النار المخوفة .

(٩) ونحن من قوم لا نهاب القتال ولم تتعود خيلنا أن تنفر عند اللقاء أو تحيد عنه .

(١٠)وتصطبغ بالدماء من كثرة الطعان حتى ننكر ألوانها ونظن أن الأسود منها أصبح أشقر .

(١١) وبهذا الإقدام والشجاعة بلغنا نحن وأجدادنا قمة المجد والرفعة ، ونرجو مجداً ورفعة فوق ذلك .
(١٢) إن الحلم الذي لا تصاحبه وثبات غضب تحميه من مظنة الضعف لا خير فيه .
(١٣) ولا بد للجهل أن يصاحبه حلم يكفكف من غلوائه ويرده إلى الهدوء عند اندفاعه .

(٣ – ٤ – ٤) التعليق والتذوق :

بنيت هذه القصيدة على عدة عناصر :
(١) الدعوة إلى الثبات والصبر على أحداث الدهر .
(٢) مدح الرسول ﷺ .
(٣) الفخر بالشجاعة والفروسية .
(٤) الحكمة .

والشاعر قد عالج كل عنصر من هذه العناصر بالروح التي تناسبه تماماً واختار له من الألفاظ ما يتفق معه .

فمطلع القصيدة دعوة للثبات لأحداث الزمان وابتلاءات الحياة ومقابلة ذلك بالصبر وعدم الجزع . ولا يملك المرء إلا أن يشعر بجو من الحزن يسيطر عليه وأن إحساس الشاعر بذلك قد سرى فيه وانتقل إليه . ونجد أن الألفاظ تقوده لذلك قبل أن يصل إلى المعنى مثل : تهجرا – نوحا – أحداث الدهر – لا تجزعا – إن الحياة مذمة – خفا لروعات الحوادث – قبح البكاء والندامة . ومن ثم فإن هذا المقطع من القصيدة يشيع فيه الحزن وتغلفه الكآبة ، ويكون الشاعر بذلك قد عبر عن نفسه وعن أحاسيسه أصدق تعبير .

وفي جانب المدح ترى نفسه هادئة تمتليء بالحب ، ويشيع فيها جو من الطمأنينة وتعبر ألفاظها عن ذلك : أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيّرا . ومن ثم فهو يصور ما تمتليء به نفسه من سعادة بالهداية ، ولقاء بالرسول الكريم والجهاد في سبيل الإسلام .

وعندما تحدث عن العنصر الثالث وهو الفخر بنفسه والإشادة بقومه استخدم الألفاظ الفخمة القوية – إنا لقوم – من الطعن – الجون أشقرا – تحيد وتنفرا – يوم الروع – بلغنا السماء .

وأخيراً ختم القصيدة بالحكمة ولعله يتأسى بالشاعر زهير بن أبي سلمي في ذلك .

فأتى بألفاظ تتقابل سهولة وقوة حين قابل بين الحلم الذي لا بد أن يجد قوة تحميه من الكدر ولا بد للقوة والاندفاع من حلم متحكم في اندفاعه .

ونلاحظ أنه قد استخدم عدداً من الصور البيانية التي توضح غرضه كالاستعارة في قوله : جاء بالهدى – وبلغنا السماء – تحمي صفوه أن يكدرا ، والكآبة في قوله حتى ما أحس سهيلا إذا ما لاح أو غور – ما تعود خيلنا – وننكر يوم الروع ألوان خيلنا . والتشبيه كتاباً كالمجرة نيرا .

(٣ – ٤ – ٥) أسئلة للمناقشة :

(١) يبدو أثر الإسلام واضحاً في هذه القصيدة . فاستخرج منه ما يمكن أن يدل على ذلك .

(٢) تناثرت في القصيدة بعض الصور البيانية ، اذكر ما ورد منها .

(٣) يختلف إحساس الشاعر باختلاف الموضوعات التي عالجها فكيف توضح ذلك ؟

(٤) علام يدل قول الشاعر أنهم ينكرون ألوان خيلهم ؟

(٥) ما المعنى الذي يستفاد من قوله بلغنا السماء مجدنا وجدودنا مع النص على الجدود بالذات ؟

(٣ – ٥) معاوية بن أبي سفيان " من كتاب الوحي "

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي ربِّ العالمين ، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح .

تعلم الكتابة والحساب ، فجعله رسول الله ﷺ ، من كتابه .

هو مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار وأحد عظماء الفاتحين في الإسلام . روى معاوية أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بخمسة .

وقد جمع معاوية بين الدهاء ، والحلم ، فكان من أقواله : " لو كان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت ، إذا شدُّوها رخيتها ، وإذا رخوها شددتها " .

وقد قام عند توليه الخلافة بأعمال جليلة ورائدة ، فله ينسب تأسيس الأسطول الإسلامي واستخدامه في حرب الروم ، كما قام بتنظيم شئون الدولة ، بعد أن قضى على كثير من الفتن .

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه جعله على قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا ، وعرقة ، وجبيل ، وبيروت ، والدردنيل ، وحاصر القسطنطينية براً وبحراً سنة (٤٨) هجرية .

ولما ولي " عمر " رضي الله عنه جعله والياً على الأردن ، ورأى فيه حزماً وعلماً ، فولاه دمشق بعد وفاة أميرها يزيد بن أبي سفيان " أخيه " .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذا نظر إليه يقول : "هذا كسرى العرب".

وحين مجيء عثمان بن عفان ﷺ جمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له .

وقتل عثمان ، فولي " علي بن أبي طالب " ﷺ ، فوجه لفوره بعزل معاوية ، وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد ، فنادى بثأر عثمان ، واتهم علياً بدمه ، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علي ، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام ، وإمامة علي في العراق ، ثم قتل علي وبويع بعده ابنه الحسن ، فسلم الخلافة إلى معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة ، فعهد بها إلى ابنه يزيد ومات معاوية في دمشق عام ستين من الهجرة .

ويرى العلماء أنه من الصواب في الفتنة التي حدثت بين علي بن أبي طالب ﷺ وبين معاوية بن أبي سفيان ﷺ ، أن يعتبر هذا الشأن اجتهاداً من الصحابيين ،

كما يجب عدم التعرض والإساءة إليهما ، قال الله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال رسول الله ﷺ : (لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه) رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : (الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي ، فلا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم ، فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه) . رواه الترمذي .

وقال ﷺ : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) رواه البخاري .

الاستيعاب :

١. عدِّد مآثر معاوية بن أبي سفيان ﷺ .
٢. مكانة معاوية عند رسول الله ﷺ – وخلفائه كبيرة – دلل من الموضوع على ذلك .
٣. اذكر أهم أعمال معاوية ﷺ .
٤. ماذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول في معاوية ؟
٥. لمعاوية قول صار مثلاً شهيراً ، اذكره .
٦. ما رأي العلماء في الفتنة التي حدثت بين علي ﷺ وبين معاوية بن أبي سفيان ﷺ .
٧. اذكر حديثاً من أحاديث النبي ﷺ التي تحذر من الإساءة إلى أي صحابي .
٨. عمد أعداء الإسلام إلى الإساءة إلى النبي ﷺ وزوجه – عائشة – وخلفائه الراشدين، وكثير من الحكام – هارون الرشيد وغيرهم – ترى ما دوافعهم إلى ذلك ؟

التدريبات اللغوية :

١- استخرج من القطعة اسماً يعرب :

١. تمييزاً .
٢. اسماً مجروراً بالإضافة وعلامة جره الياء .
٣. اسماً ممنوعاً من الصرف للعلمية والتأنيث .
٤. نائب فاعل علامة رفعه الضمة .
٥. اسماً مجروراً بحرف الجر وعلامة جره الياء .

٢- أين تضع الهمزة في الكلمات الآتية – على الحرف الأخير أم على السطر ؟
مجي ردي شي شاطي هاني هادي مُسي طي
٣- أكمل الآتي من الأسماء التي همزتها " وصل " ابن / ابنة / امرأة ، اثنـــان / اثنتـــــــان و ..... و ..... و ..... و ..... و ..... و ..... و .....
٤- صوِّب الكلمات التي تحتها خط
الاستغفار ، الإكرام ، الانتصار ، الامتحان ، الإحسان ، احمد ، ابراهيم ، الأزهار

(٣ – ٦)كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسي الأشعري في القضاء

" **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** " **مِنْ** عبد الله **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ** إلى عبد الله بن قيس – **سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ ، وَأَنْفِذْ إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ ، آسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيْأَسَ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ .**

الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا ، وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَه الْيَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اعْرِفْ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، فَقِسْ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا ، وَاعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَشْبَهِهَا بِالْحَقِّ. وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَةً أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَإِلَّا اسْتَحْلَلْت عَلَيْهِ الْقَضِيَّةَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْقَى لِلشَّكِّ وَأَجْلَى لِلْعَمَى ، وَأَبْلَغُ فِي الْعُذْرِ

الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مُجَرَّبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ ، أَوْ ظَنِينًا فِي وَلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ .

وَادْرَأْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَيْمَانِ وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ وَالْقَلَقَ وَالضَّجَرَ وَالتَّأَذِّي بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ ، يَعْظُمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيَحْسُنُ عَلَيْهِ الذُّخْرُ فَمَنْ صحَّتْ نيتُه ، وأقبل **عَلَى نَفْسِهِ** ، كفاه **اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ** ، ومن تخلق للناس **بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ** أنه ليس من نفسه ، **شَانَهُ اللَّهُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ عند اللَّهِ** عز وجل **فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ، وَالسَّلَامُ**" .

(٣ – ١٠ – ١) **اللغة :**

أدلى بحجته : احتج بها .
آس : سوّ بينهم ، اجعلهم متساوين . فلا تميز بينهم .
تلجلج : تردد .
ظنيناً : متهماً .

درأ : دفع " ادرؤوا الحدود بالشبهات " .
القلق : ضيق الصدر وقلة الصبر .
تخلق : تكلف وتصنع .
الحيف : الميل والجور .

(٣ – ١٠ – ٢) **الأفكار العامة :**

(١) من الضروري للقاضي أن يكون فاهماً لمهنته مقتنعاً بها معتزاً بشرفها .
(٢) متابعة ما يصدر من أحكام لتنفيذها .
(٣) المساواة بين المتخاصمين .
(٤) أخذ البينة على المدعي واليمين على المنكر .
(٥) مراجعة الأحكام بعد إصدارها وإصلاح ما عسى أن يكون قد تعدّى الحق .
(٦) التوفيق بين المتخاصمين بالصلح .
(٧) أساس الحكم هو الشريعة الإسلامية .
(٨) القياس بالأشباه والنظائر ما لم يرد فيه حكم صريح .
(٩) قبول الشهادة من كل مسلم إلا من عرف عنه عدم الاستقامه في دينه أو كان متهماً في نسبه .
(١٠) عدم القلق والضجر عند النظر في القضايا .

(٣ – ١٠ – ٣) **الشرح :**

(١) بدأت الرسالة بذكر اسم مرسلها ومن أرسلت إليه على نسق كل الرسائل في العصر الإسلامي .
(٢) وأعقب ذلك توجيه التحية والسلام .
(٣) ثمَّ . توضيح أهمية القضاء في حياة الناس وهو لذلك فريضة محكمة وسنة متبعة لم تتخلف في جيل منذ بدء الإنسانية .
(٤) الدعوة إلى الفهم فيما يسند إلى القاضي ، فإن الحق إذا لم يجد تعضيداً فلا نفع منه ، وعلى القاضي أن يعدل بين الناس في معاملته لهم فلا يقرب واحداً ويبعد آخر ويهش في وجه أحدهم ويعبس في وجه الآخر . حتى لا يطمع الشرفاء في ميله إليهم لشرفهم ، ولا ييأس الضعفاء من أن ينالوا حقهم لضعفهم .
(٥) وعلى من يدعي حقاً أن يثبت دعواه بالدليل والبينة ومن ينكر هذه الدعوى فعليه أن يحلف على صحة إنكاره باليمين .

(٦) ويجوز للقاضي أن يجري الصلح للتوفيق بين المتخاصمين ما لم يكن صلحاً يحرم حلالاً أو يحلل حراماً .

(٧) يجب على القاضي إذا حكم حكماً ورأى أنه يجافي الحق أن يراجع نفسه ويحكم بما يراه صواباً ؛ لأن العودة إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

(٨) إذا تردد القاضي في أمر ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فعليه أن يحكم عقله ويلجأ إلى قياس هذا الأمر بنظائره مما ورد فيه حكم شرعي سليم .

(٩) إذا ادعى أحد أن له حقاً غير موجود الآن أو أن البينة التي يستند إليها غائبة عنه . فعلى القاضي أن يضرب له أجلاً لإحضار حقه أو إثبات بينته وإلا حكم عليه . فإن هذا يبعد الشك ويفتح البصيرة ، وينفي التهمة .

(١٠) المسلمون كلهم عدول تقبل شهادة بعضهم علي بعض ، إلا من كان منحرفاً في دينه فجلد في خمر أو زنى أو قذف ، أو شهد شهادة زور أو كان متهماً في ولائه أو نسبه ، فإن الله هو العالم بما في ضمائر الناس ودفع التهم بالبينة واليمين .

(١١) على القاضي عند النظر في القضايا أن يبتعد عن القلق والضجر والتأذي بالخصوم ، وألا يتنكر للناس عند الخصومات بل يكون واسع الصدر طيب النفس قريباً إلي الخصوم ، بما يظهره من المساواة بينهم . وبذلك يكون حكمه مقبولاً وثوابه مضموناً عند الله .

(٣ – ١٠ – ٤) **التعليق** :

هذه الرسالة تعتبر أساساً واضحاً وسليماً للقضاء في كل عصر من العصور وتبين لكل من أسند إليه أمر، قضاءً كان أو حكماً، أو رئاسة - الطريق التي يجب أن يسلكها لإقامة العدل بين الناس .

وقد تضمنت الأسس التي يقوم عليها القضاء وتتحقق بها العدالة .

وتترك المجال مفتوحاً أمام القاضي في أن يلجأ إلى الصلح إذا رأى أن ذلك أجدى للمتخاصمين . وأن يراجع أحكامه السابقة إذا رأى فيها ضعفاً أو جنوحاً عن الحق . ووضحت الأصول التي يرجع إليها القاضي في أحكامه . وهي الكتاب والسنة ، فإن لم يجد فيهما ما يمكن أن يحكم به ، فعليه أن يحكم بمقتضى عقله ورأيه بما لا يجافي مبادئ الشريعة الإسلامية ، وأن يكون الاعتماد على قياس ما لم يرد فيه نص بما يشبهه مما ورد فيه نص صريح .

وتضمنت ما يجب أن يتحلى به القاضي من الفهم والعدل وتحري الصواب وعدم الضجر والملل وكراهية الخصوم .

وإذا كانت هذه الرسالة قد تضمنت من الأحكام ما هو جدير بإثبات العدل بين الناس . فإن ما فيها من أحكام وتوجيهات لم تأت مجردة على أنها أوامر يجب تنفيذها من غير نظر ولا فكر ولا روية بل أن كل حكم أو توجيه جاء مدعوماً بالدليل وبيان الأسباب التي دعت إليه . وهذا يعود إلى إدراك سيدنا عمر لطبائع الناس ودقته في تنفيذ الأحكام .

(٣ – ١٠ – ٥) أسئلة للمناقشة :

(١) لقد طلب من القاضي أن يساوي بين الناس في عدله ومجلسه ومقابلته فكيف يتم ذلك ؟

(٢) ماذا يعني مبدأ البينة على المدعي واليمين على من أنكر ؟وبأي شيء يكون اليمين ؟

(٣) متى يجب على القاضي أن يراجع أحكامه ؟

(٤) ما الأصول التي يقيم عليها القاضي أحكامه ؟

(٥) حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك

أولاً : ما معنى هذه العبارة ؟

ثانياً : وما أثرها في إقامة العدل ؟

ثالثاً : تضمنت العبارة صورة بديعية – فما هذه الصورة ؟

(٦) وردت عبارة الفهم الفهم – فماذا تسمي هذا الأسلوب . وكيف تعرب كلاً من الكلمتين ؟

(٧) وإياك والقلق والضجر .

ماذا يسمى هذا الأسلوب ؟

وما إعراب – إياك ؟

الباب الرابع

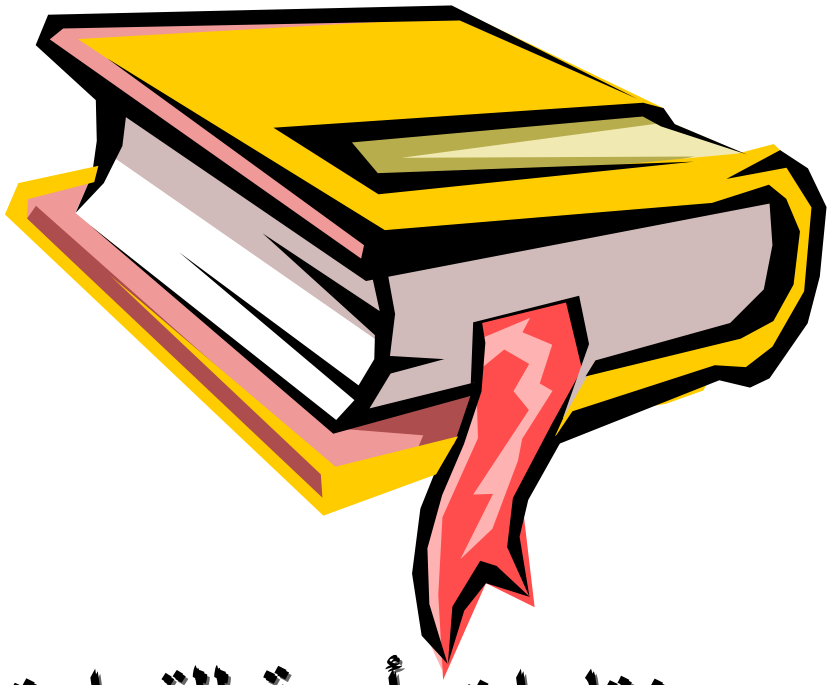

مختارات أدبية للقراءة

(٤ – ١) من خصائص الحضارة الإسلامية *

د . مصطفي السباعي*

يعرّف بعض الباحثين الحضارة بأنها : (نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي) وتتألف الحضارة من العناصر الأربعة الرئيسة : الموارد الاقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ، ومتابعة العلوم والفنون ، ولاطراد الحضارة وتقدمها عوامل متعددة من جغرافية واقتصادية ونفسية ، كالدين واللغة والتربية ، ولانهيارها عوامل هي عكس تلك العوامل . من أهمها الانحلال الخلقي والفكري ، واضطراب القوانين والأنظمة ، وشيوع الظلم والفقر ، وفقدان الموجهين الأكفياء ، والزعماء المخلصين . وقصة الحضارة حلقة متصلة تسلمها الأمة المتحضرة إلى من بعدها . ولا تختص بأرض ولا عِرْق ، غير أن ما تمتاز به حضارة عن أخرى إنما هو قوة الأسس التي تقوم عليها .

وكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها ، إنسانية في نزعتها خلقية في اتجاهاتها ، واقعية في مبادئها – كانت أخلد في التاريخ ، وأبقى على الزمن وأجدر بالتكريم .

إن الحضارة الإسلامية حلقة من سلسلة الحضارات الإنسانية وسبقتها حضارات وستتبعها حضارات . لقد كان للحضارة الإسلامية دورها الخطير في تاريخ التقدم الإنساني ، ومدى ما قدمته في ميدان العقيدة والعلم والخلق ، والحكم والفن والأدب ، من أياد خالدة على الإنسانية في مختلف شعوبها وأقطارها .

إن أبرز ما يلفت نظر الدارس لحضارتنا أنها تميزت بالخصائص التالية :

(١) أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة ، فهي أول حضارة تنادي بالإله الواحد الذي لا شريك له في حكمه وملكه وهو وحده الذي يعبد ، وهو الذي يقصد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ .

إن هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان وتحرير الناس من طغيان الملوك والأقوياء ، والأشراف ورجال الدين .

---

* مفكر إسلامي سوري معاصر وأستاذ جامعي . كان المرشد العام الأسبق لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا توفي ١٩٦٧ رحمه الله.

(٢) أنها حضارة إنسانية النزعة والهدف ، عالمية الأفق والرسالة . فالقرآن أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه ، في قوله تعالي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ .

إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية ، جعل حضارته عقداً تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي أظلتها سماء الإسلام .

لقد كانت كل حضارة تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة، إلا الحضارة الإسلامية فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم .

(٣) أنها جعلت للمباديء الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها وهي لم تتخلّ عن هذه المباديء قط. ولم تجعلها وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو أفراد .

(٤) أنها تؤمن بالعلم في أصدق أصوله ، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها ، فهي خاطبت العقل والقلب معاً . وهي ميزة لم تشاركها فيها حضارة في التاريخ .

(٥) أنها اتسمت بالتسامح الديني العجيب الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين ، إنها من أشد ما عرف التاريخ تسامحاً .

(٤ – ١ – ١) الاستيعاب :

(١) ما الحضارة ؟
(٢) اذكر العناصر التي تتألف منها ؟
(٣) ما أثر الانحلال الخلقي والفكري على الحضارة ؟
(٤) ما الذي يميز حضارة عن أخرى ؟
(٥) ما الذي يجعل الحضارة خالدة في التاريخ ؟
(٦) اذكر ما قدمته الحضارة الإسلامية في ميدان العقيدة والعلم .
(٧) اذكر باختصار خصائص الحضارة الإسلامية .
(٨) كيف أثرت الوحدانية المطلقة على الحضارة ؟
(٩) كيف تدلل على إنسانية الحضارة الإسلامية وعالميتها ؟

(١٠) اتسمت الحضارة الإسلامية بالتسامح الديني الذي لم تعرفه الحضارات الأخرى. ناقش هذه العبارة مقارنا بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .

(٤ – ١ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) ولانهيارها عوامل هي عكس العوامل السابقة .
علام يعود الضمير في انهيارها ؟

(٢) جعل حضارته عقدا تنتظم فيه جميع عبقريات الشعوب التي أظلتها سماء الإسلام ، وضح الصورة البلاغية في هذه العبارة .

(٣) استبدل بالكلمات التي تحتها خط كلمات أخرى تؤدي معناها :
أ. نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي .
ب. ولانهيارها عوامل هي عكس تلك العوامل .
ج. القرآن أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته .
د. الحضارة الإسلامية اتسمت بالتسامح .

(٤) في جمل من عندك هات مفرد الكلمات الآتية :
العوامل ، الأنظمة ، الأكفياء ، أسس ، الأشراف .

من نفيس الكلام :
شر الزمان ما اجتمع فيه فساد الراعي والرعية

(٤ – ٢) النصيحـــة

أخرج مسلم في صحيحه عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

لو فطن الناس إلى ما في الدين الإسلامي من خير وسعادة ، وتنبهوا إلى ما تشتمل عليه تعاليمه من رشاد وحكمة ، وآثروا إخلاصهم لأنفسهم على تعصبهم لآرائهم وموروثاتهم ، وأنصفوا هذا الدين حق إنصافه – لبادروا جميعاً إلى اعتناق مبادئه ، والانضواء تحت لوائه ، والاستظلال برايته ، ولسارعوا إلى الاعتصام بحصنه الحصين ، والاستمساك بحبله المتين .

فهذا مبدأ التناصح الذي ينادي به الناصح الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ويعتبره كل الدين ، لو أن الناس عمموه فيما بينهم ، وترسموه في معاملاتهم وأحوالهم ، واتبعوا هديه في كل أمورهم ، وجميع شؤونهم ، لسعد حال الإنسانية وعاشت آمنة مطمئنة ، ولتجنبت كثيراً من المشاكل والشرور التي هي في الغالب ليست إلا نتيجة لترك التناصح ، ولشيوع سوء الظن ، وانتشار فقدان الثقة بين الأفراد والجماعات .

ولخطورة هذا المبدإ ، وعظيم أثره في إصلاح حالة المجتمع ، قال بعض العلماء عن هذا الحديث : " إنه أصل عظيم الشأن ، وإنه عليه وحده مدار الإسلام " وقال بعض آخر : " إنه أحد الأحاديث التي تجمع أمور الإسلام " .

وفي اعتقادنا أنه لا غرابة فيما يقول هؤلاء العلماء ، لأن النصيحة في الواقع إنما تنبعث عن الرغبة الأكيدة في مصلحة المنصوح له ، وعن الاهتمام بشأنه ، والقصد إلى ما يعود عليه بالخير والنفع ؛ ولا شك أن المنصوح إذا شعر بكل ذلك من جانب الناصح اطمأنّ إليه ، ووثق به ؛ وإذا توافرت الطمأنينة في النفوس ، وتبودلت الثقة بين الناس ، فإنهم يستطيعون أن يحيوا حياة سعيدة هانئة خالية من كثير مما نراها اليوم مشحونة به من متاعب وآلام .

وكيف لا يكون هذا الحديث النبوي الشريف جامعاً للكثير من المبادئ ، والتعاليم الإسلامية ، وهو يقرر في عبارته الوجيزة الجامعة ، ولغته السهلة الواضحة أن قوام الدين ، وعماد الإسلام إنما هو في بذل النصح ، وإسدائه لمن هو له أهل .

وإننا إذا عرفنا أن النصيحة هي : تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه وأنها في كلام العرب مأخوذة من قولهم : " نصح الرجل ثوبه " ، إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب ؛

أو مأخوذة من قولهم : " نصحت العسل " : إذا صفيته من الشمع ، فشبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط . إذا عرفنا هذا ، أدركنا مقدار ما تنطوي عليه هذه الوصية النبوية الكريمة من شمول لتعاليم الإسلام ، وتناول لمبادئه الرشيدة .

ينتقل بنا الحديث الشريف بعد تقرير هذه الحكمة الاجتماعية السامية إلى بيان من تجب لهم النصيحة :

فيذكر – أولاً : أنها واجبة لله تعالى : ومعناها : " الإخلاص له سبحانه في جميع الأمور ، وذلك مصروف إلى الأيمان به ، ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال ، وتنزيهه من جميع النقائص والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته ، وشكره عليها ، والدعوة إلى جميع هذه الأوصاف ، والحث عليها والتلطف في جمع الناس أو من أمكن منهم حولها " .

ويذكر – ثانياً : أنها واجبة لكتابه سبحانه وتعالى ، ومعناها : " الأيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله أحد منهم ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها ، والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذبّ عنه لتأويل المحرّفين وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه ومعارفه " .

ويذكر – ثالثاً : أنها واجبة للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ومعناها : " تصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقته ، وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ونفي التهمة عنها واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته ، وما إلى ذلك " .

ويذكر – رابعاً : أنها واجبة لأئمة المسلمين ؛ وإذا كان المراد بهم الرعاة وغيرهم ممن يقومون بأمور المسلمين من أصحاب الولايات ، فمعنى النصيحة لهم في هذه الحالة : " معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتثبيتهم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين

وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم ، والصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الواجبات إليهم ، وتعهدهم بالتذكير والإرشاد إذا ظهر منهم حيف ، أو سوء عشرة ، وعدم تغريرهم بالثناء الكاذب عليهم ، والدعاء لهم بالتوفيق والصلاح " .

أما إذا كان المراد بهم الأئمة الذين هم علماء الدين . فمعنى النصيحة لهم: " قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن ، وإجلالهم وإكبارهم " .

ويذكر – خامساً : أنها واجبة لعامة المسلمين ؛ ومعناها : " إرشادهم لمصالحهم في دنياهم وآخرتهم وكفّ الأذى عنهم ، وتعليمهم ما يجهلون من دينهم وعونهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم ، وحب الخير لهم كما يحبه لنفسه ، وكره ما يكرهه لها والذود عن أعراضهم وأموالهم وجميع أحوالهم بالقول والفعل ، وحثهم على التخلق بجميع ذلك ، وتنشيط هممهم على الطاعات " .

هذا ما عرض له الحديث الشريف في بيان من تجب لهم النصيحة ، وهو كما ترى لم يدع أحداً . من الخالق إلى الخلائق ، إلا وقد نبه على الواجب نحوه من النصيحة له ، فيا ليت شعري . كيف يكون حال الإنسانية لو أنها أخذت بهذا المبدإ وسارت عليه ، وترسمت طرقه ؟ .

إنها ستجد عالماً مثالياً ، مملوءاً بالأمان والاطمئنان وحافلاً بالهدوء والاستقرار ؛ وإنها ستتجنب كثيراً من شرور الحياة وويلاتها ، وأوضار المدنيات وأوزارها ؛ لأن الأفراد والأمم والدول الواقفة كل منها للأخر بالمرصاد ، لو ساست أمورها على ضوء التناصح ، وتفاهمت فيها على مقتضى ما يدعو إليه من إخلاص وحسن نية ، لعلم الناس أن كثيراً من الخلافات الشخصية ، والمنازعات الدولية والمشاكل العالمية ، لا تلبث أن ينتهي خطرها ، ويزول أثرها ، ولا يكون لها وجود فوق رقعة الأرض . فأنعم بالإسلام وبنبيّ الإسلام ، وبما جاءت به شريعته الحكيمة ، من أنظمة دقيقة ، ومثل عليا ! .

تكلم العلماء بعد هذا في الحكم الشرعي للنصيحة فقالوا : إنها فرض يجزي فيه من قام به ، ويسقط عن الباقين ، وإنها لازمة على قدر الطاقة فإذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ، ويطاع أمره ، ويأمن على نفسه المكروه أقدم عليها ، وإن خشي على نفسه الأذى من ورائها ، كان في سعة من تركها .

وهذا في الأحوال التي تكاد تكون الوجهة فيها فردية من جانب الناصح والمنصوح ؛ أما في الأحوال التي لها صبغة عامة ، فإنه ينبغي أن ينهض لها العقلاء والمفكرون ، وأن يتوخوا بها ما يكفل حصول الأثر ، وبلوغ الغاية .

(٤ – ٢ – ١) الاستيعاب :

(١) ما الذي يحدث لو تنبه الناس إلى ما يحمله الإسلام من خير وسعادة ؟
(٢) ما الأثر الذي يحدثه التناصح بين الناس ؟
(٣) لم ذهب بعض العلماء إلى أن الحديث المتقدم أصل عظيم الشأن ؟
(٤) ما الباعث على النصيحة ؟
(٥) ما الأثر الذي تتركه النصيحة عندما يكون المقصود بها الإصلاح ؟
(٦) كيف يستطيع الناس أن يحيوا بعيداً عن المتاعب والآلام التي نراها اليوم ؟
(٧) كيف جمع هذا الحديث كثيراً من تعاليم الإسلام ؟
(٨) ما النصيحة ، ومم أخذت ؟
(٩) كيف تكون النصيحة لله ؟
(١٠) وكيف تكون النصيحة للرسول ؟
(١١) كيف توجه النصيحة لائمة المسلمين إذا كان المقصود بهم ولاة الأمر ؟
(١٢) اذكر بعضاً من أوجه النصيحة لعامة المسلمين .
(١٣) كيف يكون حال الإنسانية لو أخذت بمبدأ التناصح وسارت عليه ؟
(١٤) ماذا قال العلماء عن النصيحة ؟
(١٥) متى يقوم بالنصيحة العقلاء والمفكرون ؟

(٤ – ٢ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) هات كلمة تكون مرادفة لما تحته خط فيما يلي :
أ. بادروا جميعاً إلى اعتناق مبادئه .
ب. ترسموه في معاملاتهم وأحوالهم .
ج. يقرر في عبارته الوجيزة .
د. والذب عنه لتأويل المحرفين .
(٢) ادخل المفرد لكل كلمة مما يأتي في جملة مفيدة :
عورات ، هممهم ، خلائق ، أوضار ، مثل ، نقائض
(٣) اجمع ما يأتي :
حكمة ، لواء ، شر ، معنى .

(٤) أعرب ما تحته خط فيما يأتي :

أ. أنصفوا هذا الدين حق إنصافه .

ب. أن يحيوا حياة سعيدة .

ج. واجتناب معصيته .

د. إذا كان المراد بهم الرعاة .....

(٥) قال الكاتب النصيحة مأخوذة من قولهم : نصح الرجل ثوبه ، إذا خاطه أو من قولهم نصحت العسل : إذا صفيته من الشمع – ففي رأيك ما وجه الشبه بين النصيحة كما تقدمت وبين المعنى اللغوي لها ؟

من نفيس الكلام

علم علمك من جهل ، وتعلم ممن يعلم ، فإنك إن فعلت ذلك علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت .

(٤ – ٣) أبــو دلامــة* والحــرب

كان رَوْح بن حاتم المهلبي والياً على البصرة ، فخرج إلى حرب أعداء العباسيين من الجنود الخراسانية ، وكان معه في البصرة أبو دلامة فأمره بالخروج معه .

وفي ميدان المعركة خرج فارس خراساني كأنه النار المتأججة خرج طالباً المبارزة ، فخرج إليه جماعة من جند روح فقتلهم جميعاً فأمر روح أبا دلامة بالخروج لمقاتلة الفارس ، فامتنع . فألزمه فاستعفاه فلم يعفه فأنشد أبو دلامة :

إنّي أعُــودُ بروَحٍ أن يُقدّمَنِي * إلى القِتَالِ فتَخــزَى بي بَنُو أسَد[1]
بَنِي المُهَلَّبَ حُبَّ المَوتِ أورَثَكُم * وَمَا وَرِثتُ اختِيارَ المَوتِ عَن أحَدِ
إنّ الدَّنُو إلــى الأقرَانِ أعلَمُهُ * مِمَّا يُفرِّقُ بَينَ الرُّوحِ والجَــسَدِ

فأقسم عليه روح ليخرجن ، وقال له : لماذا تأخذ عطايا السلطان ؟ فقال : لأقاتل عنه . قال روح : لماذا لا تبرز مالي عدو الله وعدو السلطان ؟ فقال أبو دلامة : أيها الأمير إن خرجت إليه لحقت بمن قتلهم هذا الفارس الملعون ، وليس الشرط لأخذ عطية السلطان أن أقتل ، بل لا قاتل عنه .

فحلف روح : لتخرجن فتقتله أو تأسره ، أو تقتل دون ذلك . فلما رأى أبو دلامة أن لا مفر من الخروج قال : أيها الأمير ، إنك تعلم أن هذا أول يوم لي من أيام الآخرة ، ولا بد فيه من الزاد ، فأمر له برغيف مطوي علي دجاجة ولحم وفاكهة ، فشهر سيفه وخرج ، وكان تحته فرس جواد . فأقبل يجول ويلعب بالرمح وكان مليحا في الميدان ، والفارس الخراساني يلاحظه ، ويتحين منه[2] غرة ، حتى إذا وجدها أقبل عليه كالإعصار في غبار كالليل سواداً فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للفارس : لا تعجل واسمع مني – عافاك الله – كلمات إليك أتيتك ، فإنما أتيك في مهم ، فدنا الفارس منه وقال له : ما المهم ؟ قال : أتعرفني ؟ قال لا ، قال : أنا أبو دلامة قال : قد سمعت بك حيّاك الله . فكيف برزت إليّ وطمعت في بعد أن رأيت من قتلت من أصحابك ؟ فقال أبو دلامة : ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك ولكنى رأيت لباقتك [1] وشهامتك [3] فاشتهيت أن تكون لي صديقاً ، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا ، قال الفارس : قل – على بركة الله .

---

* هو زند بن الجون ، المكنى بأبي دلامة ، شاعر جيد الشعر ، صاحب ظرف وفكاهة ، من أصل إفريقي كان مقرباً من خلفاء بنى العباس لخفة روحه ودعابته ، وله فيهم مدائح توفي ١٦١هـ – ٧٧٧م .

(1) بنو أسد : القبيلة التي ينتسب إليها أبو دلامة .

(2) الغرة بكسر الغين : الغفلة ، والغر من ينخدع إذا أخدع .

(1) اللباقة : الظرف ، وإتقان العمل .

قال : إني أراك قد تعبت ، وأنت بغير شك سغبان [٣] ظمآن ، فقال : نعم . قال : فما شأننا بجند خراسان وجند العراق ؟ إن معي خبزاً ولحماً ونقلاً [٤] كما يتمنى المتمني . وغدير ماء نمير بالقرب منا ، فنخرج إليه نجلس علي شطه نأكل ونشرب وأترنم لك بشيء من شعري ، فقال الفارس ، هذا غاية أملي .

فخرجا من حلقة القتال ، وجلسا إلى الغدير فأكلا وشربا وقال أبو دلامة للفارس إن روحاً – كما علمت من أبناء الكرام ، فإن ذهبنا إليه فسيعطيك خلعة [٥] فاخرة ، وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلىّ ورمحاً طويلاً ، فقال الفارس : سر بنا على بركة الله . فسارا حتى قدما من وراء العسكر ، ودخلا على روح فقال له : أين كنت يا أبا دلامة ؟ قال : فيما أرسلتني إليه قال روح : وما ذاك ؟ قال : أما قتل الرجل فما أطقته ، وأما سفك دمي فما طبت به نفساً ، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه ، وقد تلطفت وأتيتك بالفارس أسير كرمك وعفوك .

فعفا عنه روح . وجعله من قواده : فانقلب الخراساني يقاتل الخراسانية ، فكان أكبر أسباب ظفر روح بأعدائه .

(٤ – ٣ – ١) الاستيعاب :

(١) في أي عصر وقعت هذه المعركة ؟
(٢) ما الفرق بين قول أبي دلامة ، ليس الشرط لأخذ عطية السلطان (أن أقتل) ، وبين قوله (لا قاتل عنه) ؟
(٣) بماذا أمر القائد أبا دلامة ؟
(٤) ما الذي كان يتحينه الفارس الخراساني من أبي دلامة ؟
(٥) كيف صور الكاتب الفارس الخراساني ، وهو مقبل على أبي دلامة ؟ وهل هي صورة حقيقية ؟
(٦) كيف قابل أبو دلامة الفارس الخراساني ؟
(٧) ما المهم الذي أخرج أبا دلامة لمقابلة الخراساني ؟
(٨) ما غاية ما كان يتمنى الفارس الخراساني ؟ وما رأيك في هذه الأمنية ؟
(٩) كيف استطاع أبو دلامة أن يجلب عفو القائد عن الفارس ؟

---

(3) الشهامة : عزة النفس ، وحبها لمعالي الأمور .
(3) سغبان : السغب : الجوع مع التعب .
(4) النقل : ما يوضع مع الطعام من مشهيات وفاكهة .
(5) خلعة : الثوب .

(١٠) أخوفاً تعتبر ما قام به أبو دلامة أم شجاعة فائقة ؟
(١١) ماذا تفهم من قوله أسير كرمك وعفوك ؟

(٤ – ٣ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) في البيت الثاني من شعر أبي دلامة وضح إعراب " بني " ؟
(٢) ماذا يقصد بقوله : (مما يفرق بين الروح والجسد) ؟
وماذا تسمي هذه الصورة البلاغية ؟
(٣) ما يجلبه السلام أكثر مما تجلبه الحرب ، دلل على هذا الكلام من القصة .
(٤) استبدل ما تحته خط بكلمة مرادفة له في المعنى :
أ. اشتهيت أن تكون لي صديقاً .
ب. نجلس علي شطه نأكل ونشرب .
ج. أما قتل الرجل فما أطقته .

من نفيس الكلام :
حبّب إلى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ، ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك .

(٤ – ٤) رائـد علـم الاجتمـاع*

في غرة رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة من الهجرة ، السابع والعشرين من مايو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وألف من الميلاد ، وفي إحدى الدور في شارع " قرية الباي " – ولد عبد الرحمن بن خلدون الرائد الأول لعلم الاجتماع .

وما يزال أهل تونس يعرفون مكان الدار بالمدينة القديمة ، فعليه أقيمت مدرسة الإدارة العليا التي يزدان مدخلها بلوحة رخامية تسجل مولد هذا العالم العربي العبقري ، كما يعرفون المسجد الذي كان يتلقي به علومه في فاتحة حياته وهو " مسجد القبة " .

نشأ الطفل في أسرة عربية خالصة ، ترجع جذور نسبها البعيد إلى أصل يمني حضرمي ، وترجع في نسبها بعد الإسلام إلى وائل بن حجر وهو صحابي روى الحديث عن النبي ﷺ ، وبعث به النبي إلى اليمن يبشر بالدين الجديد ، ويدعو إليه .

وقد تلقى الطفل العلم أول ما تلقاه على يد أبيه ، فكان معلمه الأول ، ثم انضم إليه في تنشئته أساتذة من علماء تونس وأدبائها ، وكانت إذ ذاك من المراكز الثقافية في العالم الإسلامي ، بأهلها ، وبمن هاجروا إليها من بلاد الأندلس ، بعد أن أدمتها المعارك ، وتوالت عليها ضربات الفرنجة .

وشب الفتى ، ودرس علوم الدين واللغة ، ولم يقنع بها ، بل دفعه نهمه [١] العلمي ان يتزيد من الثقافة ، وينهل [٢] من مواردها المختلفة ، فأقبل على المنطق يتفهم دقائقه ، وعلى الفلسفة يتعمقها ، وعلى العلوم الطبيعية والرياضية يستوعبها [٣] ، ويزيد بها ثقافته ثراءً وخصباً وسعة . وضاقت تونس بطموحه فرحل إلى المغرب ، والأندلس ، ومصر ، والحجاز ، وتولى وظائف شتى ديوانية وسياسية ، واشتغل بالتدريس والقضاء ، وتولى منصب قاضى قضاة المالكية [٤] في مصر . وإن الباحث في حياة ابن خلدون لتأخذه الدهشة ويستثيره العجب ؛ فكثير من العلماء نشؤوا حيث نشأ ، وأتيح لهم من ألوان الثقافة ما أتيح

---

* عن كتاب " عبد الرحمن بن خلدون " ، للدكتور علي عبد الواحد وافي وهو من التربويين والباحثين المعاصرين في مصر ، (بتصرف) .

(1) نهمه العلمي : حبه الشديد للعلم .

(2) ينهل : يشرب حتى يرتوي .

(3) يستوعبها : يأتي على ما فيها .

(4) المالكية : نسبة إلى الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي .

له ، وتلقوا العلم على يد من تلقى عنهم ، ولكن واحداً منهم لم يحلق إلى الآفاق البعيدة التي حلق إليها ، ولم يطاوله [٥] في القمة التي بلغ ذروتها .

وذلك أنهم إن كان قد هيّئ لهم من هذه المؤثرات ما تهيأ له فإن شيئاً أو أشياء لم تتح لهم ، تلك هي مواهب ابن خلدون ، ومقدراته العقلية الفذة [٦] .

كان له عين مفتوحة على الحياة ترى من دقائقها مالا تري عين غيره كان له عقل كلاقطة الأضواء يسجل من ظواهر الاجتماع أبعدها وأخفاها عن العقول ، وكانت له مع هذا ذاكرة تعي ، وبصيرة تنفذ إلى ما في الحياة من عبر ومن جوانب اختلاف أو التقاء ، وإلى ما يتحكم فيها من نواميس [٧] ، ثم كانت له بعد ذلك كله منطقية تفصل ، وتنظمّ ، وتضع كل شيء في موضعه .

ومن هذه المواهب الفريدة كانت عبقريته التي لم تقف به عند المألوف في حياة الناس ، بل جعلت منه مجدداً ، مبتكراً ، نابغاً ، في جوانب شتى من مجالات العلم والمعرفة .

كان مجدداً في علم التاريخ ، وفي فن التراجم ، وفي بحوث التربية وأسلوب الكتابة .. وكان في ذلك كله ابن خلدون العبقري المتفرد .

وأروع ما تفرد به ريادة علم الاجتماع؛ فقد ارتاد طريقاً فيه لم يرتده من كانوا قبله ، ولم يعالجه اللاحقون له من أمثال " فيكو" و " كتليه "و " أوجست كنت " إلا بعد قرون .

كان يرى أن التطور هو سنة الحياة البشرية ، وأن الظواهر الاجتماعية لا تجمد على حال واحدة ، وإنما تختلف باختلاف البيئات ، والأزمنة والناس .

يقول : " إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم [١] لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال إلى حال " .

وقد انطلق وراء هذه الأحوال التي كان يسميها : " واقعات العمران " يرصدها ويسجلها ، ويخرج من رصدها بنتائج بارعة ، في مجال التجمع البشري ، وأثر البيئة الجغرافية فيه ، وفي أصول المدنيات ، ونظم الحكم وشؤون السياسة ، وفي الظواهر الاقتصادية ، والتربوية ، وفي غير ذلك مما تناوله بعقلية العالم النابغ البصير .

---

[5] لم يطاوله : لم يبلغ مبلغه .

[6] الفذة : الفريدة .

[7] نواميس : المراد القوانين مفردها ناموس .

[1] النحل : جمع نحلة ، المراد بها المذهب الديني .

وإذا كان من الباحثين من ينكرون على ابن خلدون فضله في أنه مبتدع علم الاجتماع فإن منهم من ينصفه ، ويعرف له هذا الفضل .

يقول " لودفيج جمبلوفتش " أحد علماء الاجتماع في العصر الحديث بعد أن حلل كثيراً من نظريات ابن خلدون :

" ولقد أردنا أن نبرهن على أنه قبل " أوجست كنت " بل قبل " فيكو " الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول عالم أوروبي في علم الاجتماع – جاء مسلم تقي ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى فيها بآراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع " .

ويقول فارد الأمريكي :

" كانوا يظنون أن من قال وبشر بمبدإ الحتمية الاجتماعية هو " مونتسكيو " الفرنسي [٢] أو " فيكو " الإيطالي ، مع أن ابن خلدون قد قال بذلك ، وأثبت خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بمدة طويلة " .

(٤ – ٥ – ١) الاستيعاب :

(١) أين الدار التي ولد فيها رائد علم الاجتماع ؟
(٢) اذكر تاريخ مولد ابن خلدون بالتفصيل ؟
(٣) إلى من يرجع نسب أسرته ؟
(٤) من كان معلمه الأول ؟
(٥) هل اقتنع الفتى بما نال من علوم الدين واللغة ؟
(٦) ماذا فعل ليزيد من ثقافته وعلمه ؟
(٧) اذكر جانباً من مواهبه ؟
(٨) بم تفرد ابن خلدون ؟
(٩) كان ابن خلدون يرى أن التطور هو سنة العباد البشرية ، والظواهر الاجتماعية تتغير وتختلف باختلاف البيئة والزمن والناس . استدل على هذا الكلام بما قال ابن خلدون .
(١٠) ما الاسم الذي أطلقه على أحوال العالم والأمم ؟

---

[2] أحد رجال الاجتماع في العصر الحديث . له فيه كتاب " علم الاجتماع النظري " .

(٤ – ٥ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) هات مرادف ما تحته خط :

(٢) وكان في ذلك كله ابن خلدون العبقري المتفرد ، حدد في هذه الجملة اسم كان وخبرها .

(٣) (كان له عقل كلاقطة الأضواء يسجل من ظواهر الاجتماع أبعدها وأخفاها عن العقول) استعمل الكاتب اسمي التفضيل أبعدها وأخفاها – بلفظ المفرد المذكر ، فلماذا ؟

(٤) تقف الحقيقة مشرقة الوجه .
(يقف التاريخ ليشير بأصبعه)
وضح الصورة الجمالية في الجملتين السابقتين .

(٥) بل دفعه نهمه العلمي أن يتزيد من الثقافة وينهل من مواردها المختلفة لذلك لم يطاوله في القمة التي وصل إليها .
الكلمات التي تحتها خط فيما سبق استخدمت استخداماً معنوياً استخدمها استخداماً حسياً .

من نفيس الكلام :
إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم

(٤ – ٥) بيــن خروفين (١)

مصطفى صادق الرافعي *

اجتمع ليلة عيد الأضحى خروفان من الأضاحي في دارنا . أما أحدهما فكبش أقرن ، يحمل على رأسه من قرنيه العظيمين شجرة السنين وقد انتهى سمنه [١] حتى ضاق جلده بلحمه ، وسّح[٢] بدنه بالشحم سحاً ، فإذا تحرك خلته سحابة يضطرب بعضها في بعضها ، ويهتز شيء منها في شيء ، وله وافرة [٣] يجرها خلفه جراً . فإذا رأيتها من بعيد حسبتها حملاً يتبعه ، وهو أصوف قد سبغ[٤] صوفه وتراكم عليه .

فإذا مشى تبختر فيه تبختر الغانية في حلتها .

وهو من اجتماع قوته وجبروته أشبه بالقلعة يعلوها من هامته كالبرج الحربي فيه مدفعان بارزان . وتراه أبدا مصعرا [٥] خده كأنه بطل من الأبطال .

وأما الآخر فهو جذع[٦] في رأس الحول الأول من مولده ، لم يدرك بعد أن يضحي. ولكن جيء به للقرم [٧] إلى لحمه الغض ، فالأول أضحية وهذا أكولة [٨] ، فذاك يتصدق بلحمه كله على الفقراء . وهذا يتصدق بثلثه ويبقى الثلث طعاماً لأهل الدار .

وكان الصغير في لينه وترجرجه ، وظرف تكوينه ، ومرح طبعه كأنما يصور لك الفتاة رقيقة متوردة ، وأما ذاك الضخم العاتي المتجبر الشامخ فهو

---

* مصطفى صادق الرافعي ، من أكبر أدباء العربية في العصر الحديث ، مصري المولد والمربى . شاعر ممتاز وأديب ذو أسلوب رصين يشبه أساليب كبار كتاب العرب في القرون الأولى من الهجرة .

ولد في القاهرة ١٢٩٨هـ – ١٨٨١م . حفظ القرآن الكريم صغيراً ، وأكب على دراسة اللغة والأدب حتى أصبح من أدباء القرن العشرين البارزين له مجموعة من الكتب منها " وحي القلم " " وتحت راية القرآن " و " أوراق الورد " . وكتبه تعلم الأسلوب القوي . توفي رحمه الله سنة ١٩٣٧م .

(1) انتهى سمنه : بلغ النهاية في السمنة .

(2) سح : امتلأ بالشحم .

(3) الوافرة : الذيل الضخم .

(4) سبغ صوفه : كسا جسمه .

(5) مصعرا خده : متكبراً .

(6) الجذع : من الضأن ما كان عمره ثمانية أشهر أو تسعة .

(7) القرم : اشتهاء اللحم .

(8) الأكولة : ما يسمن ويذبح للأكل .

صورة الرجل الوحشيّ أخرجته الغابة التي تخرج الأسد والحية ، وجذوع الدوحة الضخمة وجعلت فيه من كل شيء منها شيئاً يخاف ويتقى .

وكان الصغير يثغو لا ينقطع ثغاؤه ، فقد انتزع من قطيعه انتزاعاً فأحس الوحشة ، وتنبهت فيه غريزة الخوف من الذئب ، فزادته إلى الوحشة قلقاً واضطراباً ، وكان لا يستطيع أن ينفلت .

أما الكبش فيرى الثغاء سبة لقرنيه العظيمين ، وهو إذا كان في القطيع كان كبشه وحاميه فيكون القطيع معه وفي كنفه . فإذا فقد جماعته لم يكن في منزلة المنتظر أن يلحق بغيره ليحتمي معه فيقلق ويضطرب ، ولكنه في منزلة المرتقب أن يلحق به غيره طلباً لحمايته وذماره[١] ، فهو ساكن ومغتبط النفس .

فلما أدبر النهار وأقبل الليل جيء للخروفين بالكلأ من هذا البرسيم يعلفانه فأحس الكبش أن في الكلأ شيئاً لم يدر ما هو ، وانقبضت نفسه لما كانت تنبسط إليه من قبل ، وعرته كآبة من روحه ، كأنما أدركت هذه الروح أنه آخر رزقه على الأرض فانكسر وظهر على وجهه معنى الذبح قبل أن يذبح .

أما الصغير فقد أنس إلى المكان والظلمة ، وأقبل يعتلف ويخضم الكلأ ، فقال له الكبش : أراك فارحاً يابن أخي ، إني والله – أعلم علماً لا تعلمه ، إني لأحس أن القدر طريقه علينا في هذه الليلة ، فهو مصبحنا ما من ذلك بد .

قال الصغير : أتعني الذئب .

قال الكبش : ليته هو ، فأنا لك به لو أنه الذئب ، إن صوفي هذا درع من مخالبه ، ومن قرني هذين ترس ورمح ، فأنا واثق من إحراز[٢] نفسي في قتله ومن أحرز نفسه من عدوه فذاك قتل عدوه ، وهذا القرن الملتف الأعقد المذرب [٣] كالسنان[٤] لا يكاد يراه الذئب حتى يعلم أنه حاطمة عظامه ، فيحدث له من الفزع ما تخل به قوته فما يواتيني إلا متخاذلاً .

قال الصغير : فماذا تخشى بعد الذئب ؟ إن كانت العصا فإنما هي تضرب منك الصوف لا الظهر .

قال الكبش : إنني أخشي الذبح والسلخ .

---

(1) الذمار : كل ما تجب على المرء حمايته والدفاع عنه .

(2) إحراز : حماية يقال: أحرز نفسه إذا حماها من الأعداء وغيرهم .

(3) المذرب : الحاد . ويقال : فلان ذرب اللسان ، إذا كان شتاماً لعاناً .

(4) السنان : الحديدة المسنونة التى تركب في الرمح .

(٤ – ٦ – ١) الاستيعاب :

(١) متى اجتمع الخروفان ؟
(٢) صف لنا الخروفين وصفاً مختصراً ؟
(٣) بم شبه الكاتب ذيل الخروف الكبير ؟
(٤) لماذا لم يدرك الخروف الآخر الأضحية بعد ؟
(٥) لماذا يثغو الخروف الصغير ؟
(٦) لماذا يرى الخروف الكبير الثغاء سبة ؟
(٧) لم انقبضت نفس الكبش عندما جيء له بالكلأ ؟
(٨) كيف أقبل الخروف الصغير على الأكل ؟
(٩) كان كل من الخروفين قد اعتراه خوف ، فوضح مم يخاف كل منهما ؟
(١٠) ما المقصود بقوله (في قرنيه العظيمين شجرة السنين) ؟

(٤ – ٦ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) إذا رأيتها من بعيد حسبتها حملاً ، وضح المشبه والمشبه به فيما تحته خط .
(٢) صغر كلمة الفتاة ، واذكر ما تشير إليه من قاعدة ؟
(٣) انسب إلى كلمة (عدو) مشيراً إلى القاعدة .

من نفيس الكلام :
سئل حكيم :
ما أفضل العقل ؟ قال : معـرفة الـمرء نفسـه
فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه .
فما أفضل المروءة ؟ استبقاء الرجل ماء وجهه .

(٤ – ٦) بيـن خروفين (٢)

قال الصغير : وما الذبح وما السلخ ؟

هز الكبش رأسه فعل من يريد الابتسام ولا يستطيعه وقال : أرأيت حانوت القصاب[١] ونحن نمر به اليوم في السوق .

قال الصغير : وما حانوت القصاب ؟

قال الكبش : أرأيت ذلك السليخ [٢] من الضأن المعلقة في تلك المعاليق لا جلد عليها ولا صوف ، وليس لها أرؤس ولا قوائم ؟ قال الصغير : وما ذاك السليخ ؟ إنه – إن صح ما حدثتني به عن أمك – فهذه غنم الجنة تبيت ترعي هناك ثم تجئ إلى الأرض مع الصبح ، وإني لمترقب شمس الغد لأذهب فأراها وأملأ عيني منها .

قال الكبش : اسمع – أيها الأبله – إن شمس الغد ستشعر بها من تحتك لا من فوقك ؟

لقد كان لي أخ يكبرني ، وكنت – يومذاك – جذعاً مثلك ، فرأيت صاحبنا الذي كان يعلفه ويسمنه قد أخذه يوم العيد فأضجعه على جنبه وجاء بشفرة [٣] بيضاء لامعة مسنونة يكاد بياضها لشدته يضرب إلى الزرقة ، فأمرها على حلقه ذهاباً وإياباً حتى قطع بها الودجين [٤] ، فإذا دمه يشخب ويتفجر ، وجعل المسكين ينتفض ويدحض [٥] برجله ، ثم سكن وبرد فقام الرجل ففصل عنقه ، ثم شرط في جلده ونفخه حتى تطبل [٦] ، ورجع كالقربة التي رأيتها في القرية مملوءة ماء . ثم شق فيه شقاً طويلاً ثم أدخل يده بين الجلد والصفاق [٧] ، ثم كشطه وسحف [٨] الشحم عن جنبيه ، فعاد المسكين أبيض لا جلد له ولا صوف عليه . ثم بقر بطنه وأخرج ما فيه ، ثم حطم قوامه ، ثم شده فعلقه فصار سليخاً كغنم الجنة التي زعمت ! هذا – أيها الأبله – هو الذبح والسلخ .

---

(1) القصاب : الجزار .
(2) السليخ : المسلوخ .
(3) الشفرة : السكين .
(4) الودجان : مثنى الودج ، عرق في العنق يقطعه الذابح .
(5) يدحض :يرفس برجله الأرض .
(6) تطبل : انتفخ وصار مثل الطبل .
(7) الصفاق : الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر .
(8) سحف : قشر .

قال الصغير : وما الذي أحدث هذا كله ؟

فقال الكبش : الشفرة البيضاء التي يسمونها السكين .

قال الصغير : لقد كانت الشفرة عند حلقه حيال فمه ، فلماذا لم ينتزعها فيأكلها ؟

قال الكبش : أيها الأبله الذي لا يعلم شيئاً ولا يحفظ شيئاً لو كانت خضراء لأكلها !! ما أدري والله كيف أفهمك أن هذا كله سوف يجري عليك ؟ فسترى أمورا تنكرها ، فتعرف ما الذبح وما السلخ ؟ ، ثم تصير أشلاء في القدور ، فتضرم عليك النار فيأكلك ابن آدم كما تأكل أنت هذا الكلأ .

قال الصغير : وماذا على أن يأكلني ابن آدم ؟ ألا تراني آكل العشب ؟ فهل سمعت عشبة تقول : الرجل والسكين والذبح والسلخ ؟

قال الكبش في نفسه : " لعمري إن قوة الشباب في الشباب أقوى من حكمة الشيوخ في الشيوخ " .

ثم إن الكبش نظر فرأى الصغير قد أخذته عينه ، واستثقل نوماً فقال : هنيئاً لهذا الصغير ، فهو ينام ملء عينيه والشفرة محدودة له والذبح بعد ساعات قليلة .

وتحرك الصغير من نومه ، فقال له الكبش : إنه ليقع في قلبي أنك الساعة كنت في شأن عظيم ، فما بالك مبتهجاً وأنت ههنا في النحر لا في المرعى ؟

قال الصغير : إنك قلت : إن هذا الانسان غار علينا بالشفرة البيضاء ووصفت الذبح والسلخ والأكل ، وأنا الساعة قد نمت فرأيت فيما أرى ، أنني نطحت ذلك الرجل الذي جاء بنا إلى هنا ، وهجت به إلى أن صرعته ، ثم إني أخذت الشفرة بأسناني فثلمته [١] في نحره حتى ذبحته ، ثم افتلذت [٢] منه مضغة فلكتها في فمي فما عرفت – والله – فيما عرفت لحناً [٣] في الكلأ أقبح مذاقاً منه . إن الإنسان يستطيب لحمنا ، ويتغذى بنا ، ويعيش علينا فما أسعدنا أن نكون لغيرنا فائدة وحياة .

قال الكبش : لقد صدقت والله – ونحن بهذا أعقل من الإنسان الذي يقضى العمر آخذاً لنفسه ، متكالباً على حظها ، ولا يعطى إلا بالقهر والخوف .

تعال أيها الذابح ، تعال خذ هذا اللحم وهذا الشحم ، تعال لنعطيك ، فإن من الجبلة [٤] التي فطرنا الله عليها أن نعطي ولا نأخذ .

---

(1) ثلمته : شققته .

(2) افتلذت : أخذت فلذة ، قطعة .

(3) لحناً : نتناً .

(4) الجبلة : الخلقة .

(٤ – ٧ – ١) الاستيعاب :

(١) لماذا شبه الكاتب حال الخروف الكبير بحال من يريد أن يبتسم ولكنه لا يستطيع ؟
(٢) كيف كانت صفة السليخ الذي مرا عليه ؟
(٣) كيف كان الصغير يرى هذا السليخ المعلق في السوق ؟
(٤) ماذا تفهم من هذه العبارة ؟ إن شمس الغد ستشعر بها من تحتك لا من فوقك ؟
(٥) لماذا لم يلتقط الخروف السكين ليأكلها ؟
(٦) ماذا يقصد الخروف الصغير بقوله فهل سمعت عشبة تقول : الرجل والسكين والذبح والسلخ ؟
(٧) ما سبب النوم الهادئ والعميق الذي راح فيه الصغير ؟
(٨) لماذا يعتقد الخروف الكبير أنه أعقل من الإنسان ؟
(٩) ما النداء الذي وجهه الخروف للذابح ؟

(٤ – ٧ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) حدد الصورة البلاغية في قوله (هز الكبش رأسه – فعل من يريد الابتسام ولا يستطيعه .
(٢) لقد كان لي أخ يكبرني – أعرب ما تحته خط .
(٣) زن كلمة (تطبل) وكلمة سليخ .
(٤) اذكر مفرد (أشلاء) .
(٥) ما المقصود بهذه العبارات :
(املأ عيني منها) (ينتفض ويدحض برجله) (إن قوة الشباب في الشباب أقوى من حكمة الشيوخ في الشيوخ) .

من نفيس الكلام
قيل لبعض الحكماء
أيحسن بالرجل أن يتعلّم ؟
قال : إن كانت الجهالة تقبح به فإن العلم يحسن به

الباب الخامس

العصر الأموي

(٥ - ١) من تاريخ الأدب في العصر الأموي

كان المسلمون في عهد الخلافة الراشدة كلها ، جماعة متحدة قوية متماسكة فكرياً وعقدياً ، وخاصة بعد أن قضى أبو بكر على الردة ، وانصرف المسلمون إلى الجهاد يحملون الإسلام ، ويبلغون رسالته للأمم من حولهم ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً .

وعندما استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥هـ كان هذا الحدث الجلل بداية فتنة دامية بين المسلمين ، فرقت جموعهم وشتتت وحدتهم ، فنشبت الحرب بين على بن أبي طالب الذي بايعه المسلمون خليفة بعد عثمان ، وبين معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً لعثمان على الشام ، فأبى أن يبايع علياً فاستمرت الحرب بينهما سنوات حتى استشهد الإمام علي في ١٧ رمضان سنة ٤١هـ .

إن هذه الحرب التي يسميها مؤرخو الإسلام (الفتنة الكبرى) تركت آثاراً بعيدة في المجتمع الإسلامي ، فبرزت خلافات فكرية ومذهبية لم تكن معروفة قبل ذلك .

من مظاهر الفتنة التي نجمت عن الحرب ظهور عدة أحزاب لكل منها شعراؤه وخطباؤه .

ظهر الحزب الذي يناصر علياً في خلافته وهو الحزب الشيعي ومن أشهر شعرائه الكميت بن زيد ، وظهر الحزب الذي يؤيد الأمويين وينادي بخلافة معاوية ومن شعرائه جرير والأخطل ، ثم ظهر الحزب الذي عارض الشيعة والأمويين وحاربهم وهو حزب الخوارج وعندما دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه ، بعد استشهاد علي ، وبسط سلطانه على مصر والحجاز واليمن والعراق ، وجزءاً كبيراً من الشام – كان من شعرائه عبد الله بن قيس الرقيات ، دارت بينه وبين الأمويين معارك كثيرة انتهت بقتله سنة ٧٣هـ .

بعد أن تولى معاوية الخلافة ونصب نفسه أميراً للمؤمنين بعد أن بايعه الحسن بن علي بن أبي طالب ، دخل المسلمون وأدبهم عهداً جديداً يسمى ، أدبيا (العصر الأموي) .

وللأدب في هذا العصر موضوعاته الشعرية والنثرية .

(٥ – ١ – ١) الشعر :

موضوعات الشعر في العصر الأموي :

(١) الشعر السياسي :

يقصد بالشعر السياسي هذا الشعر الذي دار بين الأحزاب التي ذكرناها قبل قليل .

(أ) شعر الحزب الأموي :

الشعراء الذين ينتمون إلى هذا الحزب مدحوا الخلفاء الأمويين بدءا بمعاوية ومروراً بعبد الملك بن مروان ، إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم ، كما مدحوا ولاتهم على الأقاليم أمثال الحجاج بن يوسف وغيره .

إن الشعراء الذين مدحوا الأمويين أسرفوا كثيراً في مدحهم وأضفوا عليهم صفات لم تكن فيهم ، ولعل الدافع الذي دفعهم إلى هذا هو ما يؤملونه من عطايا الأمويين ، وجوائزهم السخية لذلك لم يكن مدحهم صادقاً خالصاً خارجاً من أعماق قلوبهم ، إلا مدحهم لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

(ب) شعر الحزب الزبيري :

إن أشهر شعراء هذا الحزب عبيد الله بن قيس الرقيات ، قال يمدح مصعب ابن الزبير أخا عبد الله بن الزبير :

(١) إنَّما مُصْعَبٌ شِـــهابٌ مِن اللَّه * تَجَلَّت عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
(٢) مُلْكُهُ مُـــلْكُ قُـــوةٍ لَيْس فِيـــهِ * جَبَروتٌ وَلا بِـــهِ كِبرياءُ
(٣) يَتَّقي اللَهَ في الأُمور وَقد أفـــ * ـلَحَ مَن كانَ هَمَّهُ الاتِّقاءُ

المعنى :

(١) إن مثل مصعب مثل الشهاب الذي يشق الفضاء فيضئ ظلمات الليل ، وفي وجه مصعب نور مثل ذلك الشهاب .
(٢) إن ملك مصعب ملك قوة الحق والعدل ، وليس مثل ملك بني أمية القائم على الجبروت والكبرياء ، وإذلال الناس .
(٣) مصعب تقي ورع في أموره كلها ، ومن كان تقياً فهو مفلح في أموره كلها ، وكذلك كان مصعب .

ذكروا إن عبيد الله بن قيس الرقيات تحول بعد ذهاب خلافة ابن الزبير ، إلي الأمويين ، فمدح عبد الملك بن مروان قائلاً :

يعتدِل التاجُ فوق مَفْرِقِه * على جَبينٍ كأنَّهُ الذهبُ

فغضب عبد الملك ونهره قائلاً : أتقول عن مصعب إن وجهه كأنه شهاب من الله ، وتصفني بما توصف به ملوك العجم ؟ وطرده وحرمه عطاءه .

(ج) شعر حزب الخوارج :

الخوارج هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب عندما قبل التحكيم في الحرب التي بينه وبين معاوية ، وصاروا حرباً عليه وعلى معاوية .

لقد تميز الخوارج بالشجاعة المفرطة ، والتمسك الشديد بالدين ، تمسكاً أخرجهم من الإسلام ، وكانوا صادقين في شعرهم . قال أحد شعرائهم واسمه فروة ابن نوفل :

(١) نُقاتِلُ مَن يُقاتِلُنا ونَرضى * بِحُكــمِ اللّهِ لا حُكــمِ الرجالِ
(٢) وَفــارَقنا أبا حَسَنٍ عَلِيّاً * فَمَا مِنْ رَجْعَةٍ أُخرَى الليــالي
(٣) فَحَكَّمَ في كِتابِ اللّهِ عَمراً * وَذاكَ الأشعَرِيَّ أخا الضَلالِ

اللغة :

الكلمة	معناهـــا
أخرى الليالي	أبدا إلى آخر الزمن .
عمرا	هو عمرو بن العاص ، كان مستشاراً لمعاوية .
الأشعري	هو أبو موسى الأشعري .

المعنى :

(١) إننا نقاتل من يقاتلنا ، وإذا احتكمنا إلى كتاب الله رضينا بحكمه أما أن نحتكم إلى البشر فلا .
(٢) لذلك رفضنا أن نحكم الرجال في ديننا ، وبسبب تحكيم الرجال فارقنا علياً فراقاً ماله رجعة .
(٣) لقد حكموا فينا شخصين كلاهما ضال ، هما عمرو بن العاص ، وأبو موسي الأشعري .

(د) شعر الحزب الشيعي :

يعد شعراء الشيعة من أصدق الشعراء قولاً ، لأن شعرهم ينبعث عن عقيدة صادقة لآل البيت رضي الله عنهم ، ويرون أن الخلافة حق للإمام عليّ وأبنائه من بعده بنص القرآن والحديث . وسنجد في النصوص نموذجاً من الشعر الشيعي .

(٢) الغزل :

اشتهر من الغزل في هذا العصر نوعان : الغزل الفاحش الذي لا يتعفف عن وصف محاسن المرأة ومفاتنها الجسدية ، ويفصل القول في ذلك تفصيلاً فاضحاً وزعيم هذا النوع عمر بن أبي ربيعة الذي قصر شعره كله على المرأة .

والنوع الثاني ، الغزل العفيف وهو الغزل الذي يقوم على العفة ، والبعد عن الشهوات واللذات المادية ، وقد سمي هذا النوع بـــ (الغزل العذري) نسبة إلى قبيلة عربية حجازية تسمى بني عذرة لأن شعراءهم كانوا يتغزلون غزلاً عفيفاً لا فحش فيه . ومن أشهر شعراء هذا النوع جميل بن معمر الذي يلقب بـــ (جميل بثينة) وبثينة هذه هي محبوبته ، إذ المعروف عن الشعراء العذريين أنهم كانوا يحبون محبوبة واحدة ، وليسوا مثل شعراء الغزل الفاحش الذين كانوا يتنقلون بين النساء .

(٥ – ١ – ٢) النثر :

ازدهر النثر في هذا العصر ، وتعددت أنواعه فكانت الخطابة أشهر أنواعه وأشيعها ، ثم ظهرت الرسائل الطويلة التي برع فيها بعض الكتاب .

وسنكتفي هنا بهذين النوعين لأنهما يدلان على ما بلغه النثر في هذا العصر .

أولاً الخطابة :

كان لنشاط الأحزاب السياسية والفرق الدينية أثر كبير في تطور الخطابة وتعدد ألوانها . اتسمت الخطابة بسمات واضحة أهمها :

(١) أصبح الخطباء يهتمون بصياغة خطبهم وإعدادها قبل إلقائها ، لذلك كانوا يكرهون الارتجال لأنه لا يترك للخطيب مجالاً ينتقي فيه كلماته وجمله وصياغتها .

(٢) اهتم الخطباء ببداية خطبهم وبختامها ، لأن في ابتدائها اجتذاب الأسماع والإصغاء إلى الخطيب ، وفي ختامها ما يوحي بأن الخطيب قد أبلغ ما يريد إبلاغه للسامعين من أفكار .

(٣) اهتم الخطباء ببعض الزخارف اللفظية مثل السجع والمقابلة والطباق لأنها تؤدي إلى التناسق الموسيقي الذي يؤثر في السامعين ، لكن كان استعمال هذه الزخارف معتدلاً دون إسراف أو مبالغة .

(٤) استخدام الألوان البلاغية مثل : الاستعارات والتشبيهات والكنايات .

(٥) الاهتمام البالغ بطريقة الإلقاء ، فقد كانوا يعنون عناية خاصة بمخارج الأصوات متأثرين في ذلك بأداء القرآن الكريم .

أنواع الخطابة :

تنوعت الخطابة فشملت الخطابة الدينية والخطابة السياسية

(١) الخطب الدينية :

من الخطب الدينية :

(أ) خطب الجمعة والعيدين ، وهي تقوم على الوعظ وتقديم النصح للمسلمين .

(ب) خطب القصّاص : القصّاص جماعة من الوعّاظ كانوا يقفون بعد الصلاة يقصون على المصلين قصص الأنبياء أو الصالحين يستخرجون منها العظة والعبرة . وكانت قصصهم تجذب الناس وتمتعهم لما فيها من براعة الأسلوب وطريقة العرض .

(ج) المناظرات الدينية : كانت الفرق الدينية تستخدم المناظرة في بث دعوتها ، وهدم دعوات المخالفين ، وتقوم المناظرات على الجدال والحجج والأدلة والبراهين ، واستخدم الخوارج والمعتزلة هذا اللون من الخطابة في تأييد مذهبهم .

نموذج من الخطب الدينية :

خطب عمر بن عبد العزيز خطبة عيد ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله الكريم ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله ثم قال : " أيَّها الناسُ ! إني وجدت هذا القلبَ لا يعبِّر عنه إلا اللسانُ ، ولعَمْري لودَدْتُ أنه ليس من الناس عبدٌ ابتلي بسعة إلا نظر قطيعاً من ماله ، فجعله في الفقرَاء والمساكين واليتامى والأرامل وبدأتُ أنا بنفسي وأهل بيتي ، ثم كان الناسُ بعدُ " .

اللغة :

الكلمة	معناهـــا
لعمري	قسماً بعمري .
ابتلي	امتحن .
السعة	الغنى .
قطيعاً	جزءاً من ماله .
الأرامل	جمع أرملة وهي المرأة التي مات زوجها .

المعنى :

(١) بدأ الخطبة بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم وتلاوة شيء من القرآن وهذا الافتتاح هو الذي ميز الخطب الإسلامية عن الخطب الجاهلية .
(٢) دعا الناس إلى التصدق على الفقراء رجالاً ونساء ، وفي هذا التصدق تكافل اجتماعي .
(٣) ذكر أنه بدأ بنفسه ليقدم قدوة صالحة يحتذي حذوها غيره .
(٤) تمتاز الخطبة بالسهولة والإيجاز .

نموذج من الخطب السياسية :

خطب معاوية في المدينة المنورة داعياً إلى بيعة يزيد ابنه خليفة للمسلمين من بعده .

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم ذكر فضل يزيد وقراءته للقرآن ثم قال : " يأهل المدينة ، لقد هممتُ ببيعةِ يزيدَ ، وما تركتُ قريةً ولا مَدرَة إلا بعثتَ إليها ببيعته فبايع الناس جميعاً وسلموا ، وأخرت المدينة بيعته ، وقلت : بَيْضته وأصله ، ومن لا أخافهم عليه ، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدرَ أن يصله ، ووالله لو علمتُ مكانَ أحدٍ هو خيرٌ للمسلمين من يزيدَ لبايعت له " .

اللغة :

الكلمة	معناهـــا
المدرة	المدينة التي بيوتها من الحجارة واللبن .
بيضته	أهله وعشيرته .

المعنى :

(١) إن معاوية يعرف أن أهل المدينة ، وكلهم من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ، يعرف أنهم لا يريدون يزيد لما فيه من أخلاق لا يصلح معها لخلافة المسلمين ، فبدأ خطبته مؤكداً لهم أن المسلمين في كل مكان قد بايعوا يزيد ، قال ذلك ليوهمهم أن الإجماع منعقد عليه .
(٢) أراد استمالة أهل المدينة إلى جانبه فخاطبهم برفق وذكر أنه أخر دعوتهم للبيعة لأنهم أهل يزيد وقومه وعشيرته ، وذكر لهم فضائل يزيد فهو قارئ للقرآن ، قاصداً بذلك نفى ما يشاع عن فسق يزيد وفجوره .
(٣) ثم أكد لهم أن يزيد خير للمسلمين من غيره ، ولا شك أن معاوية يعرف أن في المسلمين من هـــو خير مـــن يزيد، وهو الحسن بن علـــي بن

أبي طالب وأخوه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهما من صالحي الصحابة والتابعين .

(٤) إن معاوية بمبايعة يزيد حوّل الخلافة الإسلامية لأول مرة عن نهجها الإسلامي ، وجعلها مُلكاً وراثياً يورثه الخليفة لأبنائه من بعده .

(٥) تميزت الخطبة باستعمال بعض الأساليب البيانية مثل : المجاز المرسل في قرية ومدرة ، وهو يريد بهما سكانهما . ومثل : الكناية في بيضته .

وهناك نموذج آخر من الخطابة السياسية للحجاج بن يوسف تجده في قسم النصوص .

(٥ – ١ – ٣) الرسائل :

ظهرت في هذا العصر ، لأول مرة الرسائل الأدبية المطولة التي تستغرق عدة صفحات ، وقد اشتهر بهذا النوع من الرسائل ، كتاب معروفون ، بدءا بسالم ابن هشام كاتب ديوان هشام بن عبد الملك بن مروان ، وانتهاءً بعبد الحميد بن يحي الكاتب الذي يعد أبلغ كتاب العصر الأموي .

ومن مميزات رسائل عبد الحميد أنه أول من استخدم التحميدات في الرسائل ولما كان عبد الحميد فارسي الأصل ، ويجيد اللغة الفارسية فقد حاكى كتاب الفرس في رسائلهم الأدبية .

ومن أشهر رسائل عبد الحميد التي وجهها إلي زملائه في مهنة الكتابة وهي التي تسمى (رسالة الصحابة) أي أصحابه في مهنة الكتابة .

نموذج من رسالة عبد الحميد :

(نافسوا معشرَ الكتاب في صنوف العلم والأدب ، وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فإنها ثقافة ألسنتكم وأجيدوا الخط ، فإنه حلية كتبكم ، واروُوا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيَها وأيامَ العرب والعجم وأحاديثها وسيرَها ، فإن ذلك معينٌ لكم على ما تسمون إليه بهممكم) .

إن عبد الحميد يوصي زملاءه الكتاب بعدة وصايا كلها تتعلق بصناعة الكتابة الفنية .

فهو يوصيهم بحفظ القرآن ومعرفة الكلمات الصعبة المعنى ، ويطلب إليهم أن يعرفوا الفقه والميراث ، وأن يحفظوا كثيراً من الأشعار ، وتاريخ الحروب الجاهلية وما قيل فيها من شعر وأن يجيدوا الخط لأنه يجمل الرسائل . وله غير هذه الرسالة رسالة أخرى مثلها في الطول والبلاغة .

(٥ – ٢) الفرزدق يدعو ذئباً للعشاء

(١) وَأطلَسَ عَسّالٍ وَما كانَ صاحِبــاً * دَعَوتُ بِناري موهِناً فأتاني
(٢) فَلَمَّا أتَى قُلْتُ : ادْنُ دونــكَ إنَّني * وإيَّاك في زَادِي لَمُشْتَرَكانِ
(٣) فَبِتُّ أُسَوّي الــــزادَ بَيني وبَينَــهُ * عَلى ضَوءِ نارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ
(٤) فَقُلْتُ لَــــــهُ لَــمَّا تكَشّرَ ضــاحِكاً * وقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمكَانِ
(٥) تَعَشَّ فَــــإنْ واثَقتَني لا تَخــونَني * نَكُن مِثلَ مَن يا ذِئبُ يَصطَحِبانِ
(٦) وَأنتَ اِمــرُؤٌ يا ذِئبُ وَالغَدرُ كُنتُما * أُخَيَّينِ كانا أُرضِعا بِلِبانِ
(٧) وَلَو غَيرَنا نَبَّهْتَ تَلتَمِسُ القِــــرى * أتاكَ بِسَهمٍ أو شَبَاةِ سِنانِ
(٨) وَكُلُّ رَفِيقي كُلِّ رَحلٍ وَإن هُمــــا * تَعاطى القَنا قوماهُما أخَوانِ

(٥ – ٢ – ١) الشاعر :

همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، كنيته أبو فراس ولقبه الفرزدق . في الطبقة الأولى من شعراء العصر الأموي ، كان ثالث ثلاثة دوّت شهرتهم في العصر الأموي . والآخران هما جرير والأخطل .

يتميز شعره بالقوة والجزالة حتى قال بعض النقاد القدامى لولا الفرزدق لضاع ثلث اللغة . توفي ١١٠هـ .

(٥ – ٢ – ٢) اللغة :

الأطلس : الذئب الأغبر .
العسال : الذي يضطرب في مشيه يمنة ويسرة . وكذلك سير الذئب .
موهناً : ليلاً .
أسوي : أقسم الزاد بالسوية .
الشباة : الطرف .
السنان : حديدة الرمح .

(٥ – ٢ – ٣) الشرح :

(١) رب ذئب أغبر يضطرب في مشيه ولم يكن أهلاً للمصاحبة ، رآني أوقد ناري ليلاً فجاءني .
(٢) فلما دنا مني قلت له تقدم أمامك لتشاركني زادي .
(٣) وبدأت أقسم هذا الزاد بيني وبينه تحت ضوء النار مرة وعتمة الدخان مرة أخرى .

(٤) وقلت له عندما كشر عن أنيابه كمن يضحك وعاودته طبيعة الغدر ومقبض سيفي في يدي .
(٥) تعشّ فإن أعطيت عهداً وميثاقاً ألا تخونني سنتآخى ونكون مثل صاحبين متصافيين .
(٦) وأنت أيها الذئب مثال للغدر ، والغدر طبيعة فيك فأنت – والغدر أخوان رضعا من ثدي واحد .
(٧) ولو أنك اتجهت إلى غيري تلتمس منه زاداً لكان نصيبك منه سهماً يرسله إليك أو طعنة بسنان رمحه تمزق جسمك .
(٨) إن كل شخصين تجمع بينهما الأسفار يعتبران أخوين حتى وإن كان أهلهما متنافرين متحاربين .

(٥ – ٢ – ٤) التعليق والتذوق :

يحكي الفرزدق قصة ذئب صادفه أثناء سيره ليلاً وجرى الحوار من طرف واحد حيث كان الشاعر يتحدث إلى الذئب مستشعراً ، مما يبدو عليه من رغبة في الطعام . وواضعاً نصب عينيه طبيعة الغدر التي خلق عليها الذئاب ، وخاصة عندما تكشر عن أنيابها . ولذلك أخذ بمقبض سيفه تحسباً لما يبدو منه من غدر وخيانة ثم طلب منه المواثقة وعدم الخيانة ، وأوضح له أنه عندئذ سيجد منه معاملة لا يجدها عند غيره . وأنه لو التمس ما طلبه منه عند غيره فلن يجد إلا سهماً ينفذ في أحشائه أو رمحاً يستقر في بدنه .

وأخيراً ذكر له دليلاً على حسن المعاشرة ، أن كل رفيقين جمع بينهما طول الترحال يصبحان أخوين ، حتى وإن كانت بينهما الترات والحروب .

خلع الشاعر على هذا الذئب صفة الإنسان ومن ثم بدأ في الحوار معه ولا تكاد تجد شيئاً من الخيال في هذا الحوار الذي جرى من طرف واحد سوى بعض الاستعارات مثل – تكشر ضاحكاً – .. وفي نداء الذئب يا ذئب والتشبيه في كنتما أخيَّين – والتشبيه البليغ في وأنت امرؤ ، وبعض الصور البلاغية الأخرى .

وما عدا ذلك فالقصيدة عبارة عن حكاية جرى فيها الحوار مع الذئب في دنيا الواقع ، ونجد أن ألفاظها تناسب موضوعها تماما مثل : أطلس ، عسال ، تكشر شباة .

(٥ – ٢ – ٥) أسئلة للمناقشة :

(١) ماذا يعنى بقوله وما كان صاحباً ؟
(٢) بماذا يمكن أن يوصف به الشاعر من خلال البيتين الثاني والثالث ؟

(٣) ما الصفة الغالبة على الذئب ؟
(٤) وكيف أراد الشاعر أن يواجه هذه الصفة ؟
(٥) متى التقى الشاعر بالذئب ؟
(٦) كيف يقابل الآخرون الذئب إذا التمس عندهم الطعام ؟
(٧) ما العلاقة الاجتماعية التي تنشأ من خلال السفر بين الأفراد ؟

(٥ – ٣) جرير يمدح عبد الملك بن مروان

جرير بن عطية

(١) أتَصحو بَل فُؤادُكَ غَيرُ صاحِ * عَشِيَّةَ هَمَّ صَحبُكَ بِالرَواحِ
(٢) تَقولُ العاذِلاتُ : عَلاكَ شَيبٌ * أهَذا الشَيبُ يَمنَعُني مِراحي؟
(٣) تَعَزَّت أُمُّ حَزرَةَ ثُمَّ قالَت * رَأيتُ المُوردينَ ذَوي لَقاحِ
(٤) تُعَلِّلُ وَهيَ ساغِبَةٌ بَنيها * بِأنفاسٍ مِنَ الشَبِمِ القَراحِ
(٥) سَأمتاحُ البُحورَ فَجَنِّبيني * أذاةَ اللَومِ وَانتَظِري اِمتِياحي
(٦) ثِقي بِاللهِ لَيسَ لَهُ شَريكٌ * وَمِن عِندِ الخَليفَةِ بِالنَجاحِ
(٧) أغِثني يا فَداكَ أبي وَأُمّي * بِسَيبٍ مِنكَ إنَّكَ ذو اِرتِياحِ
(٨) سَأشكُرُ أن رَدَدتَ عَلَيَّ ريشي * وَأثبَتَّ القَوادِمَ في جَناحي
(٩) أَلستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا * وَأندى العالَمينَ بُطونَ راحِ

(٥ – ٣ – ١) الشاعر :

جرير بن عطية بن الخطفي أشهر ثلاثة ، ملؤوا أسماع الدنيا ونبغوا بعد شعراء الجاهلية في عصر بني أمية . تميز شعره بحسن الديباجة وفصاحة المعنى ، وجودة السبك ، توفي عام ١١١هـ .

(٥ – ٣ – ٢) اللغة :

الرواح : السير والظعن .
العاذلات : اللائمات .
مراحي : لهوي وغزلي .
تعزت : تصبّرت .
أم حزرة : زوجته .
الموردين : أصحاب الإبل يوردونها الماء .
لقاح : مفرد " لقحة " الناقة الحلوب .
ساغبة : جائعة .
الشبم : الماء البارد .
القراح : الخالص .
أمتاح : أستقي .

ارتياح : نشاط للكرم .
السيب : العطاء .
القوادم : الريشتان اللتان في مقدم جناح الطائر .

(٥ – ٣ – ٣) الشرح :

(١) أتصحو من غفلتك وتترك الباطل ، أم أن قلبك مشغول وغافل وذلك عندما همّ أصحابك بالذهاب عشية .
(٢) تقول اللائمات إنك قد كبرت عن ممارسة الحب وعلا رأسك الشيب . ولكن هل كبر السن يمنع من حياة الشباب ، بما فيها من اختيال وتبختر ولهو وغزل ؟
(٣) تعزت أم حزرة وتصبرت ثم قالت إن من يريدون يجدون العطاء الوفير .
(٤) وها هي تلهى أبناءها وهي جائعة بقليل من الماء البارد الصافي .
(٥) وإنني سأستقي لك الماء من البحور ، وهم أهل الكرم فدعيني من لومك وترقبي العطاء الذي سآتي به .
(٦) وثقي بأن الله واحد لا شريك له وثقي بأنني سأنجح في مهمتي عن الخليفة .
(٧) أغثني – وأفديك بأبي وأمي – بعطاء وافر فإنك ترتاح للكرم والعطاء .
(٨) وسأشكر إن رددت علي ريشي وجعلت القوادم تنبت في جناحي .
(٩) ألستم يا بني أمية أفضل من ركب الإبل وأكثر العالمين كرماً وفضلاً ؟

(٥ – ٣ – ٤) التعليق والتذوق :

هذه القصيدة من قصائد المديح بل إنها حقيقة قصيدة في الاستجداء مغلفة بالمدح .

بدأها الشاعر بالغزل على عادة الشعراء . فذكر غفلة قلبه عندما همّ أصحابه بالرواح لديار الأحبة . وأعقب ذلك بما أنكر عليه من ممارسة الهوى لكبر سنه ؛ ويرد مستنكراً أن الشيب لن يمنعه .

ثم ينفذ إلى غرضه مباشرة ويذكر أن زوجه قد تصبرت على حالة الفقر التي يعيشونها وتطلب منه أن يسعى إلى العطاء مع من يطلبونه وهم يعودون بالشيء الكثير .

وفي عبارة مؤثرة يريد أن يصل بها إلى قلب الخليفة ويستميله بذكر حالة زوجه مع أولاده ، حيث تعللهم مع حالة الجوع التي تعيشها – بالماء البارد

الصافي . ولكنه يطلب منها أن تكف عنه لومها ، لأنه سيرد البحور لا بحراً واحداً فلتنتظر ما يعود به إليها ويوجهها لأن تثق بالله وحده .

ويثق بنجاح مهمته عند الخليفة ثم يستعين بالخليفة ويفتديه بأبيه وأمه ويصفه بأنه كريم يرتاح للعطاء وأنه سيشكره إن أزال عنه بؤس عيشه وإن أعطاه ما يقيم به حياته . ثم ينهي مدحته بهذا البيت الذي قيل إنه أحسن بيت في المديح حيث جعله أفضل الناس وأكثر الناس أريحية وكرماً .

ويلاحظ أن القصيدة حفلت ببعض الصور البلاغية حيث نجد الاستفهام الإنكاري في قوله : " أتصحو " ، والاستفهام التقريري في قوله : " ألستم خير من ركب المطايا " ، والاستعارة في قوله : " رأيت الموردين " . حيث شبه من يطلبون العطاء بمن يردون الماء . وفي تشبيه الممدوح بالبحر وجعله بحوراً مبالغة في وصفه بالكرم . وفي قوله : " سأشكر إن رددت عليّ ريشي " ، حيث شبه عطاء الخليفة بالريش الذي ينبت علي الطائر فيمكنه من التحليق والطيران .

والكنايات في قوله : "علاك شيب " كناية عن كبر السن ، وقوله : " ألستم خير من ركب المطايا " كناية عن أنهم أفضل الناس وأكرم الناس .

ونلاحظ كذلك أن معاني هذه القصيدة تدور حول التودد للممدوح لنيل عطائه ، وذلك أمر مطروق عند الكثيرين من الشعراء ، ولكن جريراً قد أكسبه ثوباً من الصياغة الجميلة مما جعله يبدو جديداً .

وإن كان قوله : " سأشكر إن رددت علي ريشي " يبدو معني متواضعاً يجافي المعاني الأخرى ، إذ يمكن تغييره بأنني سأشكر إن فعلت لي ذلك ولن أشكر إن لم تفعل وهذا خطاب لا يليق أن يوجه لمن يطلب منه العطاء .

(٥ – ٤) خيـر بنـي حـواء

الكميت بن زيد الأسدى

(١) طرِبْتُ وما شَوْقاً إلى البيضِ أطْرَبُ* ولا لعِباً منِّي وذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟
(٢) ولَمْ يُلْهِنِي دارٌ ولا رَسْمُ منْزِلٍ* ولمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنانٌ مُخَضَّبُ
(٣) ولكنْ إلى أهْلِ الفَضائِلِ والنُّهَى* وخَيْرِ بَنِي حوَّاء، والخَيْرُ يُطْلَبُ
(٤) إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بحُبِّهِمْ* إلى اللّهِ فِيما نالَنِي أتَقَرَّبُ
(٥) بَنِي هاشِمٍ رَهْطِ النَّبيِّ وأهْـلِهِ* بهِمْ ولهُمْ أرْضَى مِراراً وأغْضَبُ
(٦) خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحَيْ مَوَدَّةٍ* إلى كَنَفٍ عِطْفاهُ أهْلٌ ومَرْحَبُ
(٧) فما لِيَ إلاَّ آلَ أحمدَ شِيعَةٌ* وما لِيَ إلاَّ مَذْهَبَ الحَقِّ مَذْهبُ
(٨) وَمَن غَيرَهُم أرضَى لِنَفسِيَ شِيعَةً* وَمَنْ بَعدَهُم لا مَن أجِلُّ وأرْجَبُ
(٩) إليكمْ ذوي آلِ النَّبيِّ تَطَلَّعَتْ* نَوازِعُ مِن قلْبي ظِماءُ وأَلْبُبُ
(١٠) فإنِّي عَن الأمر الذي تكرَهُونَهُ* بقَولي وفِعلِي ما استَطَعتُ لأجنَبُ

(٥ – ٤ – ١) الشاعر :

الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، فقيه من فقهاء الشيعة وأكبر شعرائهم . خصّ الهاشميين بقصائد رائعة طويلة أسبغ عليهم من المدح ما هم أهله . وقصائده في آل هاشم تسمى الهاشميات . توفي ١٢٦هـ في أخريات العصر الأموي .

(٥ – ٤ – ٢) اللغة :

البيض : الفتيات النقيات الألوان .
النفر البيض : هم بنو هاشم ، أنقياء من العيوب .
مذهب الحق : طريقه .
أرجب : أتهيب .
نوازع : حنت إليكم .
ألبب : عقول .
أجنب : أجتنب .

(٥ – ٤ – ٣) الشرح :

(١) لقد استخفني الطرب . وليس طربي شوقاً إلى النساء البيض الجميلات وليس نزوعاً وميلاً إلى اللهو واللعب ، رغم أن ذلك وحده لا يكون مستغرباً فذوو الشيب قد يميلون إليه .

(٢) ولم تلهني دار ولا رسوم وآثار المنازل لأقف عندها وأناجيها ولم يستهوني بنان حسن ومخضب بالحناء .
(٣) ولكن طربي وهواي إلى أهل الفضائل والعقول والحكم ، خير الناس حسباً وأرقهم نسباً . والخير دائماً مطلوب ومرغوب .
(٤) إلى أولئك الأشراف الذين أتقرب إلى الله بحبهم ومما نالني في سبيلهم من أذى .
(٥) إنهم بنو هاشم آل النبي صلى الله عليه وسلم ورهطه ، إنني أرضى بهم وأغضب لهم مراراً وتكراراً . فحياتي وقف عليهم يسرني ما يسرهم ويسوءني ما يسوءهم .
(٦) لقد بسطت جناحَي لهم حباً ومودة . واكتنفتهم رعاية وحفظاً .
(٧) فليس لي شيعة إلا آل النبي ﷺ وليس لي طريق ومذهب إلا طريق ومذهبه الحق .
(٨) وليس هناك من أرضاه غيرهم شيعة لنفسي ، وليس هناك أحد غيرهم أجله وأعظمه ، وأتهيبه .
(٩) وإليكم يا آل النبي ﷺ تطلعت أشواقي وحنيني ، من قلب ظامئ للقياكم وعقل لا يؤمن بغيركم سادة .
(١٠) وإنني أتجنب – قدر استطاعتي – كل ما تكرهونه من القول أو الفعل .

(٥ – ٤ – ٤) التعليق والتذوق :

نلاحظ أن الشاعر بدأ قصيدته مشوقاً للموضوع الذي يود الحديث عنه والسؤال الضمني وهو : (لماذا – إذن – طربت) يؤكد معنى التشويق الذي قصد إليه وأراده .

ويؤكد التشويق أيضاً أنه لم يجب عن السؤال مرة واحدة ، وإنما تدرج في الإجابة إمعاناً في التشويق ، إلى أهل الفضائل والنهى – إلى النفر البيض – بني هاشم . وساق عبارة والخير يطلب ، تعليلاً لحبه وطربه في استشعار لسؤال : لماذا تحبهم ؟ وتأتي العبارة – إلى النفر البيض – كناية عن شرفهم وتقواهم . والوصف بالبياض يعني الشرف عند العرب ، مثل قول : أبي طالب يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

وَأبيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بوَجهِهِ ✱ ثِمالُ اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ

وقول حسان بن ثابت في مدحه لآل غسان :

بيضُ الوُجوهِ كَريمَةٌ أحسابُهُم ✱ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطِرازِ الأوَّلِ

وكلمة (مراراً) تأتي تعبيراً عن تواصل رضاه عنهم ، وحبه لهم ، ويتضح تأثير ألفاظ القرآن واضحاً في قوله : " خفضت لهما مني جناحي مودة " ، وهي مستمدة من قوله تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ .

(٥ – ٤ – ٥) أسئلة للمناقشة :

(١) أهل الفضائل والنهى – خير بني حواء – النفر البيض ؛ ثلاث صفات أطلقها الشاعر على بني هاشم فأيها أكثر تعبيراً عن فضل آل البيت ؟
(٢) أي اللفظين أكثر أداء للمعنى : لم يطربني – لم يطربني ؟
(٣) ما معنى الاستفهام في قوله : (ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعة) ؟
(٤) الشاعر يمدح آل النبي ولكنه قال : (إليكم ذوي آل النبي) فهل ترى مناسبة لكلمة ذوي ؟ وبماذا يكتمل المعنى أبها أم بغيرها ؟
(٥) ما الصور البلاغية في قوله : ولم يلهني دار . ولم يطربني – تطلعت نوازع من قلبي .
(٦) استخدم الشاعر كلمة " النفر " بدلاً من كلمة " القوم " ، واستعمل دلالته كذلك رهط فما قيمة هاتين الكلمتين دون غيرهما ؟

(٥ – ٥) علمت نفسي مكان دوائيا
من الغزل العفيف

قال قيس بن الملوح العامري

(١) ألا يا حَمامَي بَطنِ وَدَّانَ هِجتُما* عَلَيَّ الهَوى لَمّا تَغَنَّيتُما لِيا
(٢) فَأبكَيتُماني وَسطَ أهْلِي وَلَم أكُن* أُبالي دُموعَ العَينِ لَو كُنتُ خالِيا
(٣) ألا أيُّها الركبُ اليمانون عرِّجوا* عَلَينا فَقَدْ أَضْحَـــى هَــوَايَ يَمَانِيا
(٤) نُسائِلُكُم هَل سالَ نَعمانُ بَعدَنا* وَحُبَّ إلَينا بَطنُ نَعمانَ وادِيا
(٥) أعِدَّ اللَيالي لَيلَةً بَعدَ لَيلَةً* وَقَد عِشتُ دَهراً لا أُعِدَّ اللَيالِيا
(٦) تَمُرُّ اللَيالي وَالشُهورُ وَتَنْقَضِي* وَحُبُّكِ مَا يَزدادُ إلّا تَمادِيا
(٧) خَليلَيَّ إن دارَت عَلى أُمِّ مالِكٍ* صَروفُ اللَيالي فَابغِيا لِيَ ناعِيا
(٨) خَليلَيَّ لا وَاللَهِ لا أَملِكُ الَّذي* قَضى اللَهُ في لَيلى وَلا ما قَضى لِيا
(٩) قَضاها لِغَيري وَابتَلاني بِحُبِّها* فَهَلّا بِشَيءٍ غَيرَ لَيلى اِبتَلانِيا
(١٠) أمَضروبَةٌ لَيلى عَلى أن أزورَها* وَمُتَّخَذٌ ذَنباً لَها أن تَرانِيا
(١١) وَلَو كانَ واشٍ بِاليَمامَةِ دارُهُ* وَدارِي بِأعلى حَضرَمَوتَ اِهتَدى لِيا
(١٢) وَإنّي لَأخْشَى أنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً* وَفي النَفسِ حاجاتٌ إلَيكِ كَما هِيا
(١٣) وَإنّي لَيُثنيني لِقاؤُكِ كُلَّما* لَقيتُكِ يَوماً أن أَبُثَّكِ ما بِيا
(١٤) وَقالوا بِهِ داءٌ عَياءٌ أصابَه* وَقَد عَلِمَت نَفسي مَكانَ دَوائِيا

(٥ – ٥ – ١) اللغة :

بطن ودّان : مكان .
عرجوا : ميلوا علينا .
نعمان : واد مسمى بهذا الاسم .
صروف الليالي : تقلبات الليالي ومصائبها .
مضروبة : محجوبة أي ضرب عليها الستر .

(٥ – ٥ – ٢) الشاعر :

قيس بن مزاحم العامري ، ويقال له ابن الملوح ، لقب بـــ (مجنون ليلى) ولم يكن مجنوناً ، وإنما لقب بذلك لهيامه بمحبوبته ليلى بنت سعد التي كان يحبها

حباً شديداً ، جعله يهيم على وجهه في الصحراء مع الوحوش ، لأنه حرم من الزواج بها فمات في العراء ، وهو أحد الشعراء العذريين المشهورين في العصر الأموي توفي ٦٨ هـ .

(٥ – ٥ – ٣) الشرح :

(١) يخاطب حمامي بطن ودّان بأنهما قد هيجا عليه الهوى عندما غنيا له .
(٢) وجعلتماني أبكي وسط أهلي وما كنت أبالي بالبكاء عندما أكون منفرداً مختلياً بنفسي .
(٣) ويطلب من الركب الآتي من اليمين أن يعرج عليه فقد أصبح حبه يمانياً .
(٤) ويداوم سؤالهم عن وادي نعمان هل سال بعده وهو محب لهذا الوادي لما يحمله من ذكريات حبه ولقاءات حبيبته .
(٥) وقد أصبحت أعد الليالي شوقاً وقد مضى عليَّ دهر لا أعد فيه الليالي حتى أنعم بلقاء الحبيب .
(٦) وإن الشهور والأيام لتمضي وتنقضي وحبك ثابت في قلبي مشتعل في فؤادي ولا تزيده الليالي إلا تماديا .
(٧) ويطلب من صاحبيه أن يبغيا له ناعياً ينعاه إن دارت الأيام على حبيبته أم مالك لأنه لن يستطيع العيش بعدها .
(٨) ويوضح لهما مقسماً بأنه لا يملك ما قضى الله به في ليلى ولا ما قضى فيه.
(٩) فقد قضى أن تكون لغيره وابتلاه بحبها ، ويتساءل ملحاً في السؤال هلا كان ابتلاؤه بشيء غير ليلى .
(١٠) وقد حرمت زيارته لها لأنها قد حجبت عنه ، وهل هناك من ذنب عليها إذا رأتني .
(١١) وأن الواشين يفسدون دائماً ما بيننا ولو أن أحدهم يعيش في اليمامة وكنت بحضرموت لأهتدي لي مع بعد المسافة بين المكانين .
(١٢) ويخشي أن يأتيه الموت فجأة ولا زال هناك الكثير الذي يريد أن يبثه لها .
(١٣) وأنه كلما لقيها انعقد لسانه فلا يستطيع أن يتحدث إليها بما يريد .
(١٤) وقال الناس عنه : إنه قد أصيب بداء عضال ، وكأنه يعلم مكان شفائه ودوائه.

(٥ – ٥ – ٤) التذوق :

(١) يقول أحد الشعراء :

فما هو إلاّ أنْ أَرَاها فُجاءةً فأبُهْتُ لا عُرْفٌ لدَيّ ولا نُكْر

ويقول قيس :

وَإنّي لَيُثْنيني لِقاؤُكِ كُلَّما لَقيتُكِ يَوماً أن أبُثَّكِ ما بيا

ففيم اشترك الشاعران ؟

وأيهما أكثر إجادة في توضيح المعنى الذي يريده ؟

(٢) ذكر الشاعر في البيت الثاني أنه لم يكن يبالي دموع العين . فلماذا في رأيك نصّ على العين مع أنه ليس هناك دموع لغير العين ؟

(٣) ما قيمة التعبير بقوله نسائلكم ؟

(٤) يلاحظ أن ألفاظ هذه القصيدة سهلة وأسلوبها سلس منساب فبأي شيء يمكن أن تفسر ذلك ؟

(٥) نرى أن هناك أبياتاً تضمنت اليأس من اللقاء – حدد هذه الأبيات وما دافعه لهذا اليأس ؟

(٦) يرى بعض النقاد أن في عبارة " فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا " مجافاة للتسليم بقضاء الله ، ومجافاة للذوق الأدبي أيضاً – فكيف توضح ذلك ؟

(٧) حفلت القصيدة ببعض الصور البيانية مثل : حبك ما يزداد إلا تماديا – إن دارت على أم مالك صروف الليالي – إني ليثنيني لقاؤك – وقد علمت نفسي – فما نوع هذه الصور .

(٨) ماذا تعني عبارة أعد الليالي ليلة بعد ليلة ؟

(٩) ماذا ترى في علاقة كل من الشاعر وليلى بوادي النعمان .

(٥ – ٦) وفي النفس حاجات
من الغزل العفيف

جميل بن معمر *

(١) وَما زِلتُمْ يا بُثَيْنَ حَتّى لوَ اَنَّني* مِنَ الشَّوقِ أستَبكي الحَمامَ بَكى لِيا
(٢) إذا خَدِرَت رجلي وَقيلَ شِفاؤُها* دُعاءُ حَبيبٍ كُنتِ أنتِ دُعائِيا
(٣) وَما زَادَنِي الشَّوقُ المُفَرِّقُ بَينَنا* سُلُوّاً وَلا طولُ اجتِماعٍ تَقالِيا
(٤) وَلا زادَني الواشونَ إلّا صَبابَةً* وَلا كَثرَةُ النَّاهِيْنَ إلّا تَمادِيا
(٥) وَأنتِ الَّتي إنْ شِئتِ كَدَّرْتِ عيشَتي* وَإنْ شِئتِ بَعدَ اللّهِ أنعَمتِ بالِيا
(٦) وَأنتِ الَّتي ما مِن صَديقٍ وَلا عِدىً* يَرى نِضوَ ما أبقَيتِ إلّا رَثى لِيا
(٧) لَقَد خِفتُ أن ألقى المَنِيَّةَ بَغتَةً* وَفي النَفسِ حاجاتٌ إلَيكِ كَما هِيا

(٥ – ٦ – ١) اللغة :

التقالي : الكره والبغض ، يقال : قلاه يقليه إذا كرهه .
التمادي : المداومة على الشيء : يقال : تمادى في حبه : لج ودام عليه .
نضو : نحيف الجسم هزيل ، يقال فلان نضو سفر ، إذا كان مجهداً من السفر .

(٥ – ٦ – ٢) الشرح :

(١) ما زال حبي يا بثينة حتى لو أنني – من شوقي إليكم – أهجت الحمام وطلبت منه البكاء لبكى ليا .
(٢) وإذا أصاب رجلي الخدر وقيل إنها تشفي بدعاء الحبيب لكنت أنت الحبيب الذي أستشفي بدعائه .
(٣) وأن حبي لكم ثابت ولا يحملني بعدكم سلوا عنكم ولا بغضاً لكم .
(٤) ولم يزدني الواشون بيننا إلا شوقاً لكم وتعلقاً بكم . ولم تزدني كثرة الناهين لي عن حبكم إلا تماديا واستمراراً .

---

* الشاعر :
جميل بن عبد الله بن معمر ، اشتهر بـــ (جميل بثينة) لأنه افتتن بها ، شاعر عذري ، رقيق الشعر صادق العاطفة ، توفي بمصر سنة ٨٢ هـ – ٧٠١م .

(٥) وفي يدك أن تكدري عيشي إن شئت ذلك ببعدك عني ، وإن شئت جلبت عليّ النعمة بعد الله بوصلك لي .

(٦) وما من صديق أو عدو يرى حالتي وهزالي ، إلا كنت مدعاة رثاء منه وهذا كله بسببك أنت .

(٧) وأكثر ما أخشاه أن تأتيني منيتي بغتة ولم أستطع أن أبوح لك بكل ما في نفسي.

(٥ – ٦ – ٣) التعليق والتذوق :

نجد أن كلا الشاعرين قيس بن الملوح وجميل استخدم بحراً واحدا هو بحر الطويل . واتفقا أيضاً في روي القصيدة . ثم نرى في المقارنة أن كليهما محب برح به الحب ومغرم أشد الغرام ، وكلاهما محب صادق في حبه ، وكلاهما قد أضناه هذا الحب وبلغ به الغاية في الصبابة والشوق .

والشاعران من أئمة الغزل العذري ، وعاشا في عصر واحد وقد أنتجا روائع في هذا النوع من الغزل ، لأن شعرهما صادر عن تجارب صادقة ليس فيها تكلف أو تقليد ويمكنك أن تقارن بين قول قيس :

(١) ألا يا حَمامَي بَطنِ وَدَّانَ هِجتُما * عَلَيَّ الهَوى لمّـــا تَغَنَّيتُما لِـــيا
فَأبكَيتُماني وَسطَ أهلِي وَلَم أكُن * أُبالي دُموعَ العَينِ لو كُنتُ خالِيا

وقول جميل :

وَما زِلتُمْ يا بُثَيْنَ حَتّى لَوَ انَّني * مِنَ الشَّوقِ أستَبكي الحَمامَ بَكى لِيا

١- لقد اشتركا معاً في بكاء الحمام ولكن أيهما كان أكثر شوقاً من الآخر ؟ ولماذا ؟

٢- وأيهما أجود أداءً وأحسن ألفاظاً ؟

(٢) وانظر إلى قول قيس :

تَمُرُّ اللياليِ وَالشُهورُ وَتَنْقَضِي * وَحُبُّكِ مَا يَزدادُ إلّا تَمادِيا

وقول جميل :

وَما زَادَنِي الشَّوقُ المُفَرِّقُ بَعْدكم * سُلُوّاً وَلا طولُ اِجتِماعٍ تَقالِيا

ما أثر تطاول الزمن علي قيس ؟

١- ما أثر البعد والفراق علي جميل ؟

وأيهما أكثر توفيقاً في إصابة المعنى ؟ ولماذا ؟

(٣) وقد اتفقا في الحديث عن الوشاة

فقال قيس :

وَلَو كانَ واشٍ بِاليَمامَةِ دارُهُ * وَداري بِأعلى حَضرَمَوتَ اِهتَدى لِيا

وقال جميل :

وَلا زادَني الواشونَ إلّا صَبابَةً ✱ وَلا كَثــرَةُ النَّــاهِيْنَ إلّا تَمــادِيا

فكيف كانت نظرة كل منهما إلي الوشاة ؟

(٤) وأخيراً وقعا معاً على معنى واحد وربما كان هذا من توارد الخواطر إذ يقول قيس :

وَإنِّي لأَخْشَى أنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً ✱ وَفي النَفسِ حاجاتٌ إلَيكِ كَما هِيا

ويقول جميل :

لَقَد خِفتُ أن ألقى المَنِيَّةَ بَغتَةً ✱ وَفي النَفسِ حاجاتٌ إلَيكِ كَما هِيا

الغرض عندهما واحد . وبينهما اتفاق تام في الشطر الثاني ولكن أيهما انصع بياناً في الشطر الأول ؟

(٥) على أن بينهما أيضاً وجوهاً في الاختلاف ، حيث انفرد كل منهما بمعنى لم يطرقه الآخر فانفرد قيس :

وَإنّي لَيُثنيني لِقاؤُكِ كُلَّما ✱ لَقيتُكِ يَوماً أن أَبُثَّكِ ما بِيا

وأنفرد جميل بقوله :

أَلَم تَعلَمي يا عَذبَةَ الريقِ أَنَّني ✱ أَظَلُّ إذا لَم أَلقَ وَجهَكِ صادِيا

وقوله :

وَأَنتِ الَّتي ما مِن صَدِيقٍ وَلا عِدىً ✱ يَرى نِضوَ ما أَبقَيتِ إلّا رَثى لِيا

(٦) ولك بعد هذا أن تنظر إلى قول قيس :

خَلِيلَيَّ إن دارَت عَلى أُمِّ مالِكٍ ✱ صَروفُ اللَيالي فَابغِيا لِيَ ناعِيا

وإلى قول جميل :

إذا خَدِرَت رِجلي وَقيلَ شِفاؤُها ✱ دُعاءُ حَبيبٍ كُنتِ أَنتِ دُعائِيا

أ. استخلص أثر محبوبة كل منهما في نفسه .

ب. ومن خلال البيتين وضح أيهما أكثر موافقة للذوق العام .

(٧) وازن بين قول ابن الدمينة

وَقَد زَعَمُوا أَنَّ المُحِبَّ إذا دَنَا ✱ يَمَلُّ وَاَنَّ النَّأى يَشفِي مِنَ الوَجدِ

وبين قول جميل :

وَما زَادَنِي الشَّوقُ المُفَرِّقُ بعدكم ✱ سُلُوّاً وَلا طولُ اِجتِماعٍ تَقالِيا

من حيث الاتفاق والاختلاف بينهما .

(٨) وقال ابن الدمينة أيضاً :

أَلا يا صَبا نَجدٍ مَتَى هِجتَ مِن نَجدِ ✱ لَقَد زَادَنِي مَسرَاكَ وَجداً عَلَى وَجدِي

أَأن هَتَفَت وَرقَاءُ فِي رَونَقِ الضُّحَى ✱ عَلَــى فَنَــنِ غَضِّ النَّباتِ مِنَ الرَّندِ

بَكــيتَ كَمــا يَبكِي الوَليدُ وَلَم تَكُن ✱ جَلِيداً وَاَبــدَيتَ الَّذِى لَــم تَكُن تُبدِى

وقال قيس :

ألا يا حَمامَي بَطنِ وَدَّانَ هِجتُما ✱ عَلَيَّ الهَوَى لَمّــا تَغَنَّيتُما لِــيا
فَأبكَيتُماني وَسطَ أهْلِي وَلَم أكُن ✱ أُبالي دُموعَ العَينِ لَو كُنتُ خالِيا

وقال جميل :

وَما زِلتُمْ يا بُثَيْنَ حَتّى لَوَ اَنَّني ✱ مِنَ الشَّوقِ أستَبكي الحَمامَ بَكى لِيا

أ. وازن بين قول الشعراء الثلاثة من حيث المعنى المشترك بينهم .

ب. لقد أدى ابن الدمينة المعنى في ثلاثة أبيات وأداه قيس في بيتين – وأداه جميل في بيت واحد .
فهل لهذا أثر في الإجادة ؟ وضح .

(٥ – ٧) رسالة تحذير

بلغ الحجاج أن قوماً يقطعون الطريق ، فكتب إليهم :

(من الحجاج بن يوسف :

أما بعد : فإنكم قد استصحبتم الفتنة ، فلا عن حقّ تقاتلون ولا عن منكر تنهون ، وأيم[١] الله إني لأهمُّ أن يكون أولَ ما يرد عليكم من قبلي خيلٌ تنسف الطارف[٢] والتالدَ ، وتخلي النساء أيامَي[٣] والأبناء يتامى ، والديار خرابا والسواد[٤] بياضا ، فأيما رفقة مرت بأهل ماء ، فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير إلى الماء الذي يليه ، تقدمة مني إليكم ، والسعيدُ من وعِظ بغيره والسلام).

(٥ – ٧ – ١) صاحب النص :

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أحد ولاة بني أمية ، الأشداء الطغاة . كان خطيباً بليغاً فصيحاً . وكان سفاكاً للدماء ، باطشاً . حتى أنه لقب بـــ " سيف بني مروان " ولكنه – مع ذلك – كانت له جوانب مشرقة . توفي عام ٩٥ هـ

الشرح :

(٥ – ٧ – ٢) الأفكار العامة :

تضمنت هذه الرسالة عدة أفكار هي :

(١) الأخبار بأنهم قد انغمسوا في الفتنه .

(٢) لا يقاتلون عن حق ولا ينهَون عن منكر .

(٣) التهديد بقتلهم ومحوهم من الأرض .

(٤) إعلامهم بضمان من يمرّ بهم .

(٥) اعتبار هذه الرسالة تحذيراً وليتعظوا بما رأوه على غيرهم .

(٥ – ٧ – ٣) التعليق والتذوق :

الرسالة تعتبر إنذاراً . ومن ثم فإنها تضمنت من الألفاظ ما يناسب معناها – الفتنة – تنسف الطارف والتالد – أيامَي – يتامَى – الديار خرابا .

---

[1] أيم الله : أسلوب من أساليب القسم .

[2] الطارف : الجديد – التالد القديم .

[3] الأيامى من النساء : من لا أزواج لهن .

[4] السواد : الزروع .

وكل الجمل فيها أخبار تتسم بقوة التأثير وهو الغرض الذي رمى إليه الحجاج .

ونجد في القطعة صوراً بلاغية نابعة من إحساسه بعظم الجرم الذي ارتكبه قطاع الطرق وما يجب أن نقابلهم به من عقاب .

والاستعارة في قوله : (استصحبتم الفتنة) توحي بملازمتهم للفتنة ، حتى أضحت لا تنفك عنهم . والمجاز المرسل في قوله : أول ما يرد عليكم خيل لتكون زيادة في التخويف والأخبار بسوء العاقبة . وفي عبارة السعيد من وعظ بغيره إشعار بما أصاب غيرهم منه . وقد استخدم السجع في الرسالة تقاتلون – تنهون – النساء أيامى – والأبناء يتامى ، فالرسالة زاخرة بالقوة والتهديد والوعيد وهو أسلوب التزمه الحجاج في كل خطبه ورسائله مما يناسب طبيعته الدموية القاسية .

(٥ – ٧ – ٤) أسئلة للمناقشة :

(١) يلاحظ أن هذه الرسالة قد بدئت بما يخالف النمط المعتاد للرسائل – فكيف ذلك ؟

(٢) استعمل كلمة (يرد) في قوله أول ما يرد عليكم ولم يستعمل مرادفها (يأتي) فما الفرق بين الكلمتين ؟

(٣) في عبارة (تنسف الطارف والتالد) كناية فعن أيٍّ شيء كني بهما ؟

(٤) ذكر عبارة (وتخلى النساء أيامى والأبناء يتامى) ولم يقل بدلاً عن ذلك الرجال قتلى فأيّ المعنيين يناسب أسلوب التهديد ؟ ولماذا ؟

(٥) ألا ترى أنه كان عليه أن يقول والبياض سواداً . فما المعنى الذي تعكسه عبارة والسواد بياضاً ؟

الباب السادس

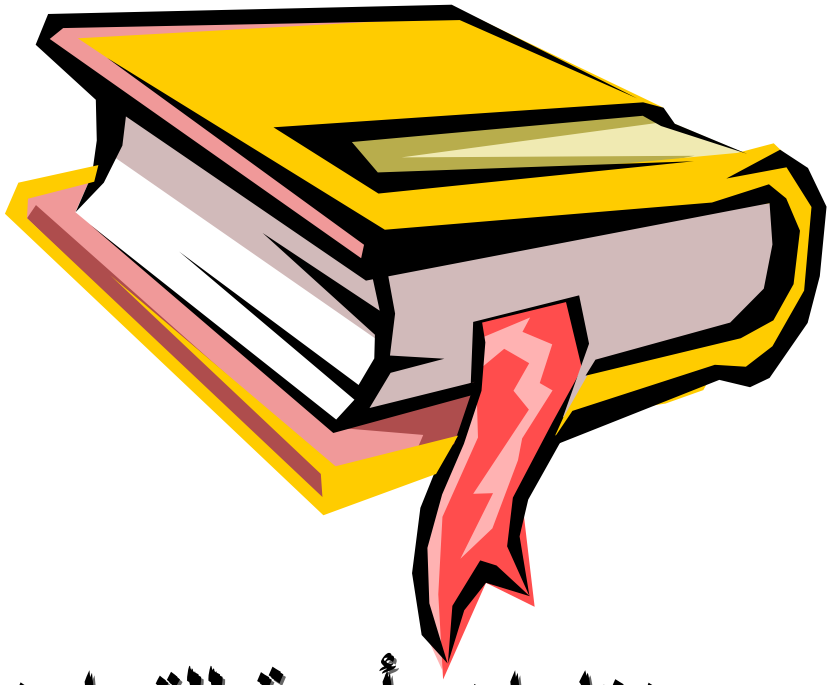

مختارات أدبية للقراءة

(٦ – ١) في الجمال

للشيخ عبد العزيز البشرى*

لا أعرض لتعريف الجمال ، لأنني عاجز عن تعريفه ، وما الحاجة إلى ذلك وهو حاضر في كل نفس ، موصول بكل حس يستشعره الإنسان ، كما يستشعره الحيوان .

والجمال يتجلى في الإنسان ، وفي النبات ، وفي الماء ، وفي كواكب السماء ، وفي الجبل الأشم ، وفي الصخر الأصم ، بل إنه ليتجلى على متن الصحراء الموحشة ما تبض[١] من الماء بقطرة ، ولا تتفرج من النبات عن زهرة فالجمال ماثل في كل خلق من خلق الله لو تفقده المتأملون .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ، وإذا كان القدر قد جرى على أهل الأرض بألوان المشاق والمتاعب ، فقد سوى الله الجمال في كل شيء ، ويسره لكل طالب ، وهيأه لكل حاسة ، حتى إذا حزب[٢] الناس الأمر كان لهم في الجمال خير العزاء ، وكان لهم منه نعم الجزاء .

هذه الشمس تصحو بسحرة[٣] من رقادها ، وتتثاءب وتتمطى ، وتأخذ زينتها لتطلع على الأرض ، وهي لا تتبدى للأفق قبل أن ترسل من أشعتها رسلاً خفافاً يكشفون لها وجه الطريق ، حتى إذا رأوا أن جيوش الظلام تركب مناكبه[٤] وتسد مسالكه ، فتحيروا بينها ولم يجدوا لها مدفعاً – استنجدوها فأنجدتهم من أشعتها برسل ، ويقوم النزال . ويستحرّ القتال ، وكلما قدم من ضوء النهار مدد انقبضت أجنحة الليل ، وكلما أقبلت من جيوش الشمس نجدة انحازت بين يديها جيوش الظلام ، حتى إذا هي شمرت ذيلها وولت ، وكسا أديم الأرض بذلك الضوء اللين الرقيق ، بدأ من الشمس حاجب لعلها تستوثق به من أمن الطريق ، ثم جعلت تتثاقل في مطلعها وتتحنى ، وتتهادى في مشرقها وتتأنى ، والطيور تلاغيها[٥] بترجيعها وشدوها ، والدواب تحييها بوثبها وعدوها ، إلى أن تركب في فلكها ، وتستوي على عرش ملكها ، ولا تزال عامة نهارها تصدر توقيعاتها في حياة هذا العالم ، فيا ضوء ، أنر للخلق سبلهم حتى يستطيعوا أن يسعوا في مناكب الأرض ، ويأكلوا

---

* كاتب مصري تخرج في الأزهر . عمل قاضياً ومراقباً للمجمع اللغوي . توفي عام ١٩٤٣م رحمه الله .

(1) بض الماء : سال قليلاً قليلاً .

(2) حزبه الأمر : أصابه واشتد عليه .

(3) السحرة : ما قبيل ظهور الفجر .

(4) مناكبه : نواحيه .

(5) تلاغيها : لغا الطائر بصوته أي نغم .

رزق الله ، ويا أرض انضجي بذرك ليزكو زرعه ، ويبسق [١] فرعه ، ويطيب للآكلين ثمره وينعه [٢] ويا سحب جودي بالأمطار ، لتخصب الأودية وتحتفل بالعذب السائغ الأنهارُ .

ولا تزال في جهدها ونصبها حتى تعلو بها السن فتترقرق صفرة الأصيل ، في ذلك الخد الأسيل [٣] ويبدل جلال الشيخوخة من رونق الشباب ، وتصرَف نضرة اللجين بالعسجد المذاب ، وماذا تراه يجدي في نضارة السن ، أو يغني عن بضاضة الإهاب ؟ ثم تمشي متثاقلة إلى خدرها ، لتتوارى عن العيون خلف سترها ، وهي تعتمد من شعاعها على عكازة ، كأنها شيخة أجهدها طول السرى في مفازة ، حتى إذا حاذت الأفق ، جعلت تتدلى وراءه رويدا رويداً ، كأنها تتزود ليومها من العالم بآخر نظرة ، أو لتنفث من شعاعها المهزول ما أجنت[٤] ، على الصبا من لوعة وحسرة ، حتى يغشاها الذبول ، ويدركها الأفول ، مخلفة وراءها فلولاً من جيشها الأحمر ، وما تفتأ تجتاحها جيوش الظلام ، وكذلك الأيام دول وسبحان من تفرد بالدوام .

وهذا القمر يبدو لك أول الشهر خيطاً دقيقاً ، ثم يستوي قوساً ، والنجوم تحف به ، وتدلله ، وتسهر عليه في سقمه وتعلله ، ولله در ابن المعتز في قوله :

انظرْ إلى حسنِ هلالٍ بَدا يَهْتِكُ من أنْوَارِهِ الحِنْدسا[٥]
كمنْجَلٍ قد صِيغَ من عَسْجَدٍ يحصُدُ من زَهْرِ الرّبى نَرْجِسَا

وقوله :

انْظُر إليهِ كَزَورَقٍ مِن فِضَّةٍ قد أثقَلَتهُ حُمولةٌ مِن عَنبَرِ

ولا يزال ينمو حتى يستوي بدراً كاملاً ، والنجوم حافة من حوله ، منها ما أثبتته الهيبة ، ومنها ما ألهبه الوجد فهو دائم الاختلاج[٦] ، وكيف لا تحتفل النجوم لابن الشمس وولي عهدها ، وحارس ليلها ، وقائد جندها من بعدها ؟ والقمر رفيق النفس ، رقيق الطبع كريم الجوهر ، حلو الشمائل ، ما حضر إلا أهناً وهدى ، وما غاب إلا أضل وأشقى ، وما تألق إلا كسا الأرض بُرداً من لجين ، إذا أنكرته اليد فهيهات أن تنكره العين .

---

[1] يبسق : يطول .
[2] الينع : ما نضج وطاب من الثمر .
[3] الأسيل : المستوي الأملس الناعم .
[4] أجنت : جعل اللوعة والحزن كالستر للصبا .
[5] الحندس : الظلام .
[6] الاختلاج : التحرك والاضطراب .

وهذا الروض الأريض ، لقد انسرح بابه ، وفرعت فروعه ، وبسقت أغصانه ، وزكت أوراقه ، ورف[١] بوحي النسيم نبته ، وجلجل اصطفاقه ، وأشرقت أنواره ، وتطلعت من أكمامها أزهاره ، فعاجلها الندى ، وانتثر من قطره بين طياتها مثل عيون الدّبى [٢] ، والجداول من دونها تتعطف وتتمايل ، والبلابل علي أفنانها تتشادى وتتزاجل [٣] .

وهكذا فإنك واجد الجمال في الكثير مما جلت الطبيعة وفي كثير مما جالت به يد الإنسان . على أن الناس ليسوا على حظ سواء في الشعور بالجمال ، كما أن مظاهر الجمال المختلفة ليست عند الناس بدرجة سواء . فمن الناس من لا يروعه إلا منظر البحر قد اشتد التجاجة[٤] وتدافقت أمواجه ، ومنهم من لا يبهره إلا الزهر قد اختلفت ألوانه ، ورُصِّعت به بانه ، وسطعت بالعبير أردانه .

ولله در ابن المعتز حين يقول :

وعلى الأرض اخضرارٌ واحمرارٌ واصْفِرَارُ
فكأنَّ الروضَ وَشْيٌ بالغتْ فِيْهِ التُّجَّارُ
نقشةُ آسٍ ونسرين ووردٍ وبهارُ[٥]

ومن الناس من لا تخلبه إلا الموسيقا ، فهي تريه من آي الجمال بأذنه ، ما لا يستطيع أن يشهده بعينه ، وهي تشفه حتى يحسب نفسه صفحة من الماء ، وترقه حتى يَخالها قطعة من الهواء ، وتخففه حتى يحلق في جو السماء ، وما هو إلا أن حلقاً صلصل ، أو وتراً تنغمّ ، ولكنّ نفساً صبت وقلباً تكلم .

وللشعور بالجمال أثر في ترقيق الحس ، وتهذيب النفس ، ورياضتها على العطف والرحمة وحب الخير ، كما أن له أثراً بعيداً في تهذيب المدارك وتعويدها دقة الملاحظة ، وشدة التفطن لما يُعيي[٦] على كثير من الناس .

وإدراك الجمال يمكن أن يكتسب بالتنبيه وترديد الملاحظة ، حتى إذا أومض في نفس الناشيء برقه نبض له عرقه ، فأقبل على التماسه ، فإذا أصابه جعل يتأمله ، ولا يزال هذا دأبه ووكده [٧] حتى تستوي له ملكة إدراك الجمال ، وله منها بعد ذلك ما شاء الله من المتعة ، ومن تهذيب النفس .

---

(1) الرفيف : صوت النبت إذا طاف به النسيم .
(2) الدبَّى : الجراد قبل أن يطير . أو أصغر ما يكون من الجراد والدبى أيضاً : النحل .
(3) تتزاجل : الزجل صوت الحمام ، والمراد تغرد وتغني .
(4) التجاج البحر : اضطرابه .
(5) الآس والنسرين : البهار أنواع من الزهور .
(6) يعيى : يقال أعيا عليه الأمر أي أعجزه فلم يهتد إلى وجهته .
(7) وكده : قصده ومراده .

(٦ – ١ – ١) **الاستيعاب :**

(١) لماذا لم ير الكاتب أن هناك حاجة لتعريف الجمال ؟
(٢) أين تتجلى مظاهر الجمال ؟
(٣) كيف وصف الكاتب الصحراء ؟
(٤) بم شبه الكاتب الشمس ؟
(٥) لم ترسل الشمس رسلاً من أشعتها ؟
(٦) ماذا يحدث عندما تحس الرسل أن جيوش الظلام تسد الأفق ؟
(٧) كيف صور الكاتب الشمس عندما تهزم جيوش الظلام ؟
(٨) ما حال الشمس بعد أن تتأكد من أمن الطريق ؟
(٩) اذكر الأمر الذي توجهه الشمس عندما تستوي علي عرش مملكتها ؟
(١٠) بم شبه الشاعر الهلال في أول مطلعه ؟
(١١) كيف يكون الهلال ابنا للشمس ؟
(١٢) ما أثر الجمال علي النفس ؟
(١٣) كيف يكتسب إدراك الجمال ؟

(٦ – ١ – ٢) **التدريبات اللغوية :**

(١) (هذه الشمس تصحو بسحرة من رقادها وتتثاءب وتتمطى وتأخذ زينتها لتطلع علي الأرض) . وضح في هذه العبارة الصورة التي رسمها الكاتب للشمس ، وماذا نسمي مثل هذه الصورة .
(٢) كيف صور الكاتب النجوم ؟
(٣) ما الصورة البلاغية في قوله : " يحصد من زهر الدجى نرجساً " .
(٤) وهكذا فإنك واجد الجمال في الكثير مما جلت الطبيعة ، وفي الكثير مما جالت به يد الإنسان .
في العبارة السابقة أولاً : أعرب ما تحته خط ، ثانياً : ما الفرق بين قوله جلت الطبيعة ، وجالت به يد الإنسان .
(٥) اذكر مفرد هذه الكلمات من خلال جمل مفيدة :
أشعة ، مناكب ، سحب الشمائل .
(٦) أدخل هذه الكلمات في جمل مفيدة ، تشرح معناها :
السُّرى ، حاذ ، الوجد التفطن .
(٧) ما معني العبارات الآتية :
يستحرّ القتال ، يزكو زرعه ، الأيام دول .

(٦-٢) فـن الحيـاة

للدكتور عبد العزيز القوصي *

هناك أناس قد منحهم الله المال والثراء ، ووهبهم الجاه والسلطان ، ومنّ عليهم بزينتي الحياة الدنيا : المال والبنين ومع هذا فهم لا يحسنون فن الحياة .

وهناك أناس قد وهبهم الله بسطة في العقل ، وخِصباً في التفكير ، ومنحهم السعة في الحياة . ومع هذا فهم لا يجيدون فن الحياة .

فن الحياة لا يرتبط بمال ولا جاه ، ولا سلطان ولا علم ، ولكنه يرتبط بأحاسيس مرهفة ، ونفس صافية كمياه الغدير في هدأة الليل ،شفافة كالنسيم العليل .

كم من رجلٍ فقيرٍ قد جاد عليه الزمان ببلغة[1] من العيش ، يفهم فنّ الحياة أكثر ممن عنده القناطير المقنطرة ، وكم من رجلٍ بسيط ما فكر يوماً بأرسطو ولا أرخميدس يغبطه على حياته أكبر العلماء ! .

الحياة فن ، ما في ذلك شك .

أعرف رجلاً كان يعمل صانع أحذية ، فكان يستيقظ عندما يرتفع صوت المؤذن : الله أكبر ، الله أكبر ، وتأخذ الديكة في الصياح إيذاناً بطلوع الفجر فيوقظ عائلته ويصلي بهم جماعة ، ثم يجلسون على مائدة الإفطار فلا تمتد يد قبل أن يبسمل صاحبها ، وعندما يفرغون ينصرف الأب إلى عمله ، والأولاد إلى مدارسهم ، والأم إلى رعاية بنيها ، وكلهم قد تزودوا بالزادين : زاد الروح ، وزاد المادة . أين هذا من ذاك الرجل الذي نال المال فبطر ، أو من ذاك الذي حُرمه فكفر ؟ يأتيان في مَوهن من الليل ، قد استلب السهر نفسيهما ، فيلقيان بجسديهما المتداعيين على الفراش .

كان لي صديق لطيف المعشر ، خفيف الظل ، لا تفارق البسمة شفتيه ويلبس من غير إسراف ، ويسير من غير خيلاء ولا انكسار . وكنت أدخل بيته فأسمع حديثاً أشبه بالهمس ، وأرى أثاثاً ليس بالرياش ولكنه منسق ، وأرى له مكتبة صغيرة فيها من كل فن ، وتشم رائحة ناعمة من حديقته الصغيرة التي أفتنت العائلة كبيرها وصغيرها في رعايتها . ولا بد لي أن أخبرك أن أولاده قد اكتسبوا طبائع أبيهم وتشربوا فنّ الحياة في البيت ونالوا شهادات جامعية . ولكن ألا تعتقد معي أن الشهادات التي حملوها من بيتهم كانت أثمن ؟

---

* كاتب مصري معاصر ، من كبار قادة التربية والتعليم .

[1] البلغة : ما يكفي لسد الحاجة .

أين هذا من بيت آخر تدخله فتحس أنك في سوق فذاك ولد يحبو ، وآخر يقفز ، وثالث يصرخ ، لأن أخاه قد سطا على مدخراته ، والأم تصيح علي الخادم لأنه كسر صحناً ، والأب ممسك عصاه مهدداً متوعداً ؟ .

وتدخل في إدارة من الإدارات لقضاء مصلحة لك ، فيروعك موظف شامخ العرنين[١] ، يرد عليك متأففا[٢] وينظر إليك وكأنك قذى[٣] في عينيه ، وتدخل على آخر فيهش لك ويبش وكأن بينك وبينه سابق صحبة وقديم مودة ، ويقضي لك حاجتك دون تذمر ، وإذا اقتضت مسألتك التأخير اعتذر لك اعتذار المقصر .

الحياة كالزهرة ، وفنها كعبيرها أو كحبة الطل التي تلمع في حدقتها والحياة كالنسيم ، وفن الحياة كدعابته التي تلامس صفحة الوجه ، وتدخل في أعماق الرئة والحياة كالبحر ، وفنها كالأمواج المتناسقة ، وهي تصل إلى الشاطيء لتهمس في أذنيه همسات ناعمة متناغمة .

الحياة فن ، ما في ذلك شك .....

يروي أحد كتاب العرب أنه قد أخذ اللغة الإنجليزية في الكبر عن مدرس وكان أفضل درسٍ تلقاه ، أن مدرسه قد سأله ذات يوم وقد تهيأ للدرس : ألا ترى شيئاً جديداً فنظر حوله فلم يجد شيئاً . فقال له : ألا تجد في الأزهار التي وضعت على المنضدة جديداً ؟ أين إحساسك بالجمال ؟ .

ولو سأل كل منا نفسه هذا السؤال دائماً لوجد في الحياة شيئاً جديداً جميلاً يستحق أن يمعن النظر فيه ، ولو عرف المرء فن الجمال لفرق بين رؤية الشارع جميلاً نظيفاً ، تحيط به الخضرة إحاطة الجفن بالمقلة ، ورؤيته عارياً يمتليء بالقاذورات والمهملات .

تطلع إلى مرافق حياتنا العربية فستجد كثيراً منها مُزرياً مؤذياً .ادخل مدرسة تر الجدران وقد امتلأت بكتابات لا أول لها ولا آخر ، وامتلأت ردهاتها بالورق المتطاير ونفايات الفواكه وقشورها ، واذهب إلى مستشفى فستجد الزوار محيطين بالمريض المسكين إحاطة الطوق بالعنق ، ورائحة التبغ تزكم الأنوف ، ونفاياتهم هنا وهناك .....

متى يكون عندنا فن الحياة ، فنشعر أن الشارع ملك لنا جميعاً ، يجب ألا تقع أعيننا فيه إلا على جميل ، ولا نشم إلا جميلاً ، ولا نسمع إلا الجميل ، فيضحِي أحدنا يشعر بالذنب ، عندما يلقي بقشرة برتقالة في الشارع ؟ .

---

(1) العرانين : جمع عرنين : ما كان صلباً من عظم الأنف وشامخ العرنين : كناية عن العزة والإباء .

(2) متأفف : متضجر .

(3) القذى : ما يقع في العين من وسخ .

الحياة فن ما في ذلك شك .....

إن الحياة لا تقاس بطولها ، ولا بعدد سنينها ، وقد يعمر بعض الناس ، ولو قيست حياتهم بمعيار (فن الحياة) لكانت ساعة أو بضع ساعات .

قيل إن أهل بلد كانوا يكتبون علي قبورهم العمر الفني الذي عاشه أمواتهم فتري على قبر (عاش سنة) وعلى آخر (عاش ساعتين) وعلى ثالث (لم يعش أبداً) ، مع أن كلاً منهم قد مات عن ستين أو سبعين سنة . وكأن أهل هذا البلد لم يحسبوا من عمرهم إلا تلك الأوقات الحية التي عاشوها .

الحياة فن ما في ذلك شك .....

إن الحياة قلب يخفق ، وأنفاس تتردد ، وأما فن الحياة فهو أن أكون :

حراً غير فوضوي .....

ومغامراً شجاعاً إيجابياً طموحاً في غير اندفاع أو عنفٍ أو ميل إلى الاعتداء .

ومستقلاً غير منعزلٍ .....

وقادراً على ضبط نفسي والسيطرة عليها وتنظيمها في غير تزمت .

وفاهماً نفسي محترماً لها في غير غرور .

واجتماعياً دون أن أفقد شخصيتي فيمن حولي .

وسلمياً غير سلبي .

وشاعراً بالطمأنينة والرضا دون خمول أو ركود .

ومهذباً في غير ميوعة ، ومؤدباً في غير ضعف ، ومتواضعاً في غير خنوع[١] ، وحساساً في غير تقزز[٢] ، وسعيداً مرحاً في غير تفاهة ولا إباحية وكريماً دون أن أضحي بكل مالي ، وحذراً في غير تردد ، ومتسامحاً في غير تحيز ، ووطنياً غير ضيق الأفق ، أعطي دون أن أفقد ، وآخذ دون أن أنهب أؤدي واجبي دون أن أنسي حقوقي ، وأتمسك بحقوقي دون أن أهمل واجباتي وأكون ذا عقل نشط مبدع ، ويد ماهرة بناءة ، وقلب كبير ، ولسان معبر طليق وباراً بأسرتي مخلصاً للجماعة التي أنتمي إليها ، وللدولة التي أعيش في كنفها مخلصاً للمجتمع العالمي إخلاصي لأمتي .

إن الحياة فن ..... لا يفهمه إلا القليلون .....

---

(1) الخنوع : الخضوع والذلة .

(2) تقزز : عاف .

(٦ – ٢ – ١) الاستيعاب :

(١) ما المقصود بفن الحياة ؟
(٢) بم يرتبط فن الحياة ؟
(٣) كيف استدل الكاتب على أن فن الحياة لا يرتبط بمال ولا علم ولا سلطان؟
(٤) كيف أحس الكاتب بفن الحياة داخل بيت صديقه ؟
(٥) ماذا يقصد الكاتب بالشهادات التي حملوها من بيتهم ؟
(٦) كيف وصف الكاتب حال الموظفين لدى مقابلتهم لمن يريد قضاء مصلحة له ؟
(٧) ما الدرس الذي تلقاه دارس الإنجليزية من أستاذه ؟
(٨) ماذا يحدث لو أن كل واحد منا ادعى أن الشارع ملكه ؟
(٩) ما المقياس الحقيقي للحياة ؟
(١٠) الحياة هي الأيام والسنون التي يقضيها الإنسان حياً ، فما معنى الحياة باختصار ؟

(٦ – ٢ – ٢) التدريبات اللغوية :

(١) وهبهم الله بسطة في العقل ، وخصباً في التفكير ، وضح الصور البلاغية في هذه العبارة .
(٢) كم من رجل فقير قد جاد عليه الزمان ، ماذا تفيد – كم – في هذه الجملة ؟
(٣) ما الفرق بين كلمتي (يغبطه و يحسده) ؟
(٤) هات الفعل الماضي من (يوقظ) .
(٥) ماذا يقصد الكاتب بهذه التعابير – إحاطة الطوق بالعنق – الحياة كالنسيم – مستقلاً غير منعزل ؟

من نفيس الكلام :
كثرة المزاح تذهب الهيبة

(٦ – ٣) الراحة في التغيير

الدكتور أحمد أمين*

خلق الإنسان ملولاً ، يملّ النعيم إذا طال ، ويملّ الشقاء إذا طال ، ويملّ الحر إذا دام ، ويملّ البرد إذا دام ، يملّ الأكل الشهيّ اللذيذ إذا استمر عليه ، ويملّ الأكل الخسيس إذا استمر عليه . وقديماً ملّ بنو إسرائيل أكل المن والسلوى وقالوا : " لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها " ولست أدري لم لامهم موسى على ذلك ، والملل طبعي في الإنسان ، إلا أن تكون صيغه الطلب رذيلة مذمومة ﴿ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ ليست الصفة المؤدبة التي تصدر عن المؤمنين .

من أجل هذا استعان الناس على درء الملل بالتنويع والتنقل ، وروعي هذا في برامج الدراسة : فحساب بعد لغة ، ولغة إنجليزية بعد علوم ، وتاريخ بعد جغرافيا كل ذلك دفعاً لملل من الدرس ومن المدرس !!

وروعي كذلك في برنامج الحياة – لعب بعد عمل ، ومزاح بعد جد وراعت الطبيعة هذا في برامجها ، فليل بعد نهار . وحر بعد برد ، وسلطان القمر بعد سلطان للشمس وهكذا . ولولا ذلك لعرا الناس ملل لا يطاق ، ولكانت الحياة عبئاً ثقيلاً لا يحتمل ، ولفر الناس منها إلى الموت طلباً للتغيير والتنويع .

أخطأ الناس فظنوا أن الراحة معناها الانغماس في الكسل ، الإضراب عن العمل ، والتمدد على سرير مريح أو نحو ذلك ، وليس هذا بصحيح دائماً ، ولو كان كذلك لما ملّ الناس هذه الراحة ، ولما فرّوا منها إلى العمل . واستروحوا بالجد والتعب .

وإنما الراحة التغيير من حال إلى حال ، من عمل إلى لا عمل ، ولو كان عدم العمل هو الراحة لكان السجن أروح مكان ، ألا ترى الراحة تكون في الأشياء وأضدادها باستمرار ، فلو ركبت سيارة من الخرطوم إلى الفاشر أو إلى دنقلا لأحسست التعب من الركوب ، ولو مشيت طويلاً لأحسست التعب من المشي والراحة في الركوب . وما أحلى النوم بعد التعب . وما أحلى اليقظة بعد النوم وفي الجلوس راحة إذا طال الوقوف ، وفي الوقوف راحة إذا طال الجلوس ، وفي العمل راحة بعد طول الفراغ ، وفي الفراغ راحة بعد طول العمل .

---

* أحمد أمين كاتب مصري كبير ، عمل أستاذاً في جامعة القاهرة ، وعميداً لكلية الآداب بها وعضواً للمجمع اللغوي ، ألف عدداً كبيراً من الكتب في الأدب والتاريخ والتراجم . أشهرها (فجر الإسلام) (وضحى الإسلام) توفي عام ١٩٥٤م .

ما أصعب الحياة الرتيبة وأشقها على النفس ! إنها تميت القلب ، وتبعث على الجمود ، ولا بد لعلاجها من التجديد ، وليس التجديد إلا نوعاً من التغيير يبعث عليه السأم من القديم . فإذا ملّ الناس الأدب القديم جدّد زعماء الأدب ، وإذا ملّ الناس من النظام الاجتماعي ، أتي المجددون بنظام جديد يذهب بالملل ويجدد النشاط .

وليس تغيير الأزياء – وخاصة عند النساء – إلا ضرباً من هذا ؛ هن أسرع خلق الله إلى الملل ، وأدعاهن إلى التغيير والتجديد ، فهن يطلعن على الناس كل حين بزيّ جديد من الأثواب والحلي والحقائب حتى الأحذية . شعر قصير شعر طويل ، وهكذا كثر مللهن فكثر تغييرهن فراراً من السأم ، وطلباً للراحة لهن ولغيرهن .

إن أقدر الناس في هذه الحياة من استطاع أن يتغلب على السأم والملل بالتغيير المناسب في نفسه وفي غيره .

(٦ – ٣ – ١) اللغة :

المنّ : نوع من الحلوى .
السلوى : طير مثل القمري طيب اللحم .
البقل : كل نبات ليس له ساق .
القثاء : نوع من البطيخ ، يشبه الخيار والعجور .
الفوم : نوع من الحبوب التي تخبز.

(٦ – ٣ – ٢) الاستيعاب :

(١) هل يستطيع الإنسان أن يعيش على نسق واحد في حياته ؟
(٢) عدد صوراً من صور تغير حياة الإنسان .
(٣) علام يدل قول اليهود لموسى (ادعلنا ربك) ؟
(٤) كيف يستطيع الإنسان درء الملل عنه ؟
(٥) يرى الكاتب أن الناس قد أخطؤوا في فهم الراحة عندما ظنوها الانغماس في الكسل ، فكيف دلل علي هذا الخطأ ؟
(٦) كيف تكون الراحة في الشيء وضده ؟
(٧) لماذا تكون الحياة الرتيبة صعبة على النفس ؟
(٨) لماذا كثر تغيير الأزياء عند النساء ؟
(٩) من أقدر الناس في الحياة ؟

(٦ – ٣ – ٣) التدريبات اللغوية :

(١) – مزاح بعد جد – واستروحوا بالجد والتعب – ما معنى كلمة الجد في الجملتين ؟

(٢) مِلّ الناس هذه الحياة . الكلمة التي تحتها خط – استعملها في جملة من عندك – ليكون فيها فكّ الإدغام واجباً .

(٣) فادعُ لنا ربك – ما علامة جزم الفعل في هذه الآية ؟

(٤) أنسب إلى كلمة الحياة ووضح القاعدة التي تشير إليها .

من نفيس الكلام :
من العلْم أن تعلَم أنك لا تعلَم ما لا تُعلَّم

(٦ – ٤) البرتقالة الرخيصة

د. زكي نجيب محمود

لم أكد أفرغ من طعام الغداء حتى جاءني الخادم بطبق فيه برتقالة وسكين ، فرفعت السكين وهممت أن أحزّ البرتقالة ، ولكني أعدتها ، وأخذت أدير البرتقالة في قبضتي وأنظر إليها نظرة الإعجاب ؛ فقد راعني إذ ذلك لونها البديع وجمالها الخلاب وشممت لها أريجاً طيباً هادئاً، ولمحت في استدارتها ومسامها نضارة عجيبة ، فأشفقت عليها من التقطيع والتشريح ؛ ثم نظرت إلى خادمي وقلت مبتسماً : لعل برتقالة اليوم يا سليمان لا يكون بها من العطب ما كان بتفاحة الأمس ؟ فقال : كلا يا سيدي فلن يكون ذلك أبداً ، فإن من خلال البرتقال التي يتميز بها عن سائر ألوان الفاكهة أن العطب يبدأ من خارجه لا من داخله ؛ فإن وجدت قشور البرتقالة سليمة فكن على يقين جازم بأن لبابها سليم كذلك ، فالبرتقالة بذلك أمينة صريحة صادقة ، لا تخفي بسلامة ظاهرها خبث باطنها ، ولا كذلك التفاحة ، التي قد تبدي لك ظاهرا نضراً لامعاً ، فإذا ما شققت جوفه ألفيته أحياناً مباءَة يضطرب فيها أخبث الدود فقلت : تلك والله يا سليمان خلة للبرتقال لم أكن أعلمها من قبل ، ولكني أتبين الآن أنها حق لا ريب فيه ، وإنه بهذه الخلة وحدها لجدير من الفاكهة أن يرصه في صناديقه الزجاجية ، وأن يلفه بغلاف من ورق شفاف حرصاً على هذه النفس الكريمة أن تستذل وتهان في المقاطف والأقفاص ، فهو لعمري بهذه العناية أجدر من التفاح الخادع .... وماذا تعلم يا سليمان غير ذلك من صفات البرتقال ؟ فقال : إنها لتشبع الحواس جميعاً ، فهي بهجة للعين بلونها ، وهي متعة للأنف بأريجها ، ولذة للذوق بطعمها ، ثم هي بعد ذلك راحة للأيدي حين تديرها وتدحرجها كما تفعل يا سيدي الآن ، ولقد لبست البرتقالة معطفاً من جلد جميل ، فإذا ما انتهت إلى آكلها نضت عن نفسها ذلك العطاف الذي لامسته الأيدي ، لتبدو لصاحبها بكراً لم تفسدها جراثيم السوء والمرض ؛ وهي فوق ذلك كله لم تنس أن تحنوا بفضلها على الفلاح المسكين ، لأنها قررت منذ زمن بعيد أن تمنحه جلدها ليملحه فيأكله طعاماً شهياً ، وليس بالقليل أن يظفر زارع البرتقال بقشوره ما دام السادة قد نعموا باللباب ، فهو اعتراف بالجميل محمود على كل حال !

قلت أفبعد هذا كله يستخف بقدرها الفاكهاني ، فيقذف بها قذفاً مهملاً في الأوعية والسلال ؟ ! أفبعد هذا كله تقوّم البرتقالة في سوق الفاكهة بمليمين ، وتقدر التفاحة بالقروش ؟ ! تالله لو كنت موزع الأرزاق على هذه الفاكهة لغيرت معايير التقييم وقلبتها رأساً على عقب ، فأبيع هذا البرتقال الجيد بالوزن والثمن

الكثير ، والتفاح بالعدد والثمن البخس الرخيص ، فلست أدري لماذا يكون أساس التقييم ما تبديه الفاكهة من جودة وإخلاص؟!

قلت ذلك وكانت رنة الأسى في قولي تزداد شيئاً فشيئاً حتى خشيت أن تنقلب إلى ثورة، فلا يجد الثائر ما يحطمه غير أثاثه ، فأكلت البرتقالة وحمدت الله على نعمته ...

وهنا نقر الباب زائر نقرة خفيفة ، ثم دفعه في أناة وأقبل وأخذ يدنو بخطى ثقيلة حتى اقترب من المائدة ، فألقى عليها غلافاً مليئاً بأوراق ، ثم جلس ونظر إليّ نظرة يشيع منها اليأس ، وابتسم ابتسامة خفيفة ينبعث منها القنوط وخيبة الرجاء ، فسألته : ماذا دهاك ؟ فأجاب : أنظر ! وأشار بأصبعه إلى الحزمة الملقاة قائلاً : لقد رفض الناشر أن يتعهد طبع الكتاب ، وهكذا ضاع مجهود أعوام ثلاثة أدراج الرياح ! فسألته : وماذا قال الناشر ؟ فأجاب زعم لي أن الكتاب جيد لا بأس بمادته ، ولكنه لا يتوقع له سوقا نافقة ، لأن العبرة عند القارئين بالكاتب لا بالكتاب ، ألست ترى في ذلك يا أخي عبثاً أي عبث ؟

قلت : هوّن على نفسك الأمر ولا تحزن ، فكتابك هذا برتقالة رخيصة ، وكم في الأشياء ما هو جيد ورخيص ! وأن ذلك ليذكرني بيوم أشقيت فيه نفسي بتحرير مقالة جيدة ممتازة ، وحملتها فخوراً إلى صاحب الصحيفة الأسبوعية ، وجلست أمامه أرقب كلمة التقدير تنحدر بين شفتيه ، فما راعني إلا أن أراه ينفذ مسرعاً إلى آخر المقالة يقرأ الإمضاء ، فالمقالات عند سادتنا أولئك تقرأ من أذيالها لا من رءوسها ! ثم مط شفتيه مطا فهمت معناه ، ودفعها بين أوراقه حيث استقرت إلى الأبد ، وهأنذا أتبين اليوم أن مقالتي – ككتابك – برتقالة رخيصة ... فخير لنا وأقوم أن نكون تفاحاً معطوباً من أن نكون برتقالاً جيداً لذيذاً.

ألا ما أكثر بين الناس هذا البرتقال الرخيص ! فإن شئت حدثتك عن رجل يكيل له أولو الأمر المدح والثناء ، ولكن كما يمدح الآكلون البرتقال . يستمرئونه ولا يدفعون له إلا ثمناً قليلا ، وإن شئت حدثتك عن رجل أراد الزواج ، فوجدت فيه المخطوبة ما تشتهي من خلق قويم ورأي مستقيم ، ولكنها نظرت فإذا هو في سوق السلع بضاعته بخسة مزجاة ، فهزت كتفيها ومطّت شفتيها وقالت مُغضبة : ردوه ! إنه برتقالة رخيصة تمتدح ولا تشتري، وإن شئت حدثتك وحدثتك ...

فمتى ؟ متى يا رباه يعرف الفاكهاني لهذا البرتقالة المسكينة قدرها ؟ ...

الاستيعاب :

١. ما الميزة التي يتميز بها البرتقال عن سائر أنواع الفاكهة ؟
٢. البرتقالة : أمينة ، صريحة ، صادقة – وضّح ذلك .

٣. لماذا يستحق البرتقال أن يوضع في صناديق من زجاج ، وأن يلف بغلاف شفاف ؟
٤. كيف تشبع البرتقالة الحواس جميعاً ؟
٥. ما الاعتراف الجميل الذي أسدته البرتقالة لزارعها ؟
٦. ماذا فهمت من قول الكاتب :(لأن العبرة عند القارئين بالكاتب لا بالكتاب)؟
٧. ما وجه الشبه بين البرتقالة ، والكتاب الذي لم يطبع ؟
٨. اختر عنواناً مناسباً لهذه القطعة بدلاً عن " البرتقالة الرخيصة " .

التدريبات اللغوية :

١. بين مرادف الكلمات الآتية ، ثم أدخل كلاً منها في جملة مفيدة :
راعني ، الخلاب ، القنوط ، مباءة ، نضت .
٢. بيِّن الجمع لهذه الكلمات :
طبق ، سكين ، العطب ، خلة .
٣. لماذا كسرت همزة " إنَّ " فيما يأتي :

- في قوله تعالي :﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٢]
- فقال : إنها لتشبع الحواس جميعاً .
- وإنه بهذه الخلة وحدها لجدير من بائع الفاكهة أن يرصه في صناديقه الزجاجية.
- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٣]
- قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ ﴾ .

٤. لماذا اقترن جواب الشرط بالفاء فيما يأتي :

- فإن وجدت قشور البرتقالة سليمة فكن على يقين جازم بأن لبابها سليم كذلك) .
- قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [النساء: ٨٠].

(٦-٥) خطبة واصل بن عطاء الخالية من حرف الراء

" الحمد لله العظيم بلا غاية ، والباقي بلا نهاية ، الذي علا في دنوه ، ودنا في عُلوه . فلا يحويه زمان ، ولا يحيط به مكان ، ولايؤوده حفظ ما خلق ، ولم يخلقه على مثال سبق ، بل أنشأه ابتداعاً ، وعدّله اصطناعاً ، فأحسن كل شيء خلقه ، وتمّم مشيئته ، وأوضح حكمه فدل على ألوهيته . فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه ، تواضع كلُّ شيء لعظمته . وذلّ كل شيء لسلطانه ، ووسع كل شيء فضله ، لا يعزُب عنه مثقالُ حبة وهو السميع العليم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده . إلهاً تقدست أسماؤه ، وعظمت آلاؤه ، وعلا عن صفات كل مخلوق . وتنزه عن شبيه كل مصنوع . فلا تبلغه الأوهام ، ولا تحيط به العقول والأفهام يقضي فيحلمُ ، ويُدعَي فيسَمع ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون .

أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته وأحضكم على ما يدنيكم منه ، ويزلفكم لديه ، فإن تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبة في معاد ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعِها ، وفواتن لذاتها ، وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ، ومدة إلى حين ، وكل شيء يزول ، فكم عانيتم من أعاجيبها ، وكم نصَبَت لكم من حبائلها ، وأهلكت مَنْ جنح إليها ، واعتمد عليها أذاقتهم حلواً وومزجت لهم سُمّاً .

أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وشيدوا المصانع ، وأوثقوا الأبواب ، وكثفوا الحجاب ، وأعدوا الجياد ، وملكوا البلاد ، واستخدموا التلاد ، قبضتهم بمحملها ، وطحنتهم بكلكلها ، وعضتهم بأنيابها ، وعاضتهم من السعة ضيقاً ، ومن العزة ذلا ، ومن الحياة فناء فسكنوا اللحود ، وأكلهم الدود ، وأصبحوا ولم يبق منهم إلا مساكنهم ولا نجد إلا معالمهم ، ولا تحس منهم من أحد ، ولا تسمع لهم نبّسا " .

قائل هذا النص هو أبو حذيفة واصل بن عطاء .

نشأ بالبصرة ، وتتلمذ على الحسن البصري ، وعندما قالت الخوارج إن مرتكب الكبيرة كافر ، وقال أهل السنة إنهم مسلمون ، خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال : إن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ، ومنزلته بين المنزلتين فغضب منه الحسن البصري . فاعتزل واصل مجلسه وانضم إليه جماعة فسموا بالمعتزلة ومات عام ١٣١ هـ .

كان واصل خطيباً مفوهاً ، وكان يلثغ بالراء ولذلك ظل يتجنب النطق بها . ومن ثم خلت جميع خطبه من هذا الحرف ومنها هذه الخطبة .

(٦ – ٥ – ١) مناسبة الخطبة :

يروي أنّ واصلاً حضر مجلسا فيه عدد من الخطباء فتباروا جميعاً في الخطابة أمام والي العراق آنذاك عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ففضلهم بهذه الخطبة .

(٦ – ٥ – ٢) معاني الكلمات :

لا يؤوده	:	لا يعجزه .	حبائل	:	جمع حبالة وهي المصيدة تصنع من الحبال .
ابتداء	:	لأول مرة .			
لا معقب	:	لا راد .	جنح إليها	:	مال إليها .
لا يعزب	:	لا يغيب .	المصانع	:	القصور .
يزلفكم لديه	:	يقربكم لديه .	المحمل	:	الشقان من البعير يحمل فيها شخصان والمعنى : احتوت عليهم .

(٦ – ٥ – ٣) الشرح :

بدأ الخطبة بحمد الله تعالى ، وأثنى عليه بذكر ما يليق به سبحانه من صفات القدم والبقاء والعلو مع القرب ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ولا يحيط به شيء وهو يحيط بكل شيء سبحانه له الخلق والأمر.

ثم ثني بالشهادة بأن الله واحد لا شريك له عظمت أسماؤه ، وتعددت آلاؤه على خلقه وتنزه عن صفات المخلوقين ، ولا تدركه الأبصار ،وهو مدرك الأبصار ، وهو السميع العليم ، يوجه خلقه فيقابل عصيانهم بالحلم عليهم ، ويدعونه فيسمع دعاءهم .

ثم انتقل إلى الوصية فأوصى عباد الله كما أوصى نفسه بتقوى الله . والعمل على طاعته واجتناب معصيته ، فهذا ما يقربهم منه تعالى ، ونفرَّهم من أن يغتروا بالدنيا ويخدعوا بزخارفها ، وحذرهم من الانسياق وراء حبائل الشيطان بتزيين الشهوات . وأوضح لهم أن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .

ثم ضرب المثل لمن كانوا ملء السمع والبصر في هذه الدنيا فشيدوا وبنوا ، وحكموا وملكوا وآثروا . وأترفوا ، ثم أصبحوا أثرا بعد عين ولم يبق إلا آثار ديارهم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا .

(٦ – ٥ – ٤) التعليق والتذوق :

ذكر أن الشاعر بشار بن برد أشاد بواصل بن عطاء ، وكان سبب الإشادة هذه الخطبة التي قال إنه ارتجلها بداهة من غير احتفال أو تحبير كما فعل الآخرون وأنها خلت من حرف الراء فقال :

تَكَلَّفوا القولَ وَالأقوامُ قد حَفَلوا وَحَــبَّروا خُطباً ناهيكَ بالخُطبِ
فَــقامَ مُرتَــجِلاً تَــغلي بَداهَتُهُ كَمِــرجَلِ القَينِ لَمّا حُفَّ باللَهَبِ
وَجانَبَ الراءَ لَم يَشعُر بِهِ أحَدٌ قبلَ التَصَفُّحِ وَالإغراق في الطَلَبِ

هذا ما قاله بشار ولكن هل يمكن التسليم به ؟ وهل يمكن أن تصدر خطبة قوية كهذه وبكل ما امتازت به ، من تجنب أي كلمة تضمنت حرف الراء والاستعانة بمرادفها دون تحضير أو تروّ ؟ ولكن بشارا أقرب عهداً وأكثر التصاقاً ومعايشة لذلك العهد وربما أصدر عن حقيقة يعلمها وغابت عن غيره .

والخطبة تمتاز أيضاً بالمزاوجة بين جملها والتزام السجع في بعض عباراتها ، واشتمالها على العديد من الصور البلاغية .

والحقيقة أن ما يدعو للإعجاب هو استبدال الكلمات المتضمنة للراء بمرادفاتها مثلاً (ولا دافع لقضائه) جاءت بدلاً عن (ولا راد لقضائه) . أو (ولا نسمع لهم نبساً) فجاءت كلمة نبساً بدلاً من ركزا التي تجنبها لاحتوائها على الراء .

ومن الصور البلاغية التشبيه في قوله : (تقوى الله أفضل زاد) . وهو تعبير مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ .

والاستعارة في قوله " نصبت لكم من حبائلها " وأذاقتهم حلواً ومزجت لهم سماً " ، " طحنتهم بكلكلها " عضتهم بنابها " .

والكناية في قوله : " سكنوا اللحود " " أكلهم الدود " كناية عن الموت .

هذا إلى جانب الموسيقا اللفظية المتمثلة في السجع مثل " القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية " " تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه " .

والمقابلة مثل " علا في دنوه ودنا في علوه " .

والطباق بين " السعة والضيق " و " العز والذل " و " والحياة والفناء " .

والجناس في " عاضتهم وعضتهم " .

(٦ – ٥ – ٥) أسئلة للمناقشة :

(١) تلاحظ أن أثر القرآن الكريم بدا واضحاً في هذه الخطبة ، وإن كثيراً من المعاني فيها مقتبس منه ، وضح ذلك مع إيراد بعض الأمثلة .

(٢) ما الصورة البيانية التي تضمنها قوله " ولا تلهينكم الدنيا بزينتها " .

(٣) لقد اتخذ من بعض الدول والممالك التي بادت مثالاً للعظة والعبرة فاذكر أسماء بعض هذه الدول والممالك .

(٤) قال أحد الشعراء – عضنا الدهر بنابه وقال واصل " وعضتهم بنابها " فما المقصود بالكناية في العبارتين ؟

(٥) استبدل ببعض كلمات الخطبة كلمات مرادفة تتضمن حرف الراء .

من نفيس الكلام :

إنني إذا تأملت حالة هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر .

أبو الفتح عثمان بن جني